١٠ ر.س

سلسلة القصص الحق
(٤)

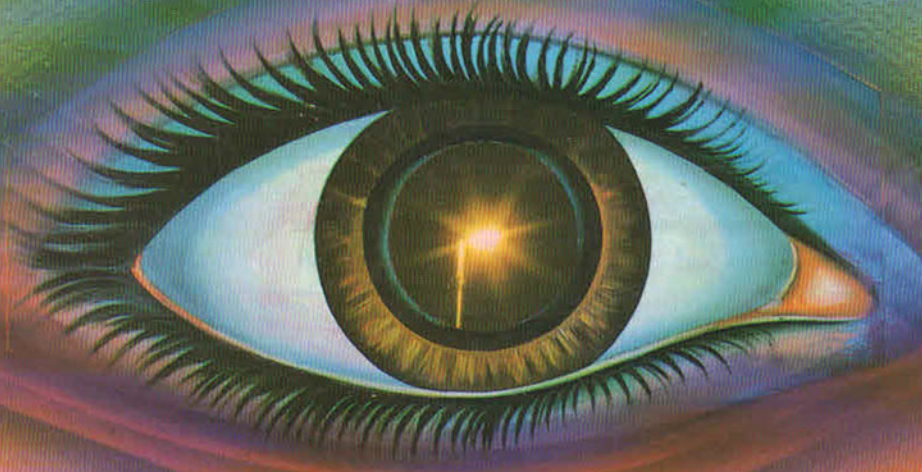

فراسة المؤمن

قصص واقعية

للأنبياء والرسل للصحابة والتابعين للمتقدمين والمتأخرين والمعاصرين

تأليف
إبراهيم بن عبد الله الحازمي
عفا الله عنه وسدد خطاه

راجعه وقدم له
فضيلة الشيخ
عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين

دار الشريف للنشر والتوزيع

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

دار الشريف للنشر والتوزيع
تلفون: ٤٧٧٩٤٩١ ص.ب ٥٢٤٧٩

الاهـــداء

إلى من عمر ظاهره باتباع الكتاب والسنة وباطنه بدوام المراقبة وصحة التوكل، وأمسك نفسه عن الهوى والشهوات... فلم تخطيء له فراسة.

أهدي هذا الكتاب...

إبراهيم بن عبد الله الحازمي

عفا الله عنه وعامله بلطفه

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى وصلى الله وسلم على محمد النبي المجتبى وآله وصحبه أجمعين وبعد:

فهذه رسالة مفيدة تشتمل على كرامات وفراسات وتوسمات وقصص واقعية تشحذ الأذهان وتفتح الأفهام وتدل على هبة الله تعالى لمن شاء من عباده ومايتفاوت فيه الخلق من الفهم والإدراك والذكاء والمعرفة والاستنباط وبذل فيها الكاتب جهدًا كبيراً حيث عكف على كتب التأريخ والتراجم وكتب الأدب والفقه والقصص والكرامات حتى جمع هذا القدر من هذه الحكايات رجاءاً يعتبر بها من يقف عليها ويقيس عليها مايشبهها وقد ذكرت هذه القصص في مراجع كثيرة ولابد أن يحصل بينها شيء من التفاوت في السياق حيث أن البعض قد يكتبها من ذاكرته بالمعنى والبعض قد يختصرها وهو السر في وجود النقص أو الزيادة أو الاختلاف في سياق بعضها عن مايتذكره القاريء أو مايجده في بعض المؤلفات.

وبالجملة فقد أجاد الكاتب وأفاد بانتقاء هذا القدر من هذه الوقائع التي سبقه إليها غيره ولاشك أن بعضها قد يستبعد عقلاً والبعض قد لايصح من حيث الإسناد لكن العهدة على من كتبها أول مرة لكنها لاتخلو من فائدة وعبرة وذكرى للمؤمنين.

قال ذلك وكتبه عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

١٤١٢/١١/٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعـــد:

فإن الله ـ سبحانه ـ هو المطلع على سرائر الصدور، وما تخفيه القلوب والعيوب كما قال تعالى:

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأعينِ وما تُخْفِي الصُدُورْ﴾.

ولذلك يكشف لأوليائه وأحبابه ما تخفيه وجوه وقلوب الآخرين.

فإذا التقيت بشاب يطلب منك شيئًا ما، فلابد من أن يؤثر منظره فيك تأثيرًا تبني عليه حكمك في أخلاقه وحاله.. فقد يتبادر إلى ذهنك إنه ذكي ألمعي أو كسول خامل أو خفيف الروح أو ثقيلها أو أحمق أو مريض أو غير ذلك.

ولو سئلت عما حملك على ذلك الحكم.. لقلت خاطر في القلب وذلك لطاعتي لمولاي.

أو تقول: أنك استطلعت ذلك من شكل عينيه أو حجم رأسه أو ما شابه ذلك.

فمن منا لا يتفق له أن يرى رجلاً فيتوسم فيه الذكاء والفهم وسلامة النية..

وكم نرى من رجال لا نتمالك إذا نظرنا إلى هاماتهم وتكوين جماجمهم عن أن نحكم بشجاعتهم أو جبنهم، بذكائهم أو عيهم.

وفي هذا الكتاب الذي بين يديك قصص واقعية وأدلة تؤيد ما نقوله بأجلى

بيان . . فضلاً عما جاء في القرآن والسُنة الشريفة في ذلك، وهو كتاب لا يستغنى عنه الحاكم في حكمه، والأمير في إمارته، والعالِمْ في عِلْمه، والقاضي في قضائه، والمدرس في درسه، والداعي في دعوته، والطالب في مدرسته، والموظف في ديوانه وما أجمل ما قاله العلاَّمة الماوردي في كتابه: أدب الدين والدنيا عن الفراسة وينبغي أن يكون للعالم فراسة يتوسّم بها المتعلم، ليعرف مبلغ طاقته وقدر استحقاقه، ليعطيه ما يتحمله بذكائه، أو يضعف عنه ببلادته، فإنه أروح للعالم، وأنجح للمتعلم، وإذا كان العالم يتوسّم المتعلمين وكان بقدر استحقاقهم خبيراً، لم تضع له عناء ولم يخب له رجاء على يديه صاحب وإن لم يتوسل وخفيت عليه أحوالهم ومبلغ استحقاقهم، كانوا وإياه في عناء مُكد، وتعب غير مجد، لأنه لا يعدم أن يكون فيهم ذكي محتاج إلى الزيادة وبليد يكتفي بالقليل فيضجر الذكي منه، ويعجز البليد عنه، ومن يردد أصحابه بين عجز وضجر ملوه وملهم.

والله أسأل أن يجعل له القبول في كل مكان ويجعله خالصًا لوجهه وأن ينفع به عباده في مشارق الأرض ومغاربها إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والله المستعان.

وكتب: أبو حمزة

إبراهيم بن عبدالله الحازمي

عفا الله عنه وسدد خطاه

الرياض: ٢٤/٨/١٤١٢هـ

معنى الفراســة

لغـة «الفراسة» الاسم من قولك (تفرّستُ) فيه خيراً. وهو يتفرّس أي يتثبّت وينظُرُ[1].

فهـي إذن ذهـن سريع الاستــدلال، بدون حد وسط، من المعلوم على المجهول وقيل هي القدرة على التنبوء يهبها الله لمن يشاء من أوليائه وأصفيائه. وقيل هي معرفة مايكون بالإلهام أو التقدير والظن وقيل هي الاستدلال بالخَلَق على الخُلق.

وهناك فرق بين الفراسة بالفتح والكسر:

* فبكسرها: هي إدراك الأشياء بقوة الذكاء ووفرة الفطنة!!!.
* وبفتحها: هي الحذق بركوب الخيل وأمرها.
* وما أجمل أن يجمع المرء بين الفضيلتين معًا، فيكون فارسًا مغوارًا شجاعًا.. ومتفرسًا في آن واحد.

أنـواع الفراسـة:

والفراسة ثلاثة أنواع:

إيمانيــة:

وسببها: نور يقذفه الله في قلب عبده. يفرق به بين الحق والباطل والصادق والكاذب.

وحقيقتها: أنها خاطر يهجم على القلب ينفي مايضاده. يثب على القلب

(١) انظر مختار الصحاح للإمام الرازي.

كوثوب الأسد على الفريسة. لكن «الفريسة» فعيلة بمعنى مفعولة. وبناء «الفراسة» كبناء الولاية والإمارة والسياسة.

وهذه «الفراسة» على حسب قوة الإيمان. فمن كان أقوى إيمانًا فهو أحَدُّ فراسة.

قال أبو سعيد الخراز: من نظر بنور الفراسة نظر بنور الحق، وتكون مواد علمه مع الحق بلا سهو ولا غفلة. بل حكم حق جرى على لسان عبده.

وقال الواسطي: الفراسة شعاشع أنوار لمعت في القلوب، وتمكن معرفة جملة السرائر في الغيوب من غيب إلى غيب، حتى يشهد الأشياء من حيث أشهده الحق إياها، فيتكلم عن ضمير الخلق.

وقال الداراني: الفراسة مكاشفة النفس ومعاينة الغيب، وهي من مقامات الإيمان.

وسئل بعضهم عن الفراسة؟ فقال: أرواح تتقلب في الملكوت. فتشرف على معاني الغيوب، فتنطق عن أسرار الخلق، نطق مشاهدة لا نطق ظن وحسبان.

وقال عمرو بن نجيد: كان شاه الكرماني حاد الفراسة لا يخطيء. ويقول: من غض بصره عن المحارم، وأمسك نفسه عن الشهوات، وعمر باطنه بالمراقبة وظاهره باتباع السنة، وتعود أكل الحلال: لم تخطيء فراسته.

وقال أبو جعفر الحداد: الفراسة أول خاطر بلا معارض، فإن عارضه معارض آخر من جنسه، فهو خاطر وحديث نفس.

وقال أبو حفص النيسابوري: ليس لأحد أن يدعي الفراسة. ولكن يتقي الفراسة من الغير. لأن النبي ﷺ قال: «اتقوا فراسة المؤمن. فإنه ينظر بنور الله» ولم يقل: تفرسوا. وكيف يصح دعوى الفراسة لمن هو في محل اتقاء الفراسة؟.

وقال أحمد بن عاصم الأنطاكي: إذا جالستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق فإنهم جواسيس القلوب، يدخلون في قلوبكم ويخرجون من حيث لا تحتسبون.

وكان الجنيد يومًا يتكلم على الناس. فوقف عليه شاب نصراني متنكرًا فقال: أيها الشيخ ما معنى قول النبي ﷺ: «**اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله**» فأطرق الجنيد، ثم رفع رأسه إليه. وقال: أسلم. فقد حان وقت إسلامك. فأسلم الغلام.

ويقال في بعض الكتب القديمة: إن الصديق لا تخطيء فراسته.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: أفرس الناس ثلاثة: العزيز في يوسف حيث قال لامرأته ﴿**١٢ : ٢١ أكرمي مثواه. عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدًا**﴾ وابنة شعيب حين قالت لأبيها في موسى (٢٨ : ٣٦ استأجره) وأبوبكر في عمر رضي الله عنهما، حيث استخلفه. وفي رواية أخرى: وامرأة فرعون حين قالت ﴿**٢٨ : ٩ قرة عين لي ولك، لا تقتلوه. عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدًا**﴾.

وكان الصديق رضي الله عنه أعظم الأمة فراسة. وبعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ووقائع فراسته مشهورة. فإنه ما قال لشيء «أظنه كذا» إلا كان كما قال. ويكفي في فراسته: موافقته ربه في المواضع المعروفة.

ومر به سواد بن قارب، ولم يكن يعرفه. فقال: «لقد أخطأ ظني، أو أن هذا كاهن؛ أو كان يعرف الكهانة في الجاهلية» فلما جلس بين يديه قال: ذلك عمر. فقال: «سبحان الله، يا أمير المؤمنين، ما استقبلت أحدًا من جلسائي بمثل ما استقبلتني به. فقال له عمر رضي الله عنه: ما كنا عليه في الجاهلية أعظم من ذلك. ولكن أخبرني عما سألتك عنه. فقال: صدقت يا أمير المؤمنين. كنت كاهنًا في الجاهلية. ثم ذكر القصة».

وفراسة الصحابة رضي الله عنهم أصدق الفراسة.

وأصل هذا النوع من الفراسة: من الحياة والنور اللذين يهبهما الله تعالى لمن يشاء من عباده، فيحيا القلب بذلك ويستنير، فلا تكاد فراسته تخطيء. قال الله ﴿**٦ : ٢٢ أو من كان ميتًا فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله**

في الظلمات ليس بخارج منها؟﴾. كان ميتًا بالكفر والجهل، فأحياه الله بالإيمان والعلم. وجعل له بالقرآن والإيمان نورًا يستضيء به في الناس على قصد السبيل ويمشي به في الظلم. والله أعلم.

الفراسة الثانية: فراسة الرياضة والجوع، والسهر والتخلي. فإن النفس إذا تجردت عن العوائق صار لها من الفراسة والكشف بحسب تجردها. وهذه فراسة مشتركة بين المؤمن والكافر. ولا تدل على إيمان ولا على ولاية. وكثير من الجهال يغتر بها. وللرهبان فيها وقائع معلومة. وهي فراسة لا تكشف عن حق نافع ولا عن طريق مستقيم. بل كشفها جزئي من جنس فراسة الولاة، وأصحاب عبارة الرؤيا والأطباء ونحوهم.

وللأطباء فراسة معروفة من حذقهم في صناعتهم. ومن أحب الوقوف عليها فليطالع تاريخهم وأخبارهم. وقريب من نصف الطب: فراسة صادقة، يقترن بها تجربة. والله سبحانه أعلم.

الفراسة الثالثة: الفراسة الخَلْقية. وهي التي صنف فيها الأطباء وغيرهم. واستدلوا بالخلق على الخُلُق لما بينهما من الارتباط الذي اقتضته حكمة الله. كالاستدلال بصغر الرأس الخارج عن العادة على صغر العقل. وبكبره، وبسعة الصدر، وبُعْد مابين جانبيه: على سعة خُلق صاحبه. واحتماله وبسطته. وبضيقه على ضيقه، وبخمود العين وكلال نظرها على بلادة صاحبها، وضعف حرارة قلبه. وبشدة بياضها مع إشرابه بحمرة ـ وهو الشكل ـ على شجاعته وإقدامه وفطنته. وبتدويرها مع حمرتها وكثرة تقلبها على خيانته ومكره وخداعه.

ومعظم تعلق الفراسة بالعين[1]. فإنها مرآة القلب وعنوان مافيه ثم باللسان. فإنه رسوله وترجمانه. وبالاستدلال بزرقتها مع شقرة صاحبها على رداءته. وبالوحشة التي ترى عليها على سوء بداخله وفساد طويته.

---

(١) وقد قيل: العيون مغاريف الكلام.

وكالاستدلال بإفراط الشعر في السبوطة على البلادة. وبإفراطه في الجعودة على الشر، وباعتداله على اعتدال صاحبه[1].

وأصل هذه الفراسة: أن اعتدال الخلقة والصورة: هو من اعتدال المزاج والروح. وعن اعتدالها يكون اعتدال الأخلاق والأفعال. وبحسب انحراف الخلقة والصورة عن الاعتدال: يقع الانحراف في الأخلاق والأعمال.

هذا إذا خُلِّيت النفس وطبيعتُها.

ولكن صاحب الصورة والخلقة المعتدلة يكتسب بالمقارنة والمعاشرة أخلاق من يقارنه ويعاشره. ولو أنه من الحيوان البهيم. فيصير من أخبث الناس أخلاقًا وأفعالاً، وتعود له تلك طباعًا، ويتعذر ـ أو يتعسر ـ عليه الانتقال عنها.

وكذلك صاحب الخلقة والصورة المنحرفة من الاعتدال يكتسب بصحبة الكاملين بخلطتهم أخلاقًا وأفعالاً شريفة. تصير له كالطبيعة. فإن العوائد والمزاولات تعطي الملكات والأخلاق.

فليتأمل هذا الموضع ولا يعجل بالقضاء بالفراسة دونه. فإن القاضي حينئذ يكون خطؤه كثيرًا. , فإن هذه العلامات أسباب لا موجبة. وقد تتخلف عنها أحكامها لفوات شرط، أو لوجود مانع.

وفراسة المتفرس تتعلق بثلاثة أشياء: بعينه، وأذنه، وقلبه، فعينه للسيماء والعلامات وأذنه: للكلام وتصريحه وتعريضه، ومنطوقه ومفهومه، وفحواه وإشارته، ولحنه وإيمائه ونحو ذلك. وقلبه للعبور: والاستدلال من المنظور والمسموع إلى باطنه وخفيه. فيَعْبُر إلى ما وراء ظاهره، كعبور النقاد من ظاهر النقش والسكة إلى باطن النقد والاطلاع عليه: هل هو صحيح، أو زغل؟ وكذلك عبور المتفرس من ظاهر الهيئة والدَّالِّ، إلى باطن الروح والقلب. فنسبة

---

(١) من أراد الاستزادة في هذا الباب فلينظر كتاب «الفراسة عند العرب» للرازي.

نقده للأرواح من الأشباح كنسبة نقد الصيرفي ينظر للجوهر من ظاهر السكة والنقد.

وكـذلـك نقـد أهـل الحـديث. فإنه يمر إسناد ظاهر كالشمس على متن مكـذوب. فيخـرجـه ناقدهم، كما يخرج الصيرفي الزغل من تحت الظاهر من الفضة، وكذلك فراسة التمييز بين الصادق والكاذب في أقواله وأفعاله وأحواله[٣].

(٣) انظر مدارج السالكين لابن قيم الجوزية.

ما ورد في الكتاب والسنة عن الفراسة

قال الله تعالى:

﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾. [سورة الحجر، الآية: ٧٥].

قال مجاهد بن جبر المكي التابعي الجليل: المتفرسين.

وقال ابن عباس الهاشمي القرشي: للناظرين. وكذا قال الضحاك.

وقال قتادة: للمعتبرين.

وقال مقاتل: للمتفكرين.

وقال أبوعبيدة: للمتبصرين. ولا تنافي بين هذه الأقوال، فإن الناظر متى نظر في آثار ديار المكذبين ومنازلهم وما آل إليه أمرهم: أورثه فراسة وعبرة وفكر ونظرة.. وأيضًا فإن المعاني التي تكون في الإنسان وغيره من خير أو شر يلوح عليه وسم على تلك المعاني، كالسكون والديانة والهيبة والخوف.

فالتوسم: تفعل من الوسم. وهي العلامة التي يستدل بها على مطلوب غيرها. يقال: توسمت فيه الخير إذا رأيت ميسم ذلك فيه، ومنه قول عبدالله بن رواحة للنبي ﷺ:

إني توسمْتُ فيك الخير أعرفه
والله يعلم أنّي ثابتُ البصر

وقال شاعر آخر:

توسمته لما رأيْتُ مهابةً
عليه وقلتُ المرءُ من آل هاشم

وهذه الآية تدل على فراسة النظر والعين.

أما فراسة السمع والأذن فيدل عليها قوله تعالى:

﴿ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول﴾. [سورة محمد، الآية: ٣٠].

قال العلّامة ابن قيم الجوزية في مدارج السالكين[١]:

واللحن ضربان: صواب وخطأ. فلحن الصواب نوعان:

أحدهما: الفطنة[٢] ومنه الحديث: ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض.

والثاني: التعريض والإشارة. وهو قريب من الكناية ومنه قول الشاعر:

وحديث ألذه. وهما مما
يشتهي السامعون يوزن وزنًا
منطق صائب وتلحن أحيانًا
وخير الحديث ماكان لحنًا

والثالث: فساد المنطق في الإعراب. وحقيقته:

تغيير الكلام عن وجهه، إما إلى خطأ، وإما إلى معنى خفي لم يوضع له اللفظ.

ومقصود الآية: إنه سبحانه أقسم على معرفتهم من لحن خطابهم فإن معرفة المتكلم ومافي ضميره من كلامه: أقرب من معرفته بسيماه ومافي وجهه. فإن دلالة الكلام على قصد قائله وضميره أظهر من السيماء المرئية ا. هـ.

ومن أمثال النبي سليمان:

«ذو الاثم هو رجل بليعال فإنه يسعى بخيانة الفم يغمز بعينيه ويتكلم برجليه، ويعلم بأصابعه».

---

(١) (٢/٤٨٣).

(٢) وسوف ترى في هذا الكتاب المبارك البعض من ذلك.

وقال: من أغمض عينيه فلكي يفكر في الخدائع، ومن عض على شفتيه فقد أتم الشر.

وقال: في وجه الفطن تضيء الحكمة، وعينا الجاهل في أقاسي الأرض.

وقال يشوع بن سيراخ: قلب الإنسان يغير وجهه إما إلى الخير وإما إلى الشرِ طلاقة الوجه من طيب القلب والبحث عن الأمثال يجهد الأفكار.

وقال:

من منـظره يعرف الرجل ومن استقبال وجهه يعرف العاقل. لبسة الرجل وضحكة الأسنان ومشية الإنسان تخبر بما هو عليه.

وورد عن عثمان وعلي رضي الله عنهما: انهما قالا:

ما أسر (أضمر) أحدٌ شيئًا إلّا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه.

وقال أحد المتفرسين:

إذا رأيت رجلاً خارجًا بالغداة وهو يقول: «وما عند الله خير وأبقى» فاعلم أن في جيرانه وليمة ولم يدع إليها، وإذا رأيت فقيراً يعدو فاعلم أنه في حاجة غنى، وإذا رأيت رجلاً خارجاً من عند الوالي وهو يقول: «ما شهدنا إلا بما علمنا» فاعلم أن شهادته لم تقبل، وإذا خرج من عند الوالي وهو يقول: «يد الله فوق أيديهم» فاعلم أنه صفع؟!.

وقال الإمام علي بن أبي طالب عن ابن عباس: «كان ينظر إلى الغيب من ستر رقيق:

وقال الشاعر:

الألمـعـي الـذي يظن بك الـظن
كأن قد رأى وقـد سـمـعـا

وقال آخر:

مليـح نجـيـح أخـو مـازن
فصـيح يحـدث بالـغـائـب

تخريج حديث الفراسة والكلام عليه سندًا ومتناً:

كل من ذكر الفراسة واثنى عليها وعلى أهلها استدل بالآيات السابقة المنزلة من لدن خبير عليم.

ثم يستدل بحديث: اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله.

فما صحة هذا الحديث؟.

فنقول وبالله التوفيق:

قد ورد هذا الحديث عنه جماعة من الصحابة نذكر منهم:

١ - أبو سعيد الخدري. وقد روى حديثه أبونعيم في الحلية (١٠/ ٢٨١، ٢٨٢) والترمذي (٤/ ١٣٢) وابن جرير في التفسير (١٤/ ٣١) والخطيب في التاريخ (٧/ ٢٤٢) والعقيلي في الضعفاء وأبوالشيخ في «الأمثال» (١٢٧) عن عمرو ابن قيس عن عطية العوفي عن أبي سعيد.. به وهذا إسناد ضعيف لضعف عطية العوفي.

٢ - أبو أمامة الباهلي. وحديثه رواه الطبراني وأبونعيم في الحلية (٦/ ١١٨) وابن عدي وابن عبدالبر في الجامع (١/ ١٩٦) من حديث أبوصالح عبدالله بن صالح: حدثني معاوية بن صالح عن راشد بن سعد عن أبي أمامة.. وهذا إسناد لا بأس فكيف وله شواهد ولذلك فقد حسنه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٦٨) والسيوطي في اللآلي (٢/ ٣٣٠) وشيخنا عبدالعزيز بن باز في تعليقاته على سنن الترمذي ومنه سمعت ذلك.. وقال أيضًا. والآية تدل عليه.. يعني قوله تعالى: ﴿إن في ذلك الآيات للمتوسمين﴾.

(٣ - ٤) وورد من حديث أبي هريرة وفيه سليمان بن أرقم. وورد أيضًا من حديث ابن عمرو فيه فرات بن السائب: متروك.

٥ - ورد من حديث ثوبان بلفظ: احذروا دعوة المسلم وفراسته فإنه ينظر بنور الله وبتوفيق الله. رواه الطبراني وأبونعيم والعسكري وابن جرير وأبو الشيخ

في الأمثال (١٢٨) وفيه مؤمل بن سعيد في حديثه نكارة.

٦ ـ ورد من حديث أبي الدرداء موقوفًا بلفظ:

اتقوا فراسة العلماء فإنهم ينظرون بنور الله، إنه شيء يقذفه الله في قلوبهم وعلى ألسنتهم رواه الديلمي.

٧ ـ ورد من حديث أنس مرفوعًا: «إن لله عبادًا يعرفون الناس بالتوسم» رواه الطبراني والبزار وأبي نعيم والقضاعي وحسن إسناده الهيثمي في المجمع والسخاوي وغيرهما.

٨ ـ ورد عن عروة مرسلاً إن النبي ﷺ قال: «إن لكل قوم فراسة وإنما يعرفها الأشراف، يعني المؤمنين، ويمكن حملها على ظاهرها» رواه الحاكم في المستدرك.

فتبين بهذه الطرق والشواهد إن الحديث حسن إن شاء الله ولم يصب من ضعفه. والله أعلم.

٩ ـ ومن الأدلة على الفراسة أيضًا من السنة هذا الحديث:

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: إنه كان فيما خلا قبلكم من الأمة ناس محدثون فإن يكن في أمتي أحدٌ فهو عمر بن الخطاب[1].

ومعنى قوله محدثون: فالمحدث هو الملهم يُلقى الشيء في روعه يريد قومًا يصيبون إذا ظنوا فكأنهم حدثوا بشيء فقالوه وتلك منزلة جليلة من منازل الأولياء.

---

(١) رواه البخاري ومسلم (٢٣٩٨).

أسباب قوة الفراسة

للفراسة الإيمانية القلبية أسباب منها:

١ ـ الإيمـــان العميـق بالله.

٢ ـ الإخـلاص لله في السـر والعلـن.

٣ ـ الإكثـــار من ذكر الله.

٤ ـ جودة القريحـة وقوة الذكـــاء.

٥ ـ صفاء الفكر وحدة الخاطر.

٦ ـ طهارة القلب من الشبهات والشهوات.

٧ ـ تفريغ القلب من هموم الدنيا.

٨ ـ الإبتعاد عن المعاصي والذنوب.

٩ ـ الأخلاق الحسنة في الباطن والظاهر.

١٠ ـ تقوى الله سبحانه وإفراده بالعبادة وحده.

١١ ـ حسن الفطنة وسرعة البديهة.

١٢ ـ ظهور العلامات والأدلة على المتفرّس فيه.

١٣ ـ أكـــل الحـــــــلال.

١٤ ـ غض البصر عن المحارم.

١٥ ـ تعمير الباطن بالمراقبة والظاهر بإتباع السنة.

١٦ ـ إنه نور وإلهام قلبي يقذفه الله في قلب من يشاء الله من عباده المؤمنين.

١٧ ـ مخالـفـــة الهـــوى.

١٨ ـ الصـدق. فإن الكـاذب لديه عمى وضباب وعدم وضوح الرؤية لنفسه فكيف لغيره؟.

١٩ ـ معرفة الفراسة الخلقية مثل الوجه والعين والأنف والصحة والمرض وغير ذلك فإنها دليل على الفراسة الإيمانية.

٢٠ ـ حياة القلب ونوره.

ولا أريد أن أطيل في هذه المقدمة وإلا فلديّ الكثير عن الفراسة.. ولكن نقول هي «من مدارك المعاني ومعالم المؤمنين الصادقين».

ونسأل الله أن يجعلنا من عباده المتفكرين المعتبرين المتبصرين.

معلوم أن فراسة الأنبياء وذكائهم وفطنتهم فوق الفطن فإليك بعض الشيء عنهم:

«فراسة إبراهيم عليه الصلاة والسلام»

فمن المنقول عن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام.

١ ـ عن ابن عباس قال: لما رأت سارة إبراهيم قد شغف بأم إسماعيل غارت غيرة شديدة، وحلفت لتقطعن عضواً من أعضاء هاجر، فبلغ ذلك هاجر، فلبست درعًا وجرت ذيلها، فهي أول نساء العالمين جرت الذيل، وإنما فعلت ذلك لتعفي أثرها في الطريق على سارة، فقال إبراهيم: هل لك في خير أن تعفي عنها وترضى بقضاء الله عزّ وجلّ؟ قالت: وكيف لي بما قد حلفت؟ قال: خفضيها[1]، فتكون سنة النساء وتبر يمينك. قالت: أفعل. فخفضتها فمضت السنة للنساء بالخفض منها.

---

(١) الخفض للإناث كالختان للذكور.

«فراسة إسماعيل وفطنته»

٢ - عن سعيد بن جبير قال، قال ابن عباس: لما شب إسماعيل تزوج امرأة من جرهم، فجاء إبراهيم فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته، فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشهم، فقالت: نحن بشر في ضيق وشدة وشكت إليه، فقال؛ فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له: يُغَيِّر عتبة بابه، فلما جاء فأخبرته قال: ذاك أبي وقد أمرني أن أفارقك إلحقي بأهلك[1].

«فراسة سليمان عليه الصلاة والسلام»

ومن المنقول عن سليمان عليه الصلاة والسلام:

٣ - عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**خرجت امرأتان ومعهما صبيان فعدا الذئب على أحدهما؛ فأخذتا يختصمان في الصبي الباقي فاختصمتا إلى داود عليه الصلاة والسلام، فقضي به للكبرى منهما، فمرّتا على سليمان عليه السلام، فقال: ما أمركما؟ فقصتا عليه القصة. فقال: ائتوني بالسكين أشق الغلام بينكما، فقالت الصغرى: أتشقه؟ قال: نعم، قالت: لا تفعل حظي منه لها، فقال: هو إبنك، فقضي به لها**» أخرجاه في الصحيحين.

٤ - عن وهب بن جرير، حدثنا أبي قال: سمعت عبدالله بن عبيد بن عمير يقول: بعث سليمان عليه السلام إلى مارد من مردة الجن فأتي به، فلما كان على باب سليمان أخذ عودًا فذرعه بذراعه ورمى به وراء الحائط، فوقع بين

---

(١) رواه البخاري وغيره.

يدي سليمان، فقال: ماهذا؟ فأخبر بما صنع المارد، قال: أتدرون ما أراد؟ قالوا: لا، قال: يقول أصنع ما شئت، فإنك تصير إلى مثل هذا من الأرض.

٥ ـ عن محمد بن كعب القرظي قال: جاء رجل إلى سليمان النبي ﷺ فقال: يانبي الله! إن لي جيرانًا يسرقون إوزي، فنادى: الصلاة جامعة، ثم خطبهم فقال في خطبته: واحدكم يسرق إوز جاره، ثم يدخل المسجد والريش على رأسه فمسح رجل برأسه فقال سليمان: خذوه فإنه صاحبكم.

«فطنة لقمان وفراسته»

٦ ـ عن مكحول أن لقمان الحكيم كان عبدًا نوبيًا أسود، وكان قد أعطاه الله تعالى الحكمة، وكان لرجل من بني إسرائيل اشتراه بثلاثين مثقالاً ونش. يعني نصف مثقال، وكان يعمل له، وكان مولاه يلعب بالنرد يقامر عليه، وكان على باب نهر جار، فلعب يومًا بالنرد على أن من قمر صاحبه شرب الماء الذي في النهر كله أو افتدى منه، وإن هو قمر صاحبه فعل به مثل ذلك قال: فقُمِر سيد لقمان، فقال له القامر: اشرب مافي النهر وإلا فافتد منه، قال: فسلني الفداء. قال: عينيك افقؤهما أو جميع ما تملك، قال: امهلني يومي هذا، قال: لك ذلك، قال: فأمسى كئيبًا حزينًا إذ جاءه لقمان وقد حمل حزمة على ظهره، فسلم على سيده ثم وضع ما معه ورجع إلى سيده، وكان سيده إذا رآه عبث به ويسمع منه الكلمة الحكيمة فيعجب منه، فلما جلس إليه قال لسيده: ما لي أراك كئيبًا حزينًا فأعرض عنه، فقال له الثانية مثل ذلك فأعرض عنه، ثم قال له الثالثة مثل ذلك فأعرض عنه، فقال له: أخبرني فلعل لك عندي فرجًا فقص عليه القصة، فقال له لقمان: لا تغتم فإن لك عندي فرجًا، قال: وماهو؟ قال: إذا أتاك الرجل فقال لك اشرب

ما في النهر، فقل له: أشرب مابين ضفتي النهر أو المد، فإنه سيقول لك اشرب مابين الضفتين، فإذا قال لك ذلك، فقل له احبس عني المد حتى أشرب ما بين الضفتين، فإنه لا يستطيع أن يحبس عنك المد، وتكون قد خرجت مما ضمنت له، فعرف سيده أنه قد صدق، فطابت نفسه، فلما أصبح جاءه الرجل، فقال له: فِ لي بشرطي، قال له: نعم أشرب مابين الضفتين أو المد، قال: لا بل مافي الضفتين، قال: فاحبس عني المد قال: كيف استطيع؟ قال: فخصمه، قال: فاعتقه مولاه.

«فراسة النبي ﷺ وقوة الفطنة لديه»

فأما ما حصل له بتلقي الوحي وتثقيفه، فذلك كثير وليس هو مرادنا ههنا.

٧ - علي رضي الله عنه قال: لما سار رسول الله ﷺ إلى بدر وجدنا عندها رجلين رجلاً من قريش ومولى لعقبة بن أبي معيط. فأما القرشي فأفلت، وأما مولى عقبة فأخذناه، فجعلنا نقول له: كم القوم؟ فيقول: هم والله كثير عددهم شديد بأسهم، فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه حتى انتهوا به إلى النبي ﷺ فقال له: كم القوم؟ فقال: هم والله كثير عددهم شديد بأسهم، فجهد النبي ﷺ أن يخبره كم هي فأبى، ثم أن النبي ﷺ سأله: كم ينحرون من الجزر؟ فقال: عشراً لكل يوم، فقال رسول الله ﷺ: القوم ألف كل جزور لمائة وتبعها.

٨ - عن أبي هريرة قال، قال رجل: يارسول الله! إن لي جار يؤذيني فقال: «إنطلق وأخرج متاعك إلى الطريق» فانطلق فأخرج متاعه فاجتمع الناس عليه، فقالوا: ما شأنك؟ قال: لي جار يؤذيني، فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فقال: انطلق واخرج متاعك إلى الطريق، فجعلوا يقولون: اللهم إلعنه. اللهم اخزه، فبلغه فأتاه، فقال: ارجع إلى منزلك فوالله لا أؤذيك.

٩ ـ عن زيد بن أسلم، أن رجلاً قال لحذيفة يا حذيفة: نشكو إلى الله صحبتكم رسول الله أدركتموه ولم ندركه، ورأيتموه ولم نره، فقال حذيفة: ونحن نشكو إلى الله إيمانكم به ولم تروه، والله ماتدري يا ابن أخي لو أدركته كيف كنت تكون. لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الخندق في ليلة باردة مظلمة مطيرة، وقد نزل أبوسفيان وأصحابه بالعرصة، فقال رسول الله ﷺ: «**من رجل يذهب فيعلم لنا علم القوم أدخله الله الجنة**». فما قام منا أحد، ثم قال: «**من رجل يذهب فيعلم لنا علم القوم جعله الله رفيق إبراهيم يوم القيامة**» فوالله ما قام منا أحد. فقال: «**من رجل يذهب فيعلم لنا علم القوم جعله الله رفيقي يوم القيامة**». فوالله ما قام أحد منا. فقال أبوبكر: يارسول الله! ابعث حذيفة. فقال رسول الله: «يا حذيفة» فقلت: لبيك يارسول الله بأبي أنت وأمي، فقال: «هل أنت ذاهب» فقلت: والله ما بي أن أقتل، ولكنني أخشي أن أؤسر. فقال: «إنك لن تؤسر» فقلت: مرني يارسول الله بما شئت. فقال: «**إذهب حتى تدخل بين ظهراني القوم فأت قريشا فقل يامعشر قريش إنما يريد الناس إذا كان غدًا أن يقولوا أين قريش، أين قادة الناس، أين رؤوس الناس، فيقدمونكم، فتصلون القتال فيكون القتل بكم، ثم ائت قيسًا فقل يامعشر قريش! إنما يريد الناس إذا كان غدًا أن يقولوا: أين أحلاس الخيل، أين الفرسان، فيقدمونكم فتصلون القتال فيكون القتل بكم**».

فانطلقت حتى دخلت بين ظهراني القوم، فجعلت اصطلي معهم على نيرانهم، وجعلت أبث ذلك الحديث الذي أمرني به، حتى إذا كان وجاء السحر قام أبوسفيان فدعا اللات والعزى وأشرك، ثم قال: «لينظر كل رجل من جليسه ومعي رجل منهم يصطلي على النار، فوثبت عليه، فأخذت بيده مخافة أن يأخذني فقلت: من أنت؟ فقال: فلان بن فلان. فقلت: أولى، وبعث الله عليهم تلك

الليلة الريح، فما تركت لهم بناءإلا هدمته ولا إنا إلا أكفأته ثم رحلوا.

١٠ ـ عن سعيد بن المسيب أن عائشة رضي الله عنها سئلت، هل كان رسول الله ﷺ يمزح؟ قالت: نعم. كان عندي عجوز، فدخل رسول الله ﷺ فقالت: ادع الله أن يجعلني من أهل الجنة. قال: «**إن الجنة لا تدخلها العجائز**» وسمع النداء، فخرج ودخل وهي تبكي، فقال: ما لها؟ قالوا: إنك حدثتها أن الجنة لا يدخلها العجائز. قال: «**إن الله يحولهن أبكارًا عربًا أترابًا**».

١١ ـ وعن القرشي قال: دخلت امرأة على رسول الله ﷺ فقال: «من زوجك»؟ فسمته له، فقال: «الذي في عينيه بياض»؟ فرجعت فجعلت تنظر إلى زوجها، فقال: ما لك؟ قالت قال رسول الله ﷺ: زوجك فلان قلت نعم. قال: الذي في عينيه بياض؟ قال: أو ليس البياض في عيني أكثر من السواد؟.

١٢ ـ عن أنس بن مالك قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ ليستحمله قال: «أنا حاملك على ولـد ناقة» قال: يارسول الله: وما أصنع بولد ناقة؟ قال: «وهل تلد الإبل إلا النوق».

١٣ ـ عن محمد بن سلمى، عن محمد بن اسحاق أن رسول الله ﷺ لما سار إلى بدر نزل قريبًا منها، ثم ركب هو ورجل من أصحابه. قال ابن اسحاق حدثني محمد بن يحيى بن حبان أنه وقف على شيخ، فسأله عن قريش، وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم، فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني من أنتما. فقال رسول الله ﷺ: إذا أخبرتنا أخبرناك. قال: وذاك بذاك، ثم قال الشيخ: إنه بلغني أن محمدًا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدقني الذي أخبرني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا بالمكان الذي فيه رسول الله ﷺ، وبلغنا أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدقني

الذي أخبرني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا بالمكان الذي به قريش، فلما فرغ من خبره قال: فمن أنتم؟ قال رسول الله ﷺ: نحن من ماء العراق، قال أحمد بن علي: أوهمه النبي ﷺ بأنه من العراق، فكان العراق يسمى ماء، وإنما أراد النبي ﷺ من العراق أنه خلق من نطفة ماء.

«فراسة أبي بكر وفطنته»

١٤ ـ فمن المنقول عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: عن ثابت عن أنس قال: لما هاجر رسول الله ﷺ كان رسول الله يركب، وأبوبكر رديفه. وكان أبوبكر يعرف الطريق لاختلافه إلى الشام، فكان يمر بالقوم فيقولون: من هذا بين يديك يا أبا بكر؟ فيقول: هاد يهديني.

١٥ ـ عن الحسن قال: لما خرج رسول الله ﷺ وأبوبكر من الغار لم يستقبلهما أحد يعرف أبابكر إلاَّ قال له من هذا معك يا أبابكر؛ فيقول: دليل يدلني الطريق. وصدق والله أبوبكر.

١٦ ـ عن الحسن قال: لما خرج رسول الله ﷺ وأبوبكر في الناس، فقال: «إن الله خيّر عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله عزّ وجلّ»[1]. قال: فبكى أبوبكر فعجبنا من بكائه أن خبر رسول الله ﷺ عن عبد خير فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبوبكر أعلمنا به.

فراسة عمر

ولله فراسة إمام المتفرسين، وشيخ المتوسمين: عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، الذي لم يكن تخطيء له فراسة. وكان يحكم بين الأمة بالفراسة المؤيدة بالوحي وقد قال ﷺ: إن الله وضع الحق على لسان عمر

(١) الحديث في الصحيح.

وقلبه. حديث صحيح رواه أحمد والترمذي، وقال عليّ: ما كُنّا نُبْعدُ أنّ السكينة تنطلق على لسان عمر رضي الله عنه» رواه البيهقي في الدلائل والبغوي في شرح السنة بإسناد لا بأس به.

وقال ابن عمر: ما نزل بالناس أمرٌ قط، فقالوا فيه.

وقال فيه عمر رضي الله عنه إلا نزل فيه القرآن على نحو ما قال» رواه ابن حبان.

١٧ ـ قال الليث بن سعد: أُتي عمر بن الخطاب يوما بفتى أمرد، وقد وُجد قتيلا ملقى على وجه الطريق. فسأل عمر عن أمره واجتهد، فلم يقف له على خبر. فشق ذلك عليه؛ فقال: اللهم أظفرني بقاتله، حتى إذا كان على رأس الحول وجد صبي مولود مُلقى بموضع القتيل، فأُتي به عمر؛ فقال: ظفرت بدم القتيل إن شاء الله تعالى؛ فدفع الصبي إلى امرأة، وقال لها: قومي بشأنه، وخذي منا نفقته، وانظري من يأخذه منك؛ فإذا وجدت امرأة تقبِّله وتضمه إلى صدرها فأعلميني بمكانها.

فلما شبَّ الصبي جاءت جارية، فقالت للمرأة: إن سيدتي بعثتني إليك لتبعثي بالصبي لتراه وترده إليك. قالت: نعم، اذهبي به إليها، وأنا معك، فذهبت بالصبي والمرأة معها، حتى دخلت على سيدتها. فلما رأته أخذته فقبَّلته وضمته إليها؛ فإذا هي ابنة شيخ من الأنصار من أصحاب رسول الله، ﷺ، فأتت عمر فأخبرته، فاشتمل على سيفه. ثم أقبل إلى منزل المرأة. فوجد أباها متكئًا على باب داره؛ فقال له: يافلان. ما فعلت ابنتك فلانة؟ قال: جزاها الله خيراً يا أمير المؤمنين. هي من أعرف الناس بحق أبيها مع حسن صلاتها، والقيام بدينها. فقال عمر: قد أحببت أن أدخل إليها، فأزيدها رغبة في الخير وأحثها عليه؛ فدخل أبوها، ودخل عمر معه. فأمر عمر من عندها فخرج، وبقي هو والمرأة في البيت،

فكشف عمر عن السيف، وقال: اصدقيني وإلا ضربت عنقك، وكان لا يكذب. فقالت: على رِسلك، فو الله لأصدقن: إن عجوزًا كانت تدخل عليَّ فأتخذها أمًا، وكانت تقوم من أمري بما تقوم به الوالدة. وكنت لها بمنزلة البنت، حتى مضى لذلك حين، ثم إنها قالت: يابنية، إنه قد عرض لي سفر، ولي ابنة في موضع أتخوف عليها فيه أن تضيع، وقد أحببت أن أضمها إليك حتى أرجع من سفري، فعمدت إلى ابن لها شاب أمرد، فهيأته كهيئة الجارية، وأتتني به لا أشك أنه جارية فكان يرى مني ما ترى الجارية من الجارية حتى اغتفلني يومًا وأنا نائمة. فما شعرت حتى علاني وخالطني، فمددت يدي إلى شفرة كانت إلى جانبي فقتلته، ثم أمرت به فألقى حيث رأيت، فاشتملت منه على هذا الصبي، فلما وضعته ألقيته في موضع أبيه، فهذا والله خبرهما على ما أعلمتك فقال: صدقت، ثم أوصاها، ودعا لها وخرج. وقال لأبيها: نعمت الإبنة ابنتك، ثم انصرف.

١٨ ـ عن سالم عن ابن عمر قال: ما سمعت عمر يقول لشيء قط إني لأظنه إلا كان كما يظن. فقال: لقد أخطأ ظني، أو إن هذا على دينه في الجاهلية، أو لقد كان كاهنهم، عليّ الرجل فدعى به فقال له فقال: ما رأيت كاليوم استقبل به رجلاً مسلماً. قال: فإني أعزم عليك إلا ما أخبرتني قال كنت كاهنهم في الجاهلية، قال: فما أعجب ما جاءتك به جنتك؟ قال بينما أنا في السوق يومًا جاءتني أعرف فيها الفزع فقالت: ألم تر الجنّ وإبلاسها ويأسها من بعد أنكاسها؟ ولحوقها بالقلاص وأحلاسها.

قال عمر صدق بينما أنا نائم عند آلهتهم جاء رجل بعجل فذبحه فصرخ به صارخ لم أسمع صارخًا قط أشد صوتًا منه يقول: يا جليح أمر نجيح، رجل فصيح، يقول لا إله إلا الله فوثب القوم، فقلت: لا أبرح حتى أعلم ماوراء هذا. ثم نادى يا جليح أمر نجيح، رجل فصيح يقول لا إله إلا الله. فقمت فما

نشبنا أن قيل هذا نبي تفرد به البخاري.

١٩ ـ وقال مالك عن يحيى بن سعيد. إن عمر بن الخطاب قال لرجل: «ما اسمك؟ قال: جمرة. قال: ابن من؟ قال: ابن شهاب. قال: ممن؟ قال: من الحرقة. قال: أين مسكنك؟ قال: بحرة النار: قال: أيها؟ قال: بذات لظى. فقال عمر: أدرك أهلك، فقد احترقوا». فكان كما قال.

القرآن ينزل بموافقة عمر:

٢٠ ـ ومن فراسته التي تفرد بها عن الأمة أنه قال: «يارسول الله، لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى؟ فنزلت: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾.

٢١ ـ وقال: «يارسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبن؟ فنزلت آية الحجاب».

٢٢ ـ واجتمع على رسول الله ﷺ نساؤه في الغيرة، فقال لهن عمر: «عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيراً منكن» فنزلت كذلك.

٢٣ ـ وشاوره رسول الله ﷺ، في أُسارى يوم بدر، فأشار بقتلهم. ونزل القرآن بموافقته[1].

٢٤ ـ وروي عن عمر إنه خرج يعس المدينة بالليل فرأى نارًا موقدة في خباء، فوقف وقال: يا أهل الضوء وكره أن يقول يا أهل النار. وهذا من غاية الذكاء.

٢٥ ـ وروي عنه أيضًا إنه قال لرجل عرس هل كان؟ فقال: لا أطال الله بقاك؟.

فقال عمر: قد علمتم فلم تتعلموا. هلا قلت لا وأطال الله بقاك.

---

(١) رواه البخاري في عدة مواضع من صحيحه ومسلم (٢٣٩٩) وأحمد (١/٢٣، ٢٤، ٣٦، ٣٧).

«فراسة عثمان رضي الله عنه»

٢٦ ـ ودخل رجل على عثمان رضي الله عنه، فقال له عثمان: «يدخل عليَّ أحدكم والزنا في عينيه، فقال: أوحى بعد رسول الله ﷺ؟ فقال: لا، ولكن فراسة صادقة».

٢٧ ـ ومن هذه الفراسة: أنه رضي الله عنه، لما تفرس أنه مقتول ولابد أمسك عن القتال، والدفع عن نفسه، لئلا يجري بين المسلمين قتال، وآخر الأمر يقتل. فأحب أن يقتل من غير قتال يقع بين المسلمين.

فراسة علي بن أبي طالب رضي الله عنه

٢٨ ـ وقال الأصبغ بن نباتة: بينا علي رضي الله عنه جالس في مجلسه، إذ سمع ضجة. فقال: ما هذا! فقالوا: رجل سرق، ومعه من يشهد عليه، فأمر بإحضارهم فدخلوا. فشهد شاهدان عليه. أنه سرق درعًا. فجعل الرجل يبكي، ويناشد عليًا أن يتثبت في أمره.

فخرج علي إلى مجتمع الناس بالسوق، فدعا بالشاهدين فناشدهما الله وخوفهما، فأقاما على شهادتهما، فلما رآهما لا يرجعان دعا بالسكين وقال: ليمسك أحدكما يده ويقطع الآخر، فتقدما ليقطعاه، فهاج الناس، واختلط بعضهم ببعض، وقام علي عن الموضع، فأرسل الشاهدان يد الرجل وهربا. فقال علي: من يدلني على الشاهدين الكاذبين! فلم يوقف لهما على خبر، فخلى سبيل الرجل.

وهذا من أحسن الفراسة، وأصدقها، فإنه ولي الشاهدين من ذلك ما توليا، وأمرهما أن يقطعا بأيديهما من قطعا يده بألسنتهما.

ومن ههنا قالوا: إنه يبدأ الشهود بالرجم إذا شهدوا بالزنا.

٢٩ ـ وجاءت إلى علي رضي الله عنه امرأة، فقالت: إن زوجي وقع على جاريتي بغير أمري. فقال للرجل: ما تقول! قال: ما وقعت عليها إلا بأمرها. فقال: إن كنت صادقة رجمته. وإن كنت كاذبة جلدتك الحد، وأقيمت الصلاة، وقام ليصلي. ففكرت المرأة في نفسها فلم ترى لها فرجًا في أن يرجم زوجها ولا في أن تجلد. فولت ذاهبة ولم يسأل عنها عليّ.

٣٠ ـ رُفعت امرأة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنها قد زنت فسألها عن ذلك؟ فقالت: نعم يا أمير المؤمنين، وأعادت ذلك وأيدته.

فقال علي: إنها لتستهل به استهلال من لا يعلم أنه حرام. فدرأ عنها الحد. وهذا من دقيق الفراسة.

٣١ ـ ومن قضايا علي رضي الله عنه: أنه أتى برجل وجد في خَربة بيده سكين ملطخة بدم، وبين يديه قتيل يتشحط في دمه، فسأله، فقال: أنا قتلته.

قال: اذهبوا به فاقتلوه.

فلما ذُهب به، أقبل رجل مسرعًا فقال: ياقوم، لا تعجلوا. ردوه إلى عليّ. فردوه.

فقال الرجل: يا أمير المؤمنين: ماهذا صاحبه. أنا قتلته.

فقال عليّ للأول: ما حملك على أن قلت: أنا قاتله، ولم تقتله. قال: يا أمير المؤمنين، وما أستطيع أن أصنع، وقد وقف العسس على الرجل يتشحط في دمه، وأنا واقف، وفي يدي سكين وفيها أثر الدم وقد أخذت في خربة؛ فخفت ألا يقبل مني، وأن يكون قسامة. فاعترفت بما لم أصنع، واحتسبت نفسي عند الله.

فقال عليّ: بئسما صنعت: فكيف كان حديثك؟.

قال: إني رجل قصَّاب، خرجت إلى حانوتي في الغلس، فذبحت بقرة وسلختها. فبينما أنا أسلخها والسكين في يدي أخذني البول. فأتيت خربة كانت

بقربي فدخلتها، فقضيت حاجتي، وعدت أريد حانوتي، فإذا أنا بهذا المقتول يتشحط في دمه فراعني أمره، فوقفت أنظر إليه والسكين في يدي فلم أشعر بأصحابك قد وقفوا عليّ، فأخذوني فقال الناس: هذا قتل هذا. ماله قاتل سواه، فأيقنت أنك لا تترك قولهم لقولي، فاعترفت بما لم أجنه فقال عليّ للمقر الثاني: فأنت كيف قصتك؟.

فقال: أغواني إبليس، فقتلت الرجل طمعًا في ماله، ثم سمعت حسّ العس، فخرجت من الخربة، واستقبلت هذا القصاب على الحال التي وصفت فاسترت منه ببعض الخربة وأتوك به. فلما أمرت بقتله، علمت أني سأبوء بدمه أيضًا، فاعترفت بالحق.

فقال للحسن: ما الحكم في هذا! قال: يا أمير المؤمنين إن كان قد قتل نفسًا فقد أحيا نفسًا وقد قال الله تعالى: ﴿ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا﴾ فخلى عليّ عنهما. وأخرج دية القتيل من بيت المال.

فائدة: وهذا إن وقع صلحًا برضاء الأولياء فلا إشكال ولحكم أمير المؤمنين وجه قوي[1].

٣٢ ـ عن أبي البحتري جاء رجل إلى علي بن أبي طالب، فأطراه وكان يبغضه، فقال له: إني ليس كما تقول وأنا فوق ما في نفسك.

٣٣ ـ عن عبدالله بن سلمة قال: سمعت عليًا يقول بمسكن: لا أغسل رأسي بغسل حتى آتي البصرة وأحرقها وأسوق الناس بعصاي إلى مصر قال، فأتيت أبا مسعود البدري، فأخبرته أن عليًا يورد الأمور مواردها لا يحسنون يصدرونها على رجل أصلع إنما رأسه مثل الطست، إنما حوله زغيبات أو قال شعيرات.

---

(١) وانظر السياسة الشرعية لابن القيم ص: ٧٩ ـ ٨١.

٣٤ ـ عن سماك بن حرب، عن خنبش بن المعتمر أن رجلين أتيا امرأة من قريش، فاستودعاها مائة دينار وقالا: لا تدفعيها إلى واحد منا دون صاحبه حتى نجتمع، فلبثا حولاً، فجاء أحدهما إليها، فقال إن صاحبي قد مات، فادفعي إليَّ الدنانير، فأبت وقالت: إنكما قلتما لا تدفعيها إلى واحد منا دون صاحبه، فلست بدافعتها إليك، فثقل عليها بأهلها وجيرانها فلم يزالوا بها حتى دفعتها إليه، ثم لبثت حولاً فجاء الآخر، فقال ادفعي إليَّ الدنانير، فقالت: إن صاحبك جاءني، فزعم أنك مت فدفعتها إليه، فاختصما إلى عمر بن الخطاب، فأراد أن يقضي عليها، فقالت: أنشدك الله أن تقضي بيننا أرفعنا إلى عليّ، فرفعهما إلى عليّ وعرف أنهما قد مكرا بها، فقال: أليس قد قلتما لا تدفعيها إلى واحد منا دون صاحبه؟ قال: بلى. قال: فإن مالك عندنا، فاذهب فجيء بصاحبك حتى ندفعها إليكما.

٣٥ ـ وروى محمد، عن أبيه، عن علي أنه جيء برجل حلف، فقال: إمرأته طالق ثلاثًا إن لم يطأها في شهر رمضان نهارًا، فقال تسافر بها ثم لتجامعها نهارًا.

٣٦ ـ وأتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجل أسود، ومعه امرأة سوداء فقال: يا أمير المؤمنين، إني أغرس غرسًا أسود، وهذه سوداء على ما ترى، فقد أتتني بولد أحمر. فقالت المرأة: والله يا أمير المؤمنين ما خنته، وإنه لولده فبقي عمر لا يدري ما يقول. فسئل عن ذلك عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقال للأسود: إن سألتك عن شيء أتصدقني؟ قال: أجل والله. قال: هل واقعت امرأتك وهي حائض؟ قال: قد كان ذلك.

قال عليّ: الله أكبر، إن النطفة إذا خلطت بالدم فخلق الله عز وجل منها خلقًا كان أحمر. فلا تنكر ولدك: فأنت جنيت على نفسك.

علي يفضح محتاله:

٣٧ ـ وقال جعفر بن محمد: أتي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بامرأة قد تعلقت بشاب من الأنصار، وكانت تهواه، فلما لم يساعدها احتالت عليه، فأخذت بيضة فألقت صفرتها، وصبت البياض على ثوبها وبين فخذيها.

ثم جاءت إلى عمر صارخة، فقالت: هذا الرجل غلبني على نفسي وفضحني في أهلي، وهذا أثر فعاله.

فسأل عمر النساء فقلن له: إن ببدنها وثوبها أثر المني.

فهمَّ بعقوبة الشاب فجعل يستغيث ويقول: يا أمير المؤمنين، تثبت في أمري، فو الله ما أتيت فاحشة وما هممت بها، فلقد راودتني عن نفسي فاعتصمت.

فقال عمر: يا أبا الحسن ما ترى في أمرهما؟ فنظر عليّ إلى ما على الثوب. ثم دعا بماء حار شديد الغليان، فصبَّ على الثوب فجمد ذلك البياض، ثم أخذه واشتمه وذاقه، فعرف طعم البيض وزجر المرأة فاعترفت.

الحكم في دعوى العنة:

* قلت: ويشبه هذا ماذكره الخرقي وغيره عن أحمد: أن المرأة إذا ادعت أن زوجها عنين، وأنكر ذلك وهي ثيب، فإنه يخلى معها في بيت، ويقال له: أخرج ماءك على شيء، فإن ادعت أنه ليس بمني جعل على النار، فإن ذاب فهو مني، وبطل قولها. وهذا مذهب عطاء بن أبي رباح.
* وهذا حكم بالأمارات الظاهرة، فإن المني إذا جعل على النار ذاب واضمحل، وإن كان بياض بيض تجمع ويبس، فإن قال: أنا أعجز عن إخراج مائي، صح قولها.
* ويشبه هذا: ماذكره بعض القضاة: أن زوجين ترافعا إليه، وادعى كل منهما:

أن الآخر عذبوط يغوط عند الجماع وتناكرا، فأمر أن يطعم أحدهما تينًا، والآخر قِثَّاء، فعلم صاحب العيب بذلك.

علي يفرق بين المتهمين:

٣٨ ـ وقال الأصبغ بن نباتة: إن شابًّا شكا إلى عليّ رضي الله عنه نفرًا، فقال: إن هؤلاء خرجوا مع أبي في سفر. فعادوا ولم يعد أبي، فسألتهم عنه فقالوا: مات. فسألتهم عن ماله؟ فقالوا: ما ترك شيئًا، وكان معه مال كثير. وترافعنا إلى شريح، فاستحلفهم وخلى سبيلهم، فدعا عليٌّ بالشرط، فوكل بكل رجل رجلين وأوصاهم ألا يمكنوا بعضهم أن يدنوا من بعض ولا يدعوا أحدًا يكلمهم، ودعا كاتبه، ودعا أحدهم.

فقال: أخبرني عن أبي هذا الفتى؛ في أي يوم خرج معكم؟ وفي أي منزل نزلتم؟ وكيف كان سيركم؟ وبأي علة مات؟ وكيف أصيب بماله؟ وسأله عمَّن غسَّله ودفنه، ومن تولَّى الصلاة عليه، وأين دفن، ونحو ذلك، والكاتب يكتب، ثم كبر عليّ فكبر الحاضرون، والمتهمون لا علم لهم إلا أنهم ظنوا أن صاحبهم قد أقرَّ عليهم.

ثم دعا آخر بعد أن غيَّب الأول من مجلسه، فسأله كما سأل صاحبه، ثم الآخر كذلك حتى عرف ما عند الجميع.

فوجد كل واحد منهم يخبر بضد ما أخبر به صاحبه، ثم أمر برد الأول، فقال: يا عدو الله، قد عرفتُ غدرك وكذبك بما سمعت من أصحابك، وما ينجيك من العقوبة إلا الصدق، ثم أمر به إلى السجن وكبَّر وكبَّر معه الحاضرون. فلما أبصر القوم الحال لم يشكوا أن صاحبهم أقر عليهم، فدعا آخر منهم، فهدده، فقال: يا أمير المؤمنين، والله لقد كنت كارهًا لما صنعوا، ثم دعا الجميع فأقروا بالقصة، واستدعى الذي في السجن، وقيل له: قد أقر أصحابك ولا

ينجيك سوى الصدق؛ فأقر بمثل ما أقر به القوم، فأغرمهم المال، وأقاد منهم بالقتيل.

٣٩ ـ قال ابن القيِّم: ورأيت في أقضية عليّ رضي الله عنه نظير هذه القضية، وأن المضروب ادعى أنه أخرس. وأمر أن يخرج لسانه وينخس بإبرة فإن خرج الدم أحمر: فهو صحيح اللسان، وإن خرج أسود: فهو أخرس.

٤٠ ـ وقال أصبغ بن نباتة: قيل لعلي رضي الله عنه في فداء أسرى المسلمين من أيدي المشركين فقال: فادوا منهم من كانت جراحاته بين يديه، دون من كانت من ورائه. فإنه فار.

٤١ قال: وأوصى رجل إلى آخر: أن يتصدق عنه من هذه الألف دينار بما أحب، فتصدق بعشرها، وأمسك الباقي فخاصموه إلى عليّ.

وقالوا: يأخذ النصف ويعطينا النصف.

فقال: أنصفوك.

قال: إنه قال لي: أخرج منها ما أحببت.

قال: فأخرج عن الرجل تسعمائة، والباقي لك. قال: وكيف ذلك؟.

قال: لأن الرجل أمرك أن تخرج ما أحببت، وقد أحببت التسعمائة فأخرجها.

٤٢ ـ وقضى في رجلين حُرين يبيع أحدهما صاحبه على أنه عبد، ثم يهربان من بلد إلى بلد ـ بقطع أيديهما، لأنهما سارقان لأنفسهما ولأموال الناس.

قلت: وهذا من أحسن القضاء، وهو الحق، وهما أولى بالقطع من السارق المعروف، فإن السارق إنما قطع ـ دون المنتهب والمغتصب ـ لأنه لا يمكن التحرز منه. ولهذا قطع النباش[1]، ولهذا جاءت السنة بقطع جاحد العارية[2].

---

(١) الذي ينبش القبور ويسرق الأكفان.

(٢) كما في قصة فاطمة المخزومية التي أنكرت العارية، فأمر الرسول بقطع يدها.

٤٣ - وقضى عليٌ أيضًا في امرأة تزوجت، فلما كان ليلة زفافها أدخلت صديقها الحجلة[٣] سراً، وجاء الزوج فدخل الحجلة، فوثب إليه الصديق فاقتتلا، فقتل الزوج الصديق.

فقامت إليه المرأة فقتلته، فقضى بدية الصديق على المرأة، ثم قتلها بالزوج، وإنما قضى بدية الصديق عليها: لأنها هي التي عرضته لقتل الزوج له، فكانت هي المتسببة في قتلة، وكانت أولى بالضمان من الزوج المباشر، لأن المباشر قتله قتلا مأذونًا فيه، دفعًا عن حرمته، فهذا من أحسن القضاء الذي لا يهتدي إليه كثير من الفقهاء، وهو الصواب.

٤٤ - وقضى في رجل فرَّ من رجل يريد قتله، فأمسكه له آخر، حتى أدركه فقتله. وبِقُرْبه رجل ينظر إليهما، وهو يقدر على تخليصه، فوقف ينظر إليه حتى قتله.

فقضى أن يقتل القاتل، ويحبس الممسك حتى يموت، وتفقأ عين الناظر الذي وقف ينظر ولم ينكر.

* فذهب الإمام أحمد وغيره من أهل العلم: إلى القول بذلك، إلا في فقء عين الناظر، ولعل عليًا رأى تعزيره بذلك، مصلحة للأمة.

وله مساغ في الشرع في مسألة فقء عين الناظر إلى بيت الرجل من خص أو طاقة، كما جاءت بذلك السنة الصحيحة الصريحة، التي لا معارض لها ولا دافع، لكونه جني على صاحب المنزل، ونظر نظرًا محرمًا، لا يحل له أن يقدم عليه. فجوز له النبي ﷺ أن يحذفه فيفقأ عينه، وهذا مذهب الشافعي، وأحمد.

من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم:

* وفي الصحيح، ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «من

(٣) بيت العروس يزين بالثياب والأسرة والستائر.

اطلع في بيت قوم بغير إذنهم، ففقأوا عينه، فلا دية له، ولا قصاص».

وفي الصحيحين من حديث الزهري، عن سهل قال: «اطلع رجل في حجرة رسول الله ﷺ، ومعه مدري يحك بها رأسه، فقال: لو أعلم أنك تنظر لطعنت بها في عينك، إنما جعل الاستئذان من أجل النظر».

وفي صحيح مسلم عنه: «أن رجلا اطلع على النبي ﷺ من سترة الحجرة، وفي يد النبي ﷺ مدرى، فقال: لو أعلم أن هذا يُنظرني حتى آتية لطعنت بالمدرى في عينه، وهل جعل الاستئذان إلا من أجل البصرة؟».

٤٥ ـ قال رجل من اليهود لعلي بن أبي طالب. مادفنتم نبيكم حتى قالت الأنصار منا أمير ومنكم أمير، فقال له علي عليه السلام: أنتم ما جفت أقدامكم من ماء البحر حتى قلتم: ﴿اجْعَلْ لنا إلهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾(٢).

٤٦ ـ وعن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه قال: خاصم غلام من الأنصار أمه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجحدته. فسأله البينة. فلم تكن عنده.

وجاءت المرأة بنفر، فشهدوا أنها لم تتزوج وأن الغلام كاذب عليها، وقد قذفها. فأمر عمر بضربه. فلقيه عليّ رضي الله عنه. فسأل عن أمرهم، فأخبر، فدعاهم، ثم قعد في مسجد النبي ﷺ، وسأل المرأة فجحدت، فقال للغلام: اجحدها كما جحدتك. فقال: يا ابن عم رسول الله ﷺ، إنها أمي. قال: اجحدها، وأنا أبوك والحسن والحسين أخواك. قال: قد جحدتها، وأنكرتها. فقال عليّ لأولياء المرأة أمرى في هذه المرأة جائز؟ قالوا: نعم، وفينا أيضًا. فقال عليّ: أشهد من حضر أنى قد زوجت هذا الغلام من هذه المرأة الغريبة منه، يا قنبر ائتني بطينة فيها دراهم، فأتاه بها. فعد أربعمائة وثمانين درهما، فدفعها مهرًا لها، وقال

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٣٨.

للغلام: خذ بيد امرأتك، ولا تأتنا إلا وعليك أثر العرس.

فلما ولى قالت المرأة: يا أبا الحسن! الله الله هو النار، هو والله ابني.

قال: وكيف ذلك؟ قالت إن أباه كان هجينا[1] وإن إخوتي زوجوني منه، فحملت بهذا الغلام. وخرج الرجل غازيًا فقتل، وبعثت بهذا إلى حى بني فلان، فنشأ فيهم، وأنفت أن يكون ابني، فقال علي: أنا أبو الحسن، وألحقه بها. وثبت نسبه.

علي يستدرك على عمر:

٤٧ ـ ومن ذلك: أن عمر بن الخطاب سأل رجلا: كيف أنت؟ فقال: ممن يحب الفتنة، ويكره الحق، ويشهد على مالم يره فأمر به إلى السجن، فأمر عليّ برده. وقال: صدق. قال: كيف صدقته؟ قال: يحب المال والولد. وقد قال تعالى: ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾[2] ويكره الموت، وهو حق، ويشهد أن محمدًا رسول الله، ولم يره، فأمر عمر رضي الله عنه بإطلاقه. وقال: الله أعلم حيث يجعل رسالاته.

«فراسة سعد بن أبي وقاص»

هو سعد بن أبي وقاص بن مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري أبو اسحاق، أسلم وهو ابن ١٧ سنة، وشهد بدراً وغيرها من المشاهد، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة وآخرهم موتًا، كان أحد الفرسان وهو أول من رمي بسهم

---

(١) يقال: رجل هجين، إذا كانت أمه (أمة) وهذا هو المقصود هنا ـ بخلاف النسخ الأخرى فقد حرفتها إلى (زنجي) وانظر السياسة الشرعية لابن قيم.

(٢) سورة التغابن، الآية: ١٥.

في سبيل الله مات سنة خمس وخمسين[1] على الراجح وكان رضي الله عنه ذو فراسة صادقة وإليك هذه القصة التي تدل على ذلك.

٤٨ - عن بكير بن سمار عن عامر بن سعد: أن أخاه عُمر انطلق إلى سعد في غنم له خارجًا من المدينة فلما رآه سعد قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب!! فلما أتاه قال: يا أبت، أرضيت أن تكون أعرابيًا في غنمك والناس يتنازعون في الملك في المدينة؟! فضرب سعد صدر عُمر، وقال: اسكت، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله عزّ وجلّ يحب العبد التقي، الغني الخفي[2].

وقد صدق سعد في فراسته في ابنه عمر، إذ استعاذ بالله من شره، فلعله كان يعرف عنه التطلع إلى الفتن السياسية والطمع في الامارة فكان أن ابتلي عمر هذا بالدخول في أكبر فتنة، فاستعمله عبيد الله بن زياد على الري وهمدان، ثم أمره حين قدم الحسين إذ هدده ابن زياد بعزله وهدم داره، فكان على رأس الجيش الذي قتل شهيد كربلاء الحسين بن علي رضي الله عنهما ثم انتقم الله للحسين بن علي، لما غلب المختار بن أبي عبيد على الكوفة قتل عمر بن سعد وابنه حفصًا.

«فراسة خزيمة بن ثابت»

٤٩ - ومن المنقول عن خزيمة بن ثابت، عن الزهري قال أخبرنا عمارة ابن خزيمة الأنصاري أن عمه حدثه أن النبي ﷺ ابتاع فرسًا من أعرابي فاستتبعه النبي ﷺ ليقضيه ثمن فرسه، فأسرع النبي ﷺ المشي، وأبطأ

---

(١) انظر في ترجمته: الطبقات لابن سعد (١٢٧/٣) الاستيعاب ١٨/٢ أسد الغابة (٢٩٠/٢) الاصابة (١/٢).

(٢) رواه مسلم وأحمد في المسند.

الأعرابي فطفق رجال يعترضون الأعرابي، فيساومون الفرس لا يشعرون أن النبي ﷺ ابتاعه حتى زاد بعضهم للأعرابي في السوم على ثمن الفرس الـذي ابتـاعه به النبي ﷺ، فنادى الأعرابي النبي ﷺ فقال: إن كنت مبتاعًا هذا الفرس فابتعه وإلا بعته. فقام النبي ﷺ: «**أليس قد ابتعته منـك**»؟ قال: لا. فطفق النـاس يلوذون بالنبي ﷺ والأعـرابي وهمـا يتراجعان. فطفق الأعرابي يقول: هلم شهيدًا يشهد أني قد بايعتك، فمن جاء من المسلمين، قال للأعرابي: ويلك إن النبي ﷺ لا يقول إلا حقًا، حتى جاء خزيمـة فاستمع لمراجعة النبي ﷺ ومراجعة الأعرابي. فطفق الأعـرابي يقـول: هلم شهيدًا يشهد إني قد بايعتك. فقال خزيمة: أنا أشهد أنك قد بايعته. فأقبل النبي ﷺ على خزيمة فقال: «**بم تشهد**»؟ فقال: بتصديقك يارسول الله، فجعل النبي ﷺ شهادة خزيمة بشهادة رجلين.

وفي رواية: أن النبي ﷺ قال لخزيمة: لم تشهد ولم تكن معنا؟ قال: يارسول الله أنا أصدقك بخبر السماء، أفلا أصدقك بما تقول[1]؟.

«فراسة حذيفة بن اليمان»

٥٠ ـ ومنها: فراسة حذيفة بن اليمان، وقد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم عينًـا إلى المشركـين فجلس بينهم. فقـال أبـوسفيان: لينـظر كل منكم جليسه. فبادر حذيفة وقال لجليسه: من أنت؟ فقال فلان بن فلان.

---

(١) رواه أحمد (٥/٢١٦ و ٢١٧) وأبوداود (٣٦٠٧) وغيرهما وهو حديث صحيح.

«فراسة المغيرة بن شعبة»

٥١ ـ ومنها: فراسة المغيرة بن شعبة، وقد استعمله عمر على البحرين. فكرهه أهلها فعزله عمر عنهم، فخافوا أن يرده عليهم.

فقال دهقانهم: إن فعلتم ما آمركم به لم يرده علينا. قالوا: مرنا بأمرك. قال: تجمعون مائة ألف درهم، حتى أذهب بها إلى عمر، وأقول: إن المغيرة اختان هذا ودفعه إليَّ. فجمعوا ذلك. فأتى عمر فقال: ياأمير المؤمنين، إن المغيرة اختان هذا، فدفعه إليَّ.

فدعا عمر المغيرة، فقال: ما يقول هذا؟ قال: كذب، أصلحك الله. إنما كانت مائتي ألف.

فقال: ما حملك على ذلك؟ قال: العيال والحاجة.

فقال عمر للدهقان: أتعلم ما تقول؟ فقال: لا والله، لأصدقنك. والله ما دفع إليَّ قليلاً ولا كثيرًا، ولكن كرهناه وخشينا أن ترده علينا.

فقال عمر للمغيرة: ما حملك على هذا؟ قال: إن الخبيث كذب عليَّ فأردت أن أخزيه.

٥٢ ـ وخطب المغيرة بن شعبة وفتى من العرب امرأة. وكان الفتى جميلاً طريراً فأرسلت إليهما المرأة: لابد أن أراكما، وأسمع كلامكما، فأحضرا إن شئتما.

فأجلستهما بحيث تراهما.

فعلم المغيرة أنها تؤثر عليه الفتى، فأقبل عليه، فقال: لقد أوتيت حسنًا وجمالاً وبيانًا. فهل عندك سوى ذلك؟ قال: نعم. فعدَّد عليه محاسنه، ثم سكت.

فقال المغيرة: فكيف حسابك، فقال لا يسقط عليَّ منه شيء، وإني

لأستدرك منه أقل من الخردلة.

فقال له المغيرة: لكني أضع البَدْرَةَ في زاوية البيت، فينفقها أهل بيتي على ما يريدون، فما أعلم بنفادها حتي يسألوني غيرها. فقالت المرأة: والله لهذا الشيخ الذي لا يحاسبني أحب إليّ من الذي يحصي عليّ أدنى من الخردلة. فتزوجت المغيرة.

«فراسة عمرو بن العاص»

٥٣ ـ ومنها: فراسة عمرو بن العاص لما حاصر غزة. فبعث إليه صاحبها: أن أرسل إلى رجلاً من أصحابك أكلمه. ففكر عمرو بن العاص، وقال: ما لهذا الرجل غيري، فخرج حتى دخل عليه، فكلمه كلامًا لم يسمع مثله قط. فقال له: حدثني، هل أحد من أصحابك مثلك؟ فقال: لا تسل، من هواني عندهم بعثوني إليك، وعرضوني لما عرضوني. ولا يدرون ما يصنع بي.

فأمر له بجائزة وكسوة. وبعث إلى البواب: إذا مر بك فاضرب عنقه، وخذ ما معه.

فمر برجل من نصارى غسان فعرفه. فقال: ياعمرو قد أحسنت الدخول، فأحسن الخروج.

فرجع، فقال له الملك: ما ردك إلينا؟ قال: نظرت فيما أعطيتني فلم أجد ذلك يسع من معي من بني عمي. فأردت الخروج، فآتيك بعشرة منهم تعطيهم هذه العطية فيكون معروفك عند عشرة رجال خيرًا من أن يكون عند واحد.

قال: صدقت عجِّل بهم.

وبعث إلى البواب: خلّ سبيله.

فخرج عمرو وهو يلتفت، حتى إذا أمن قال: لا عدت مثلها.

فلما كان بعد رآه الملك، فقال: أنت هو؟ قال: نعم، على ما كان من غدرك.

«فراسة الحسن بن علي»

٥٤ ـ ومن ذلك: فراسة الحسن بن علي رضي الله عنهما لما جيء إليه بابن ملجم قال له: أريد أن أسارَّك بكلمة. فأبى الحسن، وقال: تريد أن تعض أذني. فقال ابن ملجم: والله لو أمكنتني منها لأخذتها من صماخها.

قال أبوالوفاء بن عقيل: فانظر إلى حسن رأي هذا السيد الذي قد نزل به من المصيبة العاجلة ما يذهل الخلق، وفطنته إلى هذا الحد، وإلى ذلك اللعين كيف لم يشغله حاله عن استزادة الجناية.

«فراسة الحسين بن علي»

٥٥ ـ ومن فراسة أخيه الحسين رضي الله عنهما: أن رجلاً ادعى عليه مالاً. فقال الحسين: ليحلف على ما ادعاه ويأخذه، فتهيأ الرجل لليمين، وقال: والله الذي لا إلـه إلا هو. فقال الحسين: قل: والله، والله، والله إن هذا الذي تدعيه عندي. وفي قبلي. ففعل الرجل ذلك.

وقام فاختلفت رجلاه وسقط ميتًا، فقيل للحسين: لم فعلت ذلك؟ أي عدلت عن قوله: والله الذي لا إلـه إلا هو، إلى قوله: «والله والله والله» فقال: كرهت أن يثني على الله، فيحلم عنه.

«فراسة العباس بن عبدالمطلب»

٥٦ ـ ومن ذلـك: فراسة العباس رضي الله عنه ـ فيما ذكره مجاهد قال ـ «بينما رسـول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه إذ وجد ريحًا. فقال: ليقم

صاحب هذه الريح فليتوضأ. فاستحيى الرجل، ثم قال: ليقم صاحب هذه الريح فليتوضأ فإن الله لا يستحي من الحق. فقال العباس: ألا نقوم كلنا فنتوضأ» هكذا رواه الفريابي عن الأوزاعي مرسلاً، ووصله عن محمد بن مصعب، فقال: عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقد جرت مثل هذه القضية في مجلس عمر رضي الله عنه.

٥٧ - قال الشعبي: كان عمر في بيت، ومعه جرير بن عبد الله البجلي. فوجد عمر ريحًا. فقال: عزمت على صاحب هذه الريح لما قام فتوضأ، فقال جرير: يا أمير المؤمنين، أو يتوضأ القوم جميعًا. فقال عمر: يرحمك الله. نعم السيد كنت في الجاهلية، ونعم السيد أنت في الإسلام.

٥٨ - وعن أبي رزين قال: سئل العباس أنت أكبر أم النبي ﷺ، فقال: هو أكبر مني وأنا ولدت قبله.

«فراسة عبدالله بن عمر»

٥٩ - عن شبابة بن سوار. قال: حدثنا يحيى بن اسماعيل بن سالم الأسدي قال: سمعت الشعبي يحدث عن ابن عمر أنه كان بمكة فبلغه أن الحسين بن عليّ قد توجه إلى العراق فلحقه على مسيرة ثلاث ليال، فقال: أين تريد؟ قال: العراق، وإذا معه طوامير (صحائف) وكتب فقال: هذه كتبهم وبيعتهم فقال: لا تأتهم، فأبى، فقال ابن عمر:

إني محدثك حديثًا، إن جبريل أتى النبي ﷺ، فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا وإنك بضعة من رسول الله، والله ما يليها أحد منكم أبدًا، وما صرفها الله عنكم إلا للذي هو خير لكم، فأبى أن يرجع. قال: فأعتنقه ابن عمر وبكى وقال: استودعك الله من قتيل[1].

---

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير «في ترجمة الحسين بن علي».

ورحم الله ابن عمر فقد كان ينظر إلى الغيب من ستر رقيق . . فقد مات الحسين بن علي عليهم رضوان الله شهيدًا قتيلاً في كربلاء سنة ستين (٦٠هـ) من الهجرة النبوية .

«فراسة ابن عباس»

٦٠ ـ عن عقبة بن سمعان : ان الحسين بن علي بن أبي طالب لما أجمع المسير إلى الكوفة أتاه ابن عباس فقال : «يا ابن عم إنه قد أرجف (ردّد) الناس انك سائر إلى العراق، فبين لي ما أنت صانع؟ فقال قد أجمعت المسير في أحد يومي هذين إن شاء الله تعالى، فقال له ابن عباس : أخبرني إن كان قد دعوك بعد ما قتلوا أميرهم ونفوا عدوهم وضبطوا بلادهم فسر إليهم، وإن كان أميرهم حي وهو مقيم عليهم، قاهر لهم، وعماله تجبى بلادهم، فإنهم إنما دعوك للفتنة والقتال، ولا أمن عليك أن يستفزوا عليك الناس، ويقلبوا قلوبهم عليك، فيكون الذي دعوك أشد الناس عليك، فقال الحسين؛ إني استخير الله وانظر ما يكون، فخرج ابن عباس عنه، ودخل ابن الزبير فقال له : ما أدري ما تركنا لهؤلاء القوم ونحن أبناء المهاجرين، وولاة الأمر دونهم، أخبرني ما تريد أن تصنع؟ فقال الحسين :

والله لقد حدثت نفسي بإتيان الكوفة، ولقد كتب إليّ شيعتي بها وأشرافها بالقدوم عليهم واستخير الله . [وفي رواية : أتتني بيعة أربعين ألفًا يحلفون بالطلاق والعتاق أنهم معي] .

فقال ابن الزبير: أما لو كان بها مثل شيعتك ما عدلت عنها، فلما كان من العشي أو من الغد، جاء ابن عباس إلى الحسين فقال : يا ابن عم! إني أتصبر ولا أصبر، إني أتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك، إن أهل العراق قوم غدر فلا تغترن بهم، أقم في هذا البلد حتى ينفي أهل العراق عدوهم

ثم أقدم عليهم، وإلا فسر إلي اليمنّ فإن به حصونًا وشعابًا، ولأبيك شيعة، وكن عن الناس في معزل، واكتب إليهم وبث دعاتك فيهم، فإني أرجو إذا فعلت ذلك أن يكون ما تحب.

فقال الحسين: ياابن عم! والله إني لأعلم أنك ناصح شفيق، ولكني قد أزمعت المسير. فقال له:

فإن كنت ولابد سائرًا فلا تسر بأولادك ونسائك فوالله إني لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه. ثم قال ابن عباس: أقررت عين ابن الزبير بتخليتك إياه بالحجاز، فوالله الذي لا إله إلا هو لو أعلم أنك إذا أخذت بشعرك وناصيتك حتى يجتمع عليّ وعليك الناس أطعتني وأقمت لفعلت ذلك.

قال: ثم خرج من عنده فلقي ابن الزبير فقال قررت عينك يابن الزبير؟

ثم قال:

يالك من قنبرة بمعمرٍ خلا لك الجو فبيضي واصفري
ونقري ما شئت أن تنقري صيادُك اليوم قتيل فأبشري

ثم قال ابن عباس: هذا حسين يخرج إلى العراق ويخليك والحجاز.[1]

وصدق والله ابن عباس فقد مات الحسين شهيدًا في كربلاء ومات معه أبناءه إلا زين العابدين.. ولا حول ولا قوة إلا بالله..

«فراسة عبدالله بن الزبير»

٦١ - عن الحسين بن محمد بن عبدالوهاب النحوي، أنبأنا أبوجعفر بن المسلمة، أخبرنا أبوطاهر المخلص، أنبأنا أحمد بن سليمان بن داود

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير «ترجمة الحسين بن علي رضي الله عنهما.

الطوسي، أخبرنا الزبير بن بكار، حدثني محمد بن الضحاك أن عبدالملك ابـن مروان قال لرأس الجالوت، أو لابن رأس الجالوت: ما عندكم من الفراسة في الصبيان؟ قال: ما عندنا فيهم شيء لأنهم يخلقون خلقًا بعد خلق غير أنا نرمقهم، فإن سمعنا منهم من يقول في لعبه: من يكون معي رأيناه ذا همة وحنو وصدق فيه، وإن سمعناه يقول: مع من أكون كرهناها منـه، فكـان أول ما علم من ابن الـزبـير أنه كان ذات يوم يلعب مع الصبيان، وهو صبي، فمر رجل، فصاح عليهم، ففروا ومشى ابن الزبير القهقري وقال: ياصبيان، اجعلوني أميركم وشدوا بنا عليه. ومرّ به عمر ابن الخطاب، وهو صبي يلعب مع الصبيان، ففروا ووقف، فقال له: ما لك لم تفر مع أصحابك؟ قال: ياأمير المؤمنين، لم أجرم، فأخاف، ولم تكن الطريق ضيقة، فأوسع لك.

«فراسة عبدالملك»

٦٢ ـ عن عبدالملك بن مروان: أخبرنا ابن أخي الأصمعي، عن عمه قال: وجه عبدالملك بن مروان عامر الشعبي إلى ملك الروم في بعض الأمر له، فاستكثر الشعبي فقال له: من أهل بيت الملك أنت؟ قال: لا، فلما أراد الرجوع إلى عبدالملك حمله رقعة لطيفة وقال: إذا رجعت إلى صاحبك، فأبلغته جميع ما يحتاج إلى معرفته من ناحيتنا، فادفع إليه هذه الرقعة، فلما صار الشعبي إلى عبدالملك ذكر ما احتاج إلى ذكره ونهض من عنده، فلما خرج ذكـر الـرقعة، فرجع فقال: ياأمير المؤمنين، إنه حملني إليك رقعة نسيتها حتى خرجت، وكانت في آخر ما حملني فدفعها إليه ونهض، فقرأها عبدالملك قال: فأمر برده، فقال: أعلمت ما في هذه الرقعة؟ قال: فيها عجبت من العرب كيف ملكت غير هذا. أفتدري لِمَ كتب إلي بمثل هذا؟

فقال: لا. فقال: حسدني عليك، فأراد أن يغريني بقتلك، فقال الشعبي: لو كان رآك ياأمير المؤمنين ما استكثرني، فبلغ ذلك ملك الروم، ففكر في عبدالملك، فقال: لله أبوه والله ما أردت إلا ذلك.

«فطنة السفاح وفراسته»

٦٣ - ومن المنقول عن السفاح عن سعيد الباهلي عن أبيه قال: حدثني من حضر مجلس السفاح وهو أحسد ما كان لبني هاشم والشيعة ووجوه الناس، فدخل عبدالله بن حسين بن حسن ومعه مصحف، فقال: ياأمير المؤمنين، أعطنا حقنا الذي جعله الله لنا في هذا المصحف، فأشفق الناس أن يجعل السفاح بشيء إليه ولا يريدون ذلك في شيخ بني هاشم أو يعيا لجوابه، فيكون ذلك نقصًا عليه وعارًا، فأقبل إليه غير مغضب ولا منزعجَ فقال: إن جدك عليا كان خيرًا مني وأعدل ولي هذا الأمرَ فأعطى جديك الحسن والحسين، وكانا خيرًا منك شيئًا، وكان الواجب أن أعطيك مثله، فإن كنت فعلت فقد أنصفتك، وإن كنت زدتك فما هذا جزائي منك، فما رد عبدالله إليه جوابًا وانصرف والناس يعجبون من جوابه له.

٦٤ - وروى ثعلب عن ابن الأعرابي قال: أول خطبة خطبها السفاح في قرية يقال لها العباسية، فلما صار إلى موضع الشهادة من الخطبة قال رجل من آل أبي طالب في عنقه مصحف، فقال: أذكرك الله الذى ذكرته ألا أنصفتني من خصمي وحكمت بيني وبينه بما في هذا المصحف، فقال له: ومن ظلمك؟ قال: أبو بكر الذي منع فاطمة فدكاً. قال: وهل كان بعده أحد؟ قال: نعم. مَن؟ قال: عمر. قال: وأقام على ظلمكم؟ قال: نعم. قال، وهل كان بعده أحد؟ قال: نعم. قال مَنْ؟ قال: عثمان. قال، وأقام على ظلمكم؟ قال: نعم. قال: وهل كان بعده أحد؟ قال

نعم. قال: مَنْ؟ قال: علي. قال، وأقام على ظلمكم؟ قال: فأسكت الرجل وجعل يلتفت إلى ورائه يطلب مخلصًا، فقال له: والله الذي لا إلـه إلاَّ هو لولا أنـه أول مقـام قمته، ثم لم أكن تقدمت إليك في هذا قبل لأخذت الذي فيه عيناك أقعد وأقبل على الخطبة.

«فطنة المنصور وفراسته»

٦٥ ـ وبلغنا عن المنصور أنه جلس في إحدى قباب مدينته، فرأى رجلاً ملهوفًا مهمومًا يجول في الطرقات، فأرسل من أتاه به، فسأله عن حاله، فأخبره الرجل أنه خرج في تجارة فأفاد مالاً وأنه رجع بالمال إلى منزله، فدفعه إلى أهله، فذكرت امرأته أن المال سرق من بيتها ولم تر نقبًا ولا تسليقًا، فقال له المنصور: منذ كم تزوجتها؟ قال: منذ سنة. قال: أفبكرٌ هي تزوجتها؟ قال: لا. قال: فلها ولد من سواك؟ قال: لا. قال: فشابة هي أم مسنة؟ قال: بل حديثـة، فدعـا له المنصـور بقارورة طيب كان يتخذه له حادّ الرائحة، غريب النوع، فدفعها إليه وقال له: تطيّب من هذا الطيب، فإنه يذهب همك، فلما خرج الرجل من عند المنصور قال المنصور لأربعة من ثقاته: ليقعد على كل باب من أبواب المدينة واحد منكم، فمن مرّ بكم فشممتم منه راحة هذا الطيب وأشمهم منه، فليأتني به. وخرج الرجل بالـطيب، فدفعه إلى إمرأته وقال لها: وهبه لي أمير المؤمنين، فلما شمته بعثت إلى رجل كانت تحبه، وقد كانت دفعت المال إليه، فقالت له: تطيّب من هذا الطيب، فإن أمير المؤمنين وهبه لزوجي، فتطيب منه الرجل ومرّ مجتازًا ما ببعض أبواب المدينة، فشم الموكل بالباب رائحة الطيب منه، فأخذه فأتى به المنصور، فقال له المنصور: من أين استفدت هذا الطيب فإن رائحتـه غريبـة معجبة؟ قال: اشتريته. قال: أخبرنا ممن اشتريته،

فتلجلج الرجل وخلط كلامه فدعا المنصور صاحب شرطته، فقال له: خذ هذا الرجل إليك، فإن أحضر كذا وكذا من الدنانير فخله يذهب حيث شاء، وإن امتنع فأضربه ألف سوط من غير مؤامرة، فلما خرج من عنده دعا صاحب شرطته، فقال: هول عليه وجرده ولا تقدمن بضربه حتى تؤامرني، فخرج صاحب شرطته فلما جرده وسجنه أذعن برد الدنانير وأحضرها بهيئتها، فأعلم المنصور بذلك، فدعا صاحب الدنانير، فقال له: رأيتك إن رددت عليك الدنانير بهيئتها أتحكمني في إمرأتك؟ قال: نعم. قال فهذه دنانيرك، وقد طلقت المرأة عليك وخبره خبرها.

٦٦ - وعن مبارك الطبري قال: سمعت أباعبيدالله يقول: خلا أبوجعفر يومًا مع يزيد بن أبي أسيد، فقال: يازيد، ما ترى في قتل أبي مسلم؟ فقال: أرى أن تقتله وتقرب إلى الله بدنة، فوالله لا يصفو ملكك ولا تهنأ بعيش ما بقي، فنفر مني نفرة ظننت أنه سيأتي علي، ثم قال: قطع الله لسانك وأشمت بك عدوك أتشير عليَّ بقتل أنصر الناس لنا، وأثقلهم على عدونا. أما والله لولا حفظي لما سلف منك، وإن أعدها هفوة من هفواتك لضربت عنقك قم لا أقام الله رجليك. قال، فقمت وقد أظلم بصري، وتمنيت أن تسيخ الأرض بي، فلما كان بعد قتله قال لي يايزيد، أتذكر يوم شاورتك؟ قلت: نعم. قال: فوالله لقد كان ذلك رأيًا وما لا أشك فيه، ولكن خشيت أن يظهر منك فتفسد مكيدتي.

«فراسة المهدي»

٦٧ - ومن المنقول عن المهدي، عن القاسم بن محمد بن خلاد، عن علي بن صالح قال: كنت عند المهدي ودخل عليه شريك بن عبدالله القاضي، فأراد أن يبخره، فقام الخادم بالعود الذي يلهي به، فوضعه في حجر

شريك، فقال شريك: ما هذا ياأمير المؤمنين؟ قال: هذا أخذه صاحب العسس البارحة، فأحببت أن يكون كسره على يد القاضي، فقال: جزاك الله خيراً ياأمير المؤمنين. فكسره، ثم أفاضوا في حديث حتى نسي الأمر، ثم قال المهـدي لشريك: ما تقول في رجل أمر وكيلاً له أن يأتي بشيء بعينه، فأتى بغيره فتلف ذلك الشيء؟ فقال: يضمن ياأمير المؤمنين، فقال للخادم: اضمن ماتلف بقضيته.

٦٨ ـ ومن المنقول عن محمد بن الفضل قال: أخبرنا بعض أهل الأدب، عن حسن الوصيف قال: قعد المهدي قعودًا عامًا للناس، فدخل رجل، وفي يده نعل ملفوفة في منديل، فقال: ياأمير المؤمنين، هذه نعل رسول الله ﷺ قد أهـديتها لك، فقال: هاتها فدفعها إليه، فقبل باطنها ووضعها على عينيه وأمر للرجل بعشرة آلاف درهم، فلما أخذها وانصرف قال لجلسائه: أترون أني لم أعلم أن رسول الله ﷺ لم يرها فضلاً عن أن يكون لبسها، ولو كذبناه قال للناس أتيت أمير المؤمنين بنعل رسول الله ﷺ، فردها علي وكان من يصدقه أكثر ممن يدفع خبره، إذ كان من شأن العامة ميلها إلى أشكالها والنصرة للضعيف على القوي، وإن كان ظالمًا اشترينا لسانه وقبلنا هديته. وصدقنا قوله، ورأينا الذي فعلنا أنجح وأرجح.

«فراسة الخليفة المعتضد»

هو أحمد بن الأمير أبي أحمد الموفق الملقب بناصر دين الله، واسم أبي أحمد محمد، وقيل طلحة بن جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن هارون الرشيد، أبوالعباس المعتضد بالله ولد في سنة اثنتين وقيل ثلاث وأربعين ومائتين، وأمه أم ولد. وكان أسمر نحيف الجسم معتدل القامة، قد وخطه الشـيب، في مقدم لحيته طول، وفي رأسه شامة بيضاء، بويع له بالخلافة صبيحة يوم الاثنين إحدى

عشرة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين، واستوزر عبدالله بن وهب بن سليمان، وولّي القضاء إسماعيل بن إسحاق، ويوسف بن يعقوب، وابن أبي الشوارب. وكان أمر الخلافة قد ضعف في أيام عمه المعتمد، فلما ولي المعتضد أقام شعارها ورفع منارها. وكان شجاعًا فاضلاً من رجالات قريش حزمًا وجرأة وإقدامًا وحزمة. وكان شديد الفراسة ويدل على ذلك مايلي:

٦٩ - وروى الخطيب بسنده عن صافي الجرمي الخادم قال: انتهى المعتضد وأنا بين يديه إلى منزل شعث وابنه المقتدر جعفر جالس فيه وحوله نحو من عشر من الوصائف، والصبيان من أصحابه في سنه عنده، وبين يديه طبق من فضة فيه عنقود عنب، وكان العنب إذ ذاك عزيزًا، وهو يأكل عنبة واحدة ثم يفرق على أصحابه من الصبيان كل واحد عنبة، فتركه المعتضد وجلس ناحية في بيت مهمومًا. فقلت له: ما لك ياأمير المؤمنين؟ فقال: ويحك والله لولا النار والعار لأقتلن هذا الغلام، فإن في قتله صلاحاً للأمة. فقلت: أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من ذلك. فقال: ويحك يا صافي هذا الغلام في غاية السخاء لما أراه يفعل مع الصبيان فإن طباع الصبيان تأبى الكرم، وهذا في غاية الكرم، وإن الناس من بعدي لا يولون عليهم إلا من هو من ولدي، فسيلي عليهم المكتفي ثم لا تطول أيامه لعلته التي به - وهي داء الخنازير - ثم يموت فيلي الناس جعفر هذا الغلام، فيذهب جميع أموال بيت المال إلى الحظايا لشغفه بهن، وقرب عهده من تشببه بهن، فتضيع أمور المسلمين وتعطل الثغور وتكثر الفتن والهرج والخوارج والشرور. قال صافي: والله لقد شاهدت ما قاله سواء بسواء.

٧٠ - وروي ابن الجوزي عن بعض خدم المعتضد قال: كان المعتضد يومًا نائمًا وقت القائلة [1] ونحن حول سريره فاستيقظ مذعورًا ثم صرخ بنا فجئنا إليه

---

(١) وقت القيلولة عند اشتداد الحرّ.

فقال: ويحكم اذهبوا إلى دجلة فأول سفينة تجدوها فارغة منحدرة فأتوني بملاحها واحتفظوا بالسفينة. فذهبنا سراعًا فوجدنا ملاحًا في سميرية[1] فارغة منحدرًا فأتينا به الخليفة فلما رأى الملاح الخليفة كاد أن يتلف، فصاح به الخليفة صيحة عظيمة فكادت روح الملاح تخرج فقال له الخليفة: ويحك ياملعون، اصدقني عن قصتك مع المرأة التي قتلتها اليوم وإلا ضربت عنقك قال فتلعثم ثم قال: نعم ياأمير المؤمنين كنت اليوم سحرًا في مشرعتي الفلانية، فنزلت امرأة لم أر مثلها وعليها ثياب فاخرة وحلى كثير وجوهر، فطمعت فيها واحتلت عليها فشددت فاها وغرقتها وأخذت جميع ما كان عليها من الحلي والقماش، وخشيت أن أرجع به إلى منزلي فيشتهر خبرها، فأردت الذهاب به الى واسط فلقيني هؤلاء الخدم فأخذوني. فقال: وأين حليها؟ فقال: في صدر السفينة تحت البواري[2]. فأمر الخليفة عند ذلك بإحضار الحلي فجيء به فإذا هو حلي كثير يساوي أموالاً كثيرة، فأمر الخليفة بتغريق الملاح في المكان الذي غرق فيه المرأة، وأمر أن ينادي على أهل المرأة ليحضروا حتى يتسلموا مال المرأة. فنادى بذلك ثلاثة أيام في أسواق بغداد وأزقتها فحضروا بعد ثلاثة أيام فدفع إليهم ما كان من الحلي وغيره مما كان للمرأة، ولم يذهب منه شيء. فقال له خدمه: ياأمير المؤمنين من أين علمت هذا؟ قال: رأيت في نومي تلك الساعة شيخًا أبيض الرأس واللحية والثياب وهو ينادي: ياأحمد ياأحمد، خذ أول ملاح ينحدر الساعة فاقبض عليه وقرره عن خبر المرأة التي قتلها اليوم وسلبها، فأقم عليه الحد وكان ما شهدتم.

---

(١) سفينة صغيرة.

(٢) البواري: الحصير المنسوج من القصب.

٧١ ـ وذكر القاضي أبوالحسن محمد بن عبدالواحد الهاشمي عن شيخ من التجار قال: كان لي على بعض الأمراء مال كثير فماطلني ومنعني حقي، وجعل كلما جئت أطالبه حجبني عنه ويأمر غلمانه يؤذونني، فاشتكيت عليه إلى الوزير فلم يفد ذلك شيئًا، وإلى أولياء الأمر من الدولة فلم يقطعوا منه شيئًا، وما زاده ذلك إلا منعاً وجحودًا، فأيست من المال الذي عليه ودخلني هم من جهته، فبينما أنا كذلك وأنا حائر إلى من أشتكي، إذ قال لي رجل: ألا تأتي فلانا الخياط ـ إمام مسجد هناك ـ فقلت وما عسى أن يصنع خياط مع هذا الظالم. وأعيان الدولة لم يقطعوا فيه؟ فقال لي: هو أقطع وأخوف عنده من جميع من اشتكيت إليه، فاذهب إليه لعلك أن تجد عنده فرجاً. قال فقصدته غير محتفل في أمره، فذكرت له حاجتي ومالي وما لقيت من هذا الظالم، فقام معي فحين عاينه الأمير قام إليه وأكرمه واحترمه وبادر إلى قضاء حقي الذي عليه فأعطانيه كاملا من غير أن يكون منه إلى الأمير كبير أمر، غير أنه قال له: ادفع إلى هذا الرجل حقه وإلا أذّنت. فتغير لون الأمير ودفع إليَّ حقي.

قال التاجر: فعجبت من ذلك الخياط مع رثاثة حاله وضعف بنيته كيف انطاع[1] ذلك الأمير له، ثم إني عرضت عليه شيئًا من المال فلم يقبل مني شيئًا، وقال: لو أردت هذا لكان لي من الأموال ما لا يحصى. فسألته عن خبره وذكرت له تعجبي منه وألححت عليه فقال: إن سبب ذلك أنه كان عندنا في جوارنا أمير تركي من أعالي الدولة، وهو شاب حسن، فمر به ذات يوم امرأة حسناء قد خرجت من الحمام وعليها ثياب مرتفعة ذات قيمة، فقام إليها وهو سكران فتعلق بها يريدها على نفسها ليدخلها منزله، وهي تأبى عليه وتصيح بأعلى صوتها: يامسلمين أنا امرأة ذات زوج، وهذا رجل يريدني على نفسي ويدخلني منزله، وقد

(١) انصاع واستمع.

حلف زوجي بالطلاق أن لا أبيت في غير منزله، ومتى بت ها هنا طلقت منه ولحقني بسبب ذلك عار لا تدحضه الأيام ولا تغسله المدامع. قال الخياط: فقمت اليه فأنكرت عليه وأردت خلاص المرأة من يديه فضربني بدبوس في يده فشج رأسي، وغلب المرأة على نفسها وأدخلها منزله قهراً، فرجعت أنا فغسلت الدم عني وعصبت رأسي وصليت بالناس العشاء ثم قلت للجماعة: إن هذا قد فعل ما قد علمتم فقوموا معي اليه لننكر عليه ونخلّص المرأة منه، فقام الناس معي فهجمنا عليه داره فثار إلينا في جماعة من غلمانه بأيديهم العصي والدبابيس يضربون الناس، وقصدني هو من بينهم فضربني ضرباً شديداً مبرحاً حتي أدماني، وأخرجنا من منزله ونحن في غاية الإهانة، فرجعت الى منزلي وأنا لا أهتدي إلى الطريق من شدة الوجع وكثرةالدماء، فنمت على فراشي فلم يأخذني نوم، وتحيرت ماذا أصنع حتى أنقذ المرأة من يده في الليل لترجع فتبيت في منزلها حتى لا يقع على زوجها الطلاق، فألهمت أن أؤذن الصبح في أثناء الليل لكي يظن أن الصبح قد طلع فيخرجها من منزله فتذهب إلى منزل زوجها، فصعدت المنارة وجعلت أنظر إلى باب داره وأنا أتكلم على عادتي قبل الأذان هل أرى المرأة قد خرجت ثم أذنت فلم تخرج، ثم صممت على أنه إن لم تخرج أقمت الصلاة حتى يتحقق الصباح، فبينما أنا أنظر هل تخرج المرأة أم لا، إذ امتلأت الطريق فرساناً، ورجالة وهم يقولون: أين الذي أذن هذه الساعة؟ فقلت: ها أنا ذا، وأنا أريد أن يعينوني عليه، فقالوا: انزل، فنزلت فقالوا: أجب أمير المؤمنين، فأخذوني وذهبوا بي لا أملك من نفسي شيئًا، حتى أدخلوني عليه، فلما رأيته جالسًا في مقام الخلافة ارتعدت من الخوف وفزعت فزعا شديدًا، فقال: ادن، فدنوت فقال لي: ليسكن روعك وليهدأ قلبك. ومازال يلاطفني حتى اطمأننت وذهب خوفي، فقال: أنت الذي أذنت هذه الساعة؟ قلت: نعم ياأمير المؤمنين. فقال: ما حملك على أن

أذنت هذه الساعة، وقد بقي من الليل أكثر مما مضى منه؟ فتغرّ[1] بذلك الصائم والمسافر والمصلي وغيرهم. فقلت: يؤمنني أمير المؤمنين حتى أقص عليه خبري؟ فقال: أنت آمن. فذكرت له القصة. قال: فغضب غضبًا شديدًا وأمر بإحضار ذلك الأمير والمرأة من ساعته على أي حالة كانا فأحضرا سريعًا فبعث بالمرأة إلى زوجها مع نسوة من جهته ثقات ومعهن ثقة من جهته أيضا، وأمره أن يأمر زوجها بالعفو والصفح عنها والإحسان إليها، فإنها مكرهة ومعذورة. ثم أقبل على ذلك الشاب الأمير فقال له: كم لك من الرزق؟ وكم عندك من المال؟ وكم عندك من الجوار والزوجات؟ فذكر له شيئًا كثيرًا. فقال له: ويحك أما كفاك ما أنعم الله به عليك حتى انتهكت حرمة الله وتعديت حدوده وتجرأت على السلطان، وما كفاك ذلك أيضًا حتى عمدت إلى رجل أمرك بالمعروف ونهاك عن المنكر فضربته وأهنته وأدميته؟ فلم يكن له جواب. فأمر به فجعل في رجله قيدًا وفي عنقه غل ثم أمر به فأدخل في جوالق[2] ثم أمر به فضرب بالدبابيس ضربًا شديدًا حتى خفت، ثم أمر به فألقي في دجلة فكان ذلك آخر العهد به. ثم أمر بدرًا صاحب الشرطة أن يحتاط على ما في داره من الحواصل والأموال التي كان يتناولها من بيت المال، ثم قال لذلك الرجل الصالح الخياط: كلما رأيت منكرًا صغيرًا كان أو كبيرًا ولو على هذا ـ وأشار إلى صاحب الشرطة ـ فأعلمني، فإن اتفق اجتماعك بي وإلا فعلى ما بيني وبينك الأذان، فأذن في أي وقت كان أو في مثل وقتك هذا. قال: فلهذا لا آمر أحدًا من هؤلاء الدولة بشيء إلا امتثلوه، ولا أنهاهم عن شيء إلا تركوه خوفًا من المعتضد. وما احتجت أن أؤذن في مثل تلك الساعة إلى الآن.

٧٢ ـ عن أبي بكر بن محمد بن عبدالباقي، عن القاسم علي بن المحسن، عن أبيه قال: بلغني أن المعتضد بالله كان يومًا جالسًا في بيت يُبنى له يشاهد

---

(١) تغرّ: توهمهم الباطل.

(٢) الجوالق: كيس كبير من صوف وشعر.

الصناع، فرأى في جملتهم غلامًا أسود، منكر الخلقة، شديد المزح يصعد على السلاليم مرقاتين مرقاتين، ويحمل ضعف ما يحملونه، فأنكر أمره فأحضره وسأله عن سبب ذلك، فلجلج، فقال لابن حمدون وكان حاضرًا أي شيء يقع لك في أمره؟ فقال: ومن هذا حتى صرفت فكرك إليه ولعله لا عيال له، فهو خالي القلب. قال: ويحك قد خمنت في أمره تخمينًا ما أحسبه باطلاً إما أن يكون معه دنانير قد ظفر بها دفعة من غير وجهها أو يكون لصًا يتستر بالعمل في الطين، فلاحاه ابن حمدون في ذلك، فقال: عليّ بالأسود فأحضر، وقام مقارع فضربه نحو مائة مقرعة وقرره وحلف إن لم يصدقه ضرب عنقه وأحضر السيف والنطع، فقال الأسود: لي الأمان. فقال: لك الأمان إلاَّ ما يجب عليك فيه من حد، فلم يفهم ما قال له، وظن أنه قد أمنه فقال: إنا كنت أعمل في أتاتين الآجر سنين وكنت منذ شهور هناك جالسًا فاجتاز بي رجل في وسطه همیان فتبعته فجاء إلى بعض الأتاتين، فجلس وهو لا يعلم مكاني فحل الهميان وأخرج منه دينارًا فتأملته فإذا كله دنانير فثاورته وكتفته وسددت فاه وأخذت الهميان، وحملته على كتفي وطرحته في نقرة الأتون وطينته، فلما كان بعد ذلك أخرجت عظامه، فطرحتها في دجلة والدنانير معي يقوى بها قلبي، فأمر المعتضد من أن أحضر الدنانير من منزله، وإذا على الهميان مكتوب لفلان بن فلان، فنودي في البلدة باسمه، فجاءت امرأة قالت: هذا زوجي ولي منه هذا الطفل خرج في وقت كذا ومعه همیان فيه ألف دينار، فغاب إلى الآن، فسلم الدنانير إليها، وأمرها أن تعتد، وضرب عنق الأسود وأمر أن تحمل جثته إلى الأتون.

٧٣ ـ قال المحسن التنوخي: وبلغني أن المعتضد بالله قام في الليل لحاجة، فرأى بعض الغلمان المردان قد نهضوا من ظهر غلام أمرد ودب على أربعته حتى

اندس بين الغلمان، فجاء المعتضد فجعل يضع يده على فؤاد واحد بعد واحد إلى أن وضع يده على فؤاد ذلك الفاعل، فإذا به يخفق خفقانًا شديدًا، فوكزه برجله فقعد واستدعى آلات العقوبة فأقر، فقتله.

٧٤ - قال المحسن: وبلغنا عن المعتضد بالله أن خادمًا من خدمه جاء يومًا فأخبره أنه كان قائمًا على شاطيء الدجلة في دار الخليفة، فرأى صيادًا وقد طرح شبكته، فثقلت بشيء، فجذبها فأخرجها فإذا فيها جراب، وأنه قدره مالاً فأخذه وفتحه، فإذا فيه آجر وبين الأجر كف مخضوبة بحناء قال، فأحضر الجراب والكف والآجر، فهال المعتضد ذلك، وقال: قل للصياد يعاود طرح الشبكة فوق الموضع وأسفله وما قاربه، قال: ففعل فخرج جراب آخر فيه رِجل قال؛ فطلبوا فلم يخرج شيء آخر، فاغتم المعتضد فقال معي في البلد من يقتل إنسانًا ويقطع أعضاؤه ويفرقه ولا أعرف به ما هذا ملك. قال وأقام يومه كله ما طعم طعامًا، فلما كان من الغد أحضر ثقة له، وأعطاه الجراب فارغاً وقال له: طف به على كل من يعمل الجرب ببغداد، فإن عرفه منهم رجل، فسله على من باعه، فإذا دلك عليه، فسل المشتري من اشتراه منه ولا تقر على خبره أحدًا. قال: فغاب الرجل وجاءه بعد ثلاثة أيام، فزعم أنه لم يزل يتطلب في الدباغين، وأصحاب الجرب إلى أن عرف صانعه، وسأل عنه فذكر أنه باعه على عطار بسوق يحيى، وأنه مضى إلى العطار وعرضه عليه، فقال: ويحك. كيف وقع هذا الجراب في يدك؟. فقلت أَوَ تعرفه؟ قال: نعم. إشتري مني فلان الهاشمي منذ ثلاثة أيام عشرة جرب لا أدري لأي شيء أرادها وهذا منها. فقلت له: ومن فلان الهاشمي، فقال: رجل من ولد علي بن ريطة من ولد المهدي يقال له: فلان عظيم، إلاَّ أنه شر الناس وأظلمهم وأفسدهم لحرم المسلمين وأشدهم تشوقًا إلى مكائدهم، وليس في الدنيا من ينهي خبره إلى المعتضد

خوفًا من شره ولفرط تمكنه من الدولة والمال، ولم يزل يحدثني وأنا أسمع أحاديث له قبيحة إلى أن قال، فحسبك أنه كان يعشق منذ سنين فلانة المغنية جارية فلانة المغنية، وكانت كالدينار المنقوش وكالقمر الطالع في غاية حسن الغناء فساوم مولاتها فيها، فلم تقاربه، فلما كان منذ أيام بلغه أن سيدتها تريد بيعها على مشترٍ قد حضر بذل فيها ألوف دنانير، فوجه إليها لا أقل من أن تنفذيها إليّ لتودعني، فأنفذتها إليه بعد أن أنفذ إليها جذرها لثلاثة أيام، فلما انقضت الأيام الثلاثة غصبها عليها وغيبها عنها، فما يعرف لها خبر وادعى أنها هربت من داره. وقالت الجيران: أنه قتلها وقال قوم: لا، بل هي عنده، وقد أقامت سيدتها عليها المأتم وجاءت وصاحت على بابه وسوّدت وجهها، فلم ينفعها شيء، فلما سمع المعتضد سجد شكرًا لله تعالى على انكشاف الأمر له، وبعث في الحال من كبس على الهاشمي وأحضر المغنية، وأخرج اليد والرجل إلى الهاشمي، فلما رآهما امتقع لونه وأيقن بالهلاك واعترف، فأمر المعتضد بدفع ثمن الجارية إلى مولاتها من بيت المال وصرفها، ثم حبس الهاشمي، فيقال: أنه قتله. ويقال: مات في الحبس.

«فراسة عضد الدولة»

٧٥ ـ روي أن رجلاً قدم إلى بغداد للحج، وكان معه عقد من الحب يساوي ألف دينار، فاجتهد في بيعه، فلم ينفق، فجاء إلى عطّار موصوف بالخير، فأودعه إياه، ثم حج وعاد، فأتاه بهدية، فقال له العطار: من أنت وما هذا؟ فقال: أنا صاحب العقد الذي أودعتك، فما كلمه حتى رفسه رفسة رماه عن دكانه، وقال تدعي عليّ مثل هذه الدعوة، فاجتمع الناس وقالوا للحاجي: ويلك هذا رجل خير ما لحقت من تدعي عليه إلاّ هذا، فتحير الحاجي وتردد إليه فما زاده إلاّ شتمًا وضربًا، فقيل له: لو ذهبت إلى عضد

الـدولـة، فله في هذه الأشياء فراسـة، فكتب قصته وجعلها على قصبة ورفعها لعضد الدولة، فصاح به فجاء، فسأله عن حاله، فأخبره بالقصة، فقال: اذهب إلى العطار غدًا، واقعد على دكانه، فإن منعك فاقعد على دكان تقابله، من الصبح إلى المغرب ولا تكلمه، وافعل هكذا ثلاثة أيام، فإني أمرّ عليك في اليوم الرابع وأقف وأسلم عليك، فلا تقم لي ولا تزدني على رد السـلام وجـواب ما أسألك عنه، فإذا انصرفت فأعد عليه ذكر العقد، ثم أعلمني ما يقول لك فإن أعطاك فجيء به إلي.

قال فجاء إلى دكان العطار ليجلس فمنعه، فجلس بمقابلته ثلاثة أيام، فلما كان اليوم الرابع اجتاز عضد الدولة في موكبه العظيم، فلما رأى الخـراسـاني وقف وقـال: سلام عليكم. فقـال: الخرساني ولم يتحرك: وعليكم السلام، فقال ياأخي تقدم فلا تأتي إلينا ولا تعرض حوائجك علينا، فقال كما اتفق ولم يشبعه الكلام وعضد الدولة يسأله ويستخفي وقد وقف ووقف العسكـر كله، والعـطار قد أغمي عليه من الخـوف، فلما انصرف التفت العطار إلى الحاجي فقال: ويحك متى أودعتني هذا العقد، وفي أي شيء كان ملفـوفًا، فذكرني لعلي أذكره، فقال: من صفته كذا وكـذا، فقام وفتش، ثم نقض جرة عنده فوضع العقد، فقال قد كنت نسيت، ولو لم تذكرني الحال ما ذكرت. فأخذ العقد ثم قال: وأي فائدة لي في أن أعلم عضـد الـدولة، ثم قال في نفسه: لعله يريد أن يشتريه فذهب إليه فأعلمه، فبعث به مع الحاجب إلى دكان العطار، فعلّق العقد في عنق العطار وصلبه بباب الدكان ونودي عليه: هذا جزاء من استودع فجحد. فلما ذهب النهار أخذ الحاجب العقد فسلمه إلى الحاجي وقال: إذهب.

٧٦ - وروي عن عضد الدولة أنه كان في بعض أمرائه شاب تركي، وكان يقف

عند روزنة ينظر إلى امرأة فيها، فقالت المرأة لزوجها: قد حرم عليّ هذا التركي أن أتطلع في الروزنة، فإنه طول النهار ينظر إليها وليس فيها أحد، فلا يشك الناس أن لي معه حديثًا، وما أدري كيف أصنع. فقال زوجها اكتبي إليه رقعة وقولي فيها: لا معنى لوقوفك فتعال إليّ بعد العشاء. إذا غفل الناس في الظلمة، فإني خلف الباب، ثم قام وحفر حفرة طويلة خلف الباب ووقف له، فلما جاء التركي فتح له الباب، فدخل، فدفعه فوقع في الحفرة وطموا عليه، وبقي أيامًا لا يدري ما خبره، فسأل عنه عضد الدولة فقيل له: ماجاءنا فيه خبر، فما زال يعمل فكره إلى أن بعث يطلب مؤذن المسجد المجاور لتلك الدار، فأخذه أخذًا عنيفًا في الظاهر، ثم قال له: هذه مائة دينار خذها وامتثل ما آمرك إذا رجعت إلى مسجدك فأذن الليلة واقعد في المسجد، فأول من يدخل عليك ويسألك عن سبب انفاذي إليك، فأعلمني به، فقال: نعم. ففعل ذلك، فكان أول من دخل ذلك الشيخ، فقال له: قلبي إليك ولأي شيء أراد منك عضد الدولة؟ فقال: ما أراد مني شيئًا وما كان إلا الخير، فلما أصبح أخبر عضد الدولة بالحال، فبعث إلى الشيخ فأحضره، ثم قال له: ما فعل التركي؟ فقال: أصدقك. لي امرأة ستيرة مستحسنة كان يراصدها ويقف تحت روزنتها، فضجت من خوف الفضيحة بوقوفه، ففعلت به كذا وكذا، فقال: اذهب في دعة الله، فما سمع الناس ولا قلنا.

٧٧ ـ وذكر محمد بن عبدالملك الهمداني في تاريخه أنه بلغ إلى عضد الدولة خبر قوم من الأكراد يقطعون الطريق، ويقيمون في جبال شاقة، فلا يقدر عليهم، فاستدعى أحد التجار ودفع إليه بغلاً عليه صندوقان فيهما حلوى قد شيبت بالسم، وأكثر طيبها، وترك في الظروف الفاخرة وأعطاه دنانير، وأمره أن يسير مع القافلة، ويظهر أن هذه هدية لإحدى نساء أمراء

الأطراف. ففعل التاجر ذلك وسار أمام القافلة، فنزل القوم وأخذوا الأمتعة والأموال وانفرد أحدهم بالبغل وصعد به مع جماعتهم إلى الجبل، وبقي المسافرون عراة، فلما فتح الصندوقين وجد الحلوى يضوع طيبها، ويدهش منظرها ويعجب ريحها، وعلم أنه لا يمكنه الاستبداد بها، فدعا أصحابه، فرأوا ما لم يروه أبدًا قبل ذلك، فامعنوا في الأكل عقيب مجاعة، فانقلبوا فهلكوا عن آخرهم، فبادر التجار إلى أخذ أموالهم وأمعتهم وسلاحهم، واستردوا المأخوذ عن آخره، فلم أسمع بأعجب من هذه المكيدة، محت أثر العاتين وحصدت شوكة المفسدين.

٧٨ ـ وقال ابن الجوزي: وحدثت أن بعض التجار قدم من خراسان ليحج، فتأهب للحج وبقي معه من ماله ألف دينار لا يحتاج إليها، فقال إن حملتها خاطرت بها، وإن أودعتها خفت جحد المودع، فمضى إلى الصحراء، فرأى شجرة خروع، فحفر تحتها ودفنها ولم يره أحد، ثم خرج إلى الحج وعاد، فحفر المكان فلم يجد شيئًا، فجعل يبكي ويلطم وجهه، فإذا سئل عن حاله قال: الأرض سرقت مالي، فلما كثر ذلك منه قيل له: لو قصدت عضد الدولة، فإن له فطنة، فقال: أو يعلم الغيب؟ فقيل له: لا بأس بقصده. فأخبره بقصته، فجمع الأطباء وقال لهم: هل داويتم في هذه السنة أحدًا بعروق الخروع؟ فقال أحدهم: أنا داويت فلانًا وهو من خواصك. فقال: عليّ به فجاء، فقال له: هل تداويت في هذه السنة بعروق الخروع؟ قال: نعم. قال من جاءك به؟ قال: فلان الفراش قال عليّ به، فلما جاء قال: من أين أخذت عروق الخروع؟ فقال من المكان الفلاني، فقال: اذهب بهذا معك فأره المكان الذي أخذت منه. فذهب معه بصاحب المال إلى تلك الشجرة، وقال: من هذه الشجرة أخذت فقال

الـرجل: ههنا والله تركت مالي، فرجع إلى عضد الدولة فأخبره، فقال للفراش هلم بالمال، فتلكأ فأوعده فأحضر المال.

٧٩ ـ وروى أبـوالحسن بن هلال ابن المحسن الصابي في تاريخه قال: حدثني بعض التجـار وقـال كنت في المعسكر، واتفق أن ركب السلطان جلال الـدولة يومًا إلى الصيد على عادته، فلقيه سوادي يبكي فقال: ما لك؟ فقال: لقيني ثلاثة غلمان أخذوا حمل بطيخ كان معي وهو بضاعتي. فقال: امض إلى المعسكر فهناك قبة حمراء، فاقعد عندها ولا تبرح إلى آخر النهار، فأنا أرجع وأعطيك ما يغنيك، فلما عاد السلطان، قال لبعض شرائه قد اشتهيت بطيخًـا ففتش العسكر وخيمهم على شيء منه، ففعل وأحضر البطيخ، فقال: عند من رأيتموه؟ فقيل في خيمة فلان الحاجب. فقال: أحضروه. فقـال له: من أين هذا البـطيخ؟ فقال: الغلمان جاؤوا به. فقال: أريدهم الساعة، فمضى وقد أحس بالشر، فهرب الغلمان خوفًا من أن يقتلوا وعاد فقال: قد هربوا لما علموا بطلب السلطان لهم. فقال أحضروا السـوادي، فأحضر فقال له: هذا بطيخك الذي أُخذ منك؟ قال: نعم. قال: فخذه وهذا الحاجب مملوك لي وقد سلمته إليك ووهبته لك حتى يحضر الذين أخذوا منك البطيخ، ووالله لئن أخليته لأضربن رقبتك. فأخذ السوادي بيد الحاجب فأخرجه، فاشترى الحاجب نفسه بثـلاثـمائـة دينار، فعاد السوادي إلى السلطان وقال: ياسلطان قد بعت المملوك الذي وهبته لي بثلاثمائة دينار، فقال: قد رضيت بذلك؟ قال: نعم. قال: اقبضها وامض مصاحبًا السلامة.

٨٠ ـ قال الصابي: وحكي لي من كان حاضرًا بأصفهان قال: جاء إليه تركماني قد لزم يد تركماني، فلما دخلا إليه قال: هذا وجدته قد ابتنى بابنتي وأريد أن أقتله بعـد إعـلامـك به. قال: لا. بل تزوجها به ونعطي المهر من

خزائننا، فقال: لا أقنع إلا بقتله. فقال هاتوا السيف، فجيء به فسله وقال للأب تعال، فلما قرب منه أعطاه السيف وأمسك بيده الجفن وأمره أن يعيد السيف إلى الجفن، فكلما رام الرجل ذاك قلب السلطان الجفن ولم يمكنه من إدخال السيف، فقال ياسلطان، ما تدعني فقال: كذلك ابنتك لو لم ترد ما فعل بها هذا، فإن كنت تريد قتله لأجل فعله فاقتلهما جميعًا، ثم أحضر من زوجه بها وأعطاه المهر من خزانته.

«فراسة المكتفي بالله»

٨١ ـ قال الحسين بن الحسن بن أحمد بن يحيى الواثقي قال: كان جدي يتقلد شرطة بغداد للمكتفي بالله، فعمل اللصوص في أيامه عملة عظيمة، فاجتمع التجار وتظلموا إلى المكتفي بالله، فألزمه بإحضار اللصوص أو غرامة المال، فتحير حتى كان يركب وحده ويطوف بالليل والنهار إلى أن اجتاز يومًا في زقاق خال في بعض أطراف بغداد، فدخله فوجد فيه منكرًا ووجد فيه زقاقًا لا ينفذ، فدخله فرأى على بعض أبواب دور الزقاق شوك سمكة كبيرة، وعظم الصلب وتقدير ذاك أن تكون السمكة فيها مائة وعشرون رطلاً، فقال لواحد من أصحاب المسالخ: ويحك ما ترى عظام هذه السمكة كم تقدر ثمنها؟ قال: دينار، فقال: أهل هذا الزقاق[1] لا تحمل أحوالهم شراء مثل هذه السمكة لأنه زقاق بين الاحتلال إلى جانب الصحراء لا ينزله من معه شيء يخافه، أو له مال ينفق منه مثل هذه النفقة، وما هي إلا بلية يجب أن يكشف عنها، فاستبعد الرجل هذا، وقال: هذا فكر بعيد، فقال: اطلبوا امرأة من الدرب أكلمها، فدق بابًا غير الباب الذي عليه الشوك واستسقى ماءً، فخرجت عجوز ضعيفة، فما زال يطلب

(١) الطريق الضيّق

شربة بعد شربة وهي تسقيهم، والواثقي في خلال ذلك يسأل عن الدرب وأهله، وهي تخبره غير عارفة بعواقب ذلك إلى أن قال لها: فهذه الدار من يسكنها وأومأ إلى التي عليها عظام السمك؟ فقالت: والله ما ندري على الحقيقة من سكانها إلاَّ أن فيها خمسة شباب أعفار، كأنهم تجار قد نزلوا منذ شهر لا نراهم يخرجون نهارًا إلاَّ كل مدة طويلة، وإنا نرى الواحد منهم يخرج في الحاجة ويعود سريعًا، وهم طول النهار يجتمعون فيأكلون ويشربون ويلعبون بالشطرنج والنرد، ولهم صبي يخدمهم، وإذا كان الليل انصرفوا إلى دار لهم في الكرخ. ويدعون الصبي في الدار يحفظها، فإذا كان سحرًا بليل جاؤوا ونحن نيام لا نعقل بهم في وقت مجيئهم. قال؛ فقطع الوالي استسقاء الماء ودخلت العجوز، وقال للرجل: هذه صفة لصوص أم لا؟ فقال: توكلوا بحوالي الدار ودعوني على بابها. قال: وأنفذ في الحال واستدعى عشرة من الرجال، وأدخلهم إلى سطوح الجيران، ودق هو الباب، فجاء الصبي ففتح فدخل والرجال معه، فما فاتهم من القوم أحد، وحملهم إلى مجلس الشرطة وقررهم، فكانوا هم أصحاب الخيانة بعينها، ودلوا على باقي أصحابهم فتبعهم.. الواثقي..

«فراسة أحمد بن طولون»

٨٢ - ومن عجيب الفراسة: ماذكر عن أحمد بن طولون: أنه بينما هو في مجلس له يتنزه فيه، إذ رأى سائلاً في ثوب خلق. فوضع دجاجة في رغيف وحلوى وأمر بعض الغلمان بدفعه إليه.

فلما وقع في يده لم يهش ولم يعبأ به.

فال للغلام: جئني به.

فلما وقف قدامه استنطقه، فأحسن الجواب، ولم يضطرب من هيبته.

فقال: هات الكتب التي معك، واصدقني من بعثك، فقد صح عندي أنك صاحب خبر.

وأحضر السياط، فاعترف.

فقال بعض جلسائه: هذا والله السحر. قال: ما هو بسحر. ولكن فراسة صادقة.

رأيت سوء حاله، فوجهت إليه بطعام يشره إلى أكله الشبعان، فما هش له ولا مدَّ يده إليه. فأحضرته فتلقاني بقوة جأش، فلما رأيت رثاثة حاله، وقوة جأشه، علمت أنه صاحب خبر فكان كذلك.

٨٣ ـ ورأى يومًا حمالاً يحمل صندوقًا وهو يضطرب تحته.

فقال: لو كان هذا الاضطراب من ثقل المحمول لغاصت عنق الحمال، وأنا أرى عنقه بارزة. وما أرى هذا الأمر إلا من خوف.

فأمر بحط الصن فإذا فيه جارية قد قتلت وقطعت.

فقال: اصدقني عن حالها.

فقال: أربعة نفر في الدار الفلانية أعطوني هذه الدنانير، وأمروني بحمل هذه المقتولة.

فضربه وقتل الأربعة.

وكان يتنكر ويطوف يسمع قراءة الأئمة.

٨٤ ـ فدعا ثقته، وقال: خذ هذه الدنانير، وأعطها إمام مسجد كذا، فإنه فقير مشغول القلب. ففعل، وجلس معه وباسطه، فوجد زوجته قد ضربها الطلق، وليس معه ما يحتاج إليه. فقال: صدق، عرفت شغل قلبه في كثرة غلطه في القراءة.

«فراسة إياس بن معاوية»

٨٥ ـ قال سفيان بن حسين: ذكرت رجلاً بسوء عند إياس بن معاوية فنظر في وجهي وقال: أغزوت الروم؟ قلت: لا! قال: السند والهند والترك؟ قلت: لا. قال: أفسلم منك الروم والسند والهند والترك ولم يسلم منك أخوك المسلم؟ قال: فلم أعد بعدها. وقال الأصمعي عن أبيه: رأيت إياس بن معاوية في بيت ثابت البناني، وإذا هو أحمر طويل الذراع غليظ الثياب، يلون عمامته، وهو قد غلب على الكلام فلا يتكلم معه أحد إلا علاه، وقد قال له بعضهم: ليس فيك عيب سوى كثرة كلامك، فقال: بحق أتكلم أم بباطل؟ فقيل بل بحق، فقال: كلما كثر الحق فهو خير، ولامه بعضهم في لباسه الثياب الغليظة فقال: إنما ألبس ثوبًا يخدمني ولا ألبس ثوبًا أخدمه، وقال الأصمعي قال إياس بن معاوية: إن أشرف خصال الرجل صدق اللسان، ومن عدم فضيلة الصدق فقد فجع بأكرم أخلاقه.

٨٦ ـ وقال بعضهم: سأل رجل إياسًا عن النبيذ فقال: هو حرام، فقال الرجل: فأخبرني عن الماء فقال: حلال، قال: فالكسور، قال: حلال، قال فالتمر قال حلال، قال فما باله إذا اجتمع حرم؟ فقال إياس: أرأيت لو رميتك بهذه الحفنة من التراب أتوجعك؟ قال: لا، قال: فهذه الحفنة من التبن؟ قال لا توجعني، قال: فهذه الغرفة من الماء؟ قال لا توجعني شيئًا، قال: أفرأيت إن خلطت هذا بهذا وهذا بهذا حتى صار طينًا ثم تركته حتى استحجر ثم رميتك أيوجعك؟ قال: إي والله وتقتلني، قال: فكذلك تلك الأشياء إذا اجتمعت.

٨٧ ـ وتقدم إلى إياس بن معاوية أربع نسوة، فقال إياس: أما إحداهن فحامل، والأخرى مرضع، والأخرى ثيب، والأخرى بكر، فنظروا فوجدوا الأمر كما قال: قالوا: وكيف عرفت؟ فقال: أما الحامل: فكانت تكلمني وترفع ثوبها عن بطنها. فعرفت أنها حامل. وأماالمرضع: فكانت تضرب ثدييها: فعرفت أنها مرضع. وأما الثيب فكانت تكلمني وعينها في عيني. فعرفت أنها ثيب. وأما البكر، فكانت تكلمني وعينها في الأرض. فعرفت أنها بكر.

٨٨ ـ وقال المدائني عن روح: استودع رجل رجلا من أبناء الناس مالاً، ثم رجع فطلبه فجحده، فأتى إياسا فأخبره، فقال له إياس: انصرف واكتم أمرك، ولا تعلمه أن أتيتني. ثم عد إليَّ بعد يومين. فدعا إياس المودع. فقال: قد حضر مال كثير وأريد أسلمه إليك، أفحصين منزلك؟ قال: نعم. قال: فأعد له موضعًا وحمالين. وعاد الرجل إلى إياس، فقال: انطلق إلى صاحبك فاطلب المال. فإن أعطاك فذاك، وإن جحدك فقل له إني أخبر القاضي: فأتى الرجل صاحبه فقال: مالي، وإلا أتيت القاضي وشكوت إليه وأخبرته بأمري، فدفع إليه ماله، فرجع الرجل إلى إياس فقال: قد أعطاني المال، وجاء الأمين إلى إياس لموعده، فزجره وانتهره، وقال: لا تقربني ياخائن.

٨٩ ـ وقال يزيد بن هارون رحمه الله: تقلد القضاء بواسط رجل ثقة، فأودع رجل بعض شهوده كيسًا مختومًا، وذكر أن فيه ألف دينار. فلما طالت غيبة الرجل فتق الشاهد الكيس من أسفله وأخذ الدنانير وجعل مكانها دراهم، وأعاد الخياطة كما كانت، وجاء صاحبه، فطلب وديعته، فدفع إليه الكيس بختمه لم يتغير، فلما فتحه وشاهد الحال رجع إليه، فقال: إني أودعتك دنانير والذي دفعت إلى دراهم، فقال: هو كيسك بخاتمك، فاستدعي

عليه القاضي فأمر بإحضار المودع، فلما صارا بين يديه قال له القاضي: منذ كم أودعك هذا الكيس؟ فقال: منذ خمس عشرة سنة، فأخذ القاضي تلك الدراهم وقرأ سكتها، فإذا فيها ما قد ضرب من سنتين وثلاث، فأمره بدفع الدنانير إليه، وأسقطه ونادى عليه.

٩٠ ـ واستودع رجل لغيره مالا، فجحده، فرفعه إلى إياس، فسأله فأنكر. فقال للمدعي: أين دفعت إليه؟ فقال: في البرية، فقال: وما كان هناك، قال: شجرة، قال: اذهب إليها فلعلك دفنت المال عندها ونسيت، فتذكر إذا رأيت الشجرة، فمضى، وقال للخصم: اجلس حتى يرجع صاحبك وإياس يقضي وينظر إليه ساعة بعد ساعة. ثم قال له: ياهذا، أترى صاحبك قد بلغ مكان الشجرة؟ قال: لا، قال: ياعدو الله، إنك خائن. قال: أقلني، قال: لا أقالك الله. وأمر أن يحتفظ به حتى جاء الرجل، فقال له إياس: اذهب معه فخذ حقك.

٩١ ـ وقال حماد بن سلمة: شهدت إياس بن معاوية يقول في رجل ارتهن رهنًا، فقال المرتهن: رهنته بعشرة. وقال الراهن: رهنته بخمسة، فقال: إن كان للراهن بيّنة أنه دفع إليه الرهن فالقول ما قال الراهن، وإن لم يكن له بينة يدفع الرهن إليه، والرهن بيد المرتهن. فالقول ما قال المرتهن، لأنه لو شاء لجحده الرهن.

قلت: وهذا قول ثالث في المسألة، وهو من أحسن الأقوال.

فإن إقراره بالرهن ـ وهو في يده ولا بينة للراهن ـ دليل على صدقه، وأنه محق. ولو كان مبطلا لجحده الرهن رأسًا. ومالك وشيخنا رحمهما الله، يجعلان القول في المرتهن، ما لم يزد على قيمة الرهن. والشافعي وأبوحنيفة وأحمد رحمهم الله، يجعلون القول قول الراهن مطلقًا[1]

---

(١) الكلام لابن قيم الجوزية في كتابه ـ السياسة الشرعية ـ.

وقال إياس أيضًا: من أقر بشيء؛ وليس عليه بينة، فالقول ما قال.

وهـذا أيضًـا من أحسن القضاء، لأن إقراره علم على صدقه، فإذا ادعى عليه ألفًا، ولا بينة له. فقال: صدق، إلا أني قضيته إياها، فالقول قوله، كذلك إذا أقر بأنه قبض من مورثه وديعة، ولا بينة له، وادعى ردها إليه.

٩٢ ـ وقال إبراهيم بن مرزوق البصري: جاء رجلان إلى إياس بن معاوية، يختصمان في قطيفتين: إحداهما حمراء، والأخرى خضراء، فقال أحدهما: دخلت الحوض لأغتسل، ووضعت قطيفتي، ثم جاء هذا، فوضع قطيفته تحت قطيفتي ثم دخل فاغتسل، فخرج قبلي وأخذ قطيفتي فمضى بها، ثم خرجت فتبعته، فزعم أنها قطيفته.

فقال: ألك بينة؟ قال: لا. قال: ائتوني بمشط، فأتى بمشط فسرح رأس هذا، ورأس هذا. فخرج من رأس أحدهما صوف أحمر، ومن رأس الآخـر صوف أخضر، فقضي بالحمـراء للذي خرج من رأسـه الصوف الأحمر، وبالخضراء للذي خرج من رأسه الصوف الأخضر.

٩٣ ـ وقـال معتمـر بن سليمان عن زيد أبي العـلاء: شهـدت إياس بن معـاوية اختصم إليه رجلان، فقال أحدهما: إنه باعني جارية رَعْناء.

فقال إياس: وما عسى أن تكون هذه الرعونة؟ قال: شبه الجنون.

فقـال إياس: ياجارية، أتذكرين متى ولدت؟ قالت: نعم، قال: فأي رجليك أطول؟ قالت: هذه، فقال إياس: ردها، فإنها مجنونة.

٩٤ ـ وقال أبوالحسن المدائني، عن عبدالله بن مصعب: أن معاوية بن قُرَّة شهد عند ابنه إياس بن معاوية ـ مع رجال عَدَّلهم ـ على رجل بأربعة آلاف درهم.

فقال المشهود عليه: ياأبا واثلة، تثبَّت في أمري. فو الله ما أشهدتهم إلا على ألفين.

فسأل إياس أباه والشهود: أكان في الصحيفة التي شهدوا عليها فضل؟ قالوا: نعم، كان الكتاب في أولها والطينة في وسطها، وباقي الصحيفة أبيض.

قال: أفكان المشهود له يلقاكم أحيانًا، فيذكركم شهادتكم بأربعة آلاف درهم؟ قالوا: نعم: كان لا يزال يلقانا، فيقول: اذكروا شهادتكم على فلان بأربعة آلاف درهم، فصرفهم ودعا المشهود له.

فقال: يا عدو الله، تغفلت قوما صالحين، فأشهدتهم على صحيفة جعلت طينتها في وسطها، وتركت فيها بياضًا في أسفلها، فلما ختموا الطينة قطعت الكتاب الذي فيه حقك ألفا درهم، وكتبت في البياض أربعة آلاف فصارت الطينة في آخر الكتاب. ثم كنت تلقاهم فتلقنهم، وتذكرهم أنها أربعة آلاف. فأقر بذلك وسأله الستر عليه. فحكم له بألفين، وستر عليه.

٩٥ ـ وقال نعيم بن حماد عن إبراهيم بن مرزوق البصري: كنا عند إياس ابن معاوية، قبل أن يُستقصى، وكنا نكتب عنه الفراسة، كما نكتب عن المحدث الحديث، إذ جاء رجل، فجلس على دكان مرتفع بالمِرْبَد، فجعل يترصد الطريق.

فبينما هو كذلك إذ نزل فاستقبل رجلاً فنظر في وجهه، ثم رجع إلى موضعه.

فقال إياس: قولوا في هذا الرجل. قالوا: ما نقول؟ رجل طالب حاجة.

فقال: هو معلم صبيان، قد أبق له غلام أعور.

فقام إليه بعضنا فسأله عن حاجته؟ فقال: هو غلام لي آبق. قالوا: وما صفته؟ قال: كذا وكذا، وإحدى عينيه ذاهبة. قلنا: وما صنعتك؟ قال: أعلم الصبيان.

قلنا لإياس: كيف علمت ذلك؟ قال: رأيته جاء فجعل يطلب موضعًا يجلس فيه فنظر إلى أرفع شيء يقدر عليه فجلس عليه.

فنظرت في قدره فإذا ليس قَدْرَهُ قدر الملوك.

فنظرت فيمن اعتاد في جلوسه جلوس الملوك، فلم أجدهم إلا المعلمين، فعلمت أنه معلم صبيان.

فقلنا: كيف علمت أنه أبق له غلام، قال: إني رأيته يترصد الطريق، ينظر في وجوه الناس.

قلنا: كيف علمت أنه أعور؟ قال: بينما هو كذلك إذ نزل فاستقبل رجلا قد ذهبت إحدى عينيه، فعلمت أنه شبَّهه بغلامه.

٩٦ - وقال الحارس بن مرة: نظر إياس بن معاوية إلى رجل. فقال: هذا غريب، وهو من أهل واسط، وهو معلم. ويطلب عبدًا له أبق. فوجدوا الأمر كما قال.

فسألوه؟ فقال: رأيته يمشي ويلتفت فعلمت أنه غريب.

ورأيته وعلى ثوبه حمرة تربة، واسط فعلمت أنه من أهلها.

ورأيته يمر بالصبيان فيسلم عليهم ولا يسلم على الرجال فعلمتُ أنه معلم.

ورأيته إذا مرَّ بذي هيئة لم يلتفت إليه، وإذا مرَّ بذي أسمال تأمله. فعلمت أنه يطلب آبقًا.

٩٧ - وقال هلال بن العلاء الرقي عن القاسم بن منصور عن عمرو بن بكير: مرَّ إياس بن معاوية. فسمع قراءة من عِلِّية، فقال: هذه قراءة امرأةحامل بغلام فسئل: كيف عرفت ذلك فقال سمعت بصوتها ونفَسها مخالطة فعلمت أنها حامل، وسمعت صَحَلا. فعلمت أن الحمل غلام.

٩٨ - ومرَّ بعد ذلك بكتَّاب فيه صبيان. فنظر إلى صبي منهم. فقال: هذا ابن تلك المرأة. فكان كما قال.

٩٩ - وقال رجل لإياس بن معاوية: علِّمني القضاء.

فقال: إن القضاء لا يعلم؛ إنما القضاء فَهْمَ. ولكن قل: علِّمني من العلم.

١٠٠ ـ وذكر الجاحظ أن إياس بن معاوية نظر إلى صدر في أرض، فقال: تحت هذا دابة، فنظروا فإذا حية، فقيل له: من أين علمت؟ قال: رأيت ما بين الأجرتين نديًا من بين جميع تلك الرحبة، فعلمت أن تحتها شيئًا يتنفس.

١٠١ ـ وقال الجاحظ: وحج إياس فسمع نباح كلب، فقال: هذا كلب مشدود، ثم سمع نباحه، فقال قد أرسل، فانتهروا إلى الماء، فسألوهم فكان كما قال، فقيل له: من أين علمت؟

قال: كان نباحه وهو موثق يسمع من مكان واحد، ثم سمعته يقرب مرة ويبعد أخرى.

١٠٢ ـ ومرّ إياس ليلة بماء فقال: اسمع صوت كلب غريب، فقيل له: كيف عرفته. قال: بخضوع صوته وشدة نباح الآخرين. فسألوا: فإذا كلب غريب والكلاب تنبحه.

«فراسة شريح»

١٠٣ ـ عن مجالد بن سعيد قال، قلت للشعبي يقال في المثل: إن شريحًا أدهى من الثعلب وأحيل فما هذا؟ فقال لي في ذلك: إن شريحًا خرج أيام الطاعون إلى النجف، وكان إذا قام يصلي يجيء ثعلب فيقف تجاهه، فيحاكيه ويخيل بين يديه، فيشغله عن صلاته، فلما طال ذلك عليه نزع قميصه، فجعله على قصبة، وأخرج كمية وجعل قلنسوته وعمامته عليه، فأقبل الثعلب، فوقف على عادته، فأتى شريح من خلفه، فأخذه بغتة، فلذلك يقال: هو أدهى من الثعلب وأحيل.

١٠٤ ـ عن مجالد عن الشعبي قال: شهدت شريحًا وقد جاءته إمرأة تخاصم رجلاً، فأرسلت عينيها فبكت، فقلت ياأبا أمية، ما أظن هذه البائسة إلا مظلومة. فقال ياشعبي: إن أخوة يوسف ﴿جَاؤُ أَبَاهُمْ عَشَاءً يَبْكُونَ﴾.

١٠٥ ـ عن شيخ من قريش قال: عرض شريح ناقة يبيعها، فقال له المشتري: ياأبا أمية، كيف لبنها؟ قال: أحلب في أي إناء شئت. قال: كيف الوطء؟ قال: افرش ونم. قال: كيف نجاؤها؟ قال: إذا رأيتها في الإبل عرفت مكانها على سوطك. فقال: كيف قوتها؟ قال احمل على الحائط ما شئت. فاشتراها. فلم ير شيئًا مما وصف، فرجع إليه فقال: لم أر فيها شيئًا مما وصفتها به. قال: ما كذبتك. قال: اقلني قال: نعم.

١٠٦ ـ قال القرشي: وحدثني أبوالقاسم السلمي عن غير واحد من أشياخه قال: إن شريحًا خرج من عندزياد وهو مريض، فأرسل إليه مسروق بن الأجدع رسولاً يسأله كيف وجدت الأمير؟ قال: تركته يأمر وينهي. قال: يأمر بالوصية وينهي عن النياحة.

١٠٧ ـ قال الشيخ[1]: وقد روينا أن عدي بن أرطأة أتى شريحًا وهو في مجلس القضاء فقال لشريح: أين أنت؟ قال: بينك وبين الحائط. قال: اسمع مني. قال: لهذا جلست مجلسي. قال: إني رجل من أهل الشام. قال: الحبيب القريب. قال: وتزوجت امرأة من قومي، قال: بارك الله لك بالرفاء والبنين. قال: وشرطت لأهلها أن لا أخرجها. قال: الشرط أملك. قال: وأريد الخروج. قال: في حفظ الله. قال: أقض بيننا. قال: قد فعلت.

«فراسة القاضي أبي حازم»

وكان القاضي أبوحازم له في ذلك العجب العجاب. وكانوا ينكرون عليه. ثم يظهر الحق فيما يفعله.

(١) يعني ابن الجوزي البغدادي المتوفى سنة ٥٩٧هـ.

١٠٨ ـ قال مكرم بن أحمد: كنت في مجلس القاضي أبي حازم فتقدم رجل شيخ ومعه غلام حدث، فادعى الشيخ عليه ألف دِيْنار دينًا، فقال: ما تقول؟ قال: نعم. فقال القاضي للشيخ: ماتشاء؟ قال: حبسه؟ قال: لا. فقال الشيخ: إن رأى القاضي أن يحبسه فهو أرجى لحصول مالي. فتفرس أبوحازم فيهما ساعة. ثم قال: تلازما حتى أنظر في أمركما في مجلس آخر، فقلت له: لم أخرت حبسه؟ فقال: ويحك، إني أعرف في أكثر الأحوال في وجوه الخصوم وجه المحق من المبطل. وقد صارت لي بذلك درية[1] لا تكاد تخطيء. وقد وقع إلى أن سماحة هذا بالإقرار عن بلية ولعله ينكشف لي من أمرهما ما أكون معه على بصيرة، أما رأيت قلة تغاضبهما في المناكرة، وقلة اختلافهما، وسكون طباعهما مع عِظم المال؟ وما جرت عادة الأحداث بفرط التورع حتى يقر مثل هذا طوعًا عجلا، منشرح الصدر على هذا المال، قال: فنحن كذلك نتحدث إذ أتى الآذن يستأذن على القاضي لبعض التجار، فأذن له، فلما دخل قال: أصلح الله القاضي، إني بليت بولد لي حدث يتلف كل مال يظفر به من مالي في القيان عند فلان. فإذا منعته احتال بحيل تضطرني إلى التزام الغرم عنه. وقد نصب اليوم صاحب القيان يطالب بألف دينار حالاً. وبلغني أنه تقدم إلى القاضي ليقرَّ له فيحبسه. وأقع مع أمه فيما ينكد عيشنا إلى أن أقضى عنه. فلما سمعت بذلك بادرت إلى القاضي لأشرح له أمره. فتبسم القاضي. وقال لي: كيف رأيت؟ فقلت: هذا من فضل الله على القاضي. فقال: عليّ بالغلام والشيخ. فأرهب أبوحازم الشيخ، ووعظ الغلام. فأقرا، فأخذا الرجل ابنه وانصرفا.

---

(١) وفي بعض النسخ تحريف لها إلى (دراية) والخطب يسير: ولكن الأمانة العلمية تقتضينا أن نحافظ على (نص المصنف). انظر السياسة الشرعية لابن القيم.

١٠٩ ـ وروى أن رجلاً جاء إلى أبي حازم فقال له: إن الشيطان يأتيني فيقول: إنك قد طلقت زوجتك فيشككني. فقال له أَوَليس قد طلقتها؟ قال: لا. قال: ألم تأتيني أمس فطلقتها عندي؟ فقال: والله ما جئتك إلاَّ اليوم ولا طلقتها بوجه من الوجوه. قال: فاحلف للشيطان إذا جاءك كما حلفت لي وأنت في عافية.

«فراسة ابن النسوي»

١١٠ ـ قال الشيخ: حدثني أبومحمد عبدالله بن علي المقري قال: كان حاجب باب ابن النسوي ذكيًا، فسمع في بعض ليالي الشتاء صوت برادة، فأمر بكبس الدار، فأخرجوا رجلاً وامرأة، فقيل له: من أين علمت هذا؟ قال: في الشتاء لا يبرد الماء، وإنما هذه علامة بين هذين.

١١١ ـ وبه حدثني أبوحكيم إبراهيم بن دينار الفقيه قال: حدثني أبي قال: جيء إلى ابن النسوي برجلين قد اتهما بالسرقة فأقامهما بين يديه، ثم قال: شربة ماء فجاء بها، فأخذ يشرب ثم ألقاها من يده عمدًا فوقعت فانكسرت، فانزعج أحد الرجلين لانكسارها وثبت الآخر، فقال للمنزعج: اذهب أنت، وقال للآخر: رد ما أخذت، فقيل له من أين علمت؟ فقال: اللص قوي القلب لا ينزعج وهذا المنزعج بريء لأنه لو تحركت في البيت فأرة لأزعجته ومنعته أن يسرق.

١١٢ ـ وبه ذكر بعض مشايخنا: أن رجلاً من جيران ابن النسوي كان يصلي بالناس دخل على ابن النسوي في شفاعة، وبين يديه صحن فيه قطائف فقال له ابن النسوي: كُلْ. فامتنع، فقال: كأنني بك وأنت تقول من أين لابن النسوي شيء حلال، ولكن كُلْ، فما أكلت قط أحل من هذا. فقال بحكم المداعبة: من أين لك شيء لا يكون فيه شبهة؟ فقال: إن

أخبرتك تأكل؟ قال: نعم، فقال: كنت منذ ليال في مثل هذا الوقت، فإذا الباب يدق، فقالت الجارية: من؟ فقالت: إمرأة تستأذن، فأذن لها، فدخلت فأكبت على قدمي تقبلها، فقلت: ما حاجتك؟ قالت: لي زوج ولي منه ابنتان لواحدة اثنتا عشرة سنة وللأخرى أربع عشرة سنة، وقد تزوج عليّ وما يقربني والأولاد يطلبونه، فيضيق صدري لأجلهم، وأريد أن يجعل ليلة لي ولتلك ليلة، فقلت لها: صناعته؟ فقالت: خباز، قلت: وأين دكانه؟ قالت: بالكرخ، ويعرف بفلان بن فلان. فقلت: وأنت بنت من؟ فقالت: بنت فلان، قلت فما اسم بناتك؟ قالت: فلانة وفلانة.. قلت أنا أرده إليك إن شاء الله تعالى، فقالت: هذه شقة قد غزلتها أنا وابنتاي، وأنت في حل منها. قلت خذي شقتك وانصرفي. فمضت فبعثت إليه اثنين وقلت احضراه ولا تزعجاه. فأحضراه وقد طار عقله، فقلت: لا بأس عليك إنما استدعيتك لأعطيك كرا طعام وعمالته تقيمه خبزاً للرحالة، فسكن روعه وقال: ما أريد له عمالة. قلت: بلى. صديق مخسر عدو مبين. أنت مني وإليّ. كيف هي زوجتك فلانة تلك بنت عمي، وكيف بناتها فلانة وفلانة؟ فقال: بكل خير، قلت: الله الله لا أحتاج أن أوصيك بها لا تضيق صدرها فقبل يدي، فقلت امض إلى دكانك وإن كان لك حاجة فالموضع بحكمك فانصرف. فلما كان في هذه الليلة جاءت المرأة فدخلت، وهذا الصحن معها، وأقسمت عليّ بالله أن لا أردها، وقالت: قد جمعت شملي وشمل أولادي، وهذا والله من ثمن غزلي، فبالله لا ترده، فقبلته، فهل هو حلال؟ فقال: والله ما في الدنيا أحل من هذا. قال: فكُلْ، فأكل.

«فراسة أبي حنيفة»

١١٣ - وعن أبي يوسف قال: دعا المنصور أبا حنيفة، فقال الربيع حاجب المنصور، وكان يعادي أبا حنيفة: ياأمير المؤمنين: هذا أبوحنيفة يخالف جدك كان عبدالله بن عباس يقول إذا حلف على اليمين، ثم استثنى بعد ذلك بيوم أو يومين جاز الاستثناء، وقال أبوحنيفة: لا يجوز الاستثناء إلا متصلاً باليمين، فقال أبوحنيفة ياأمير المؤمنين: إن الربيع يزعم أن ليس لك في رقاب جندك بيعة. قال: وكيف؟ قال: يحلفون لك ثم يرجعون إلى منازلهم فيستثنون فتبطل إيمانهم؛ فضحك المنصور وقال: ياربيع، لا تعرض لأبي حنيفة، فلما خرج أبوحنيفة قال له الربيع: أردت أن تشيط بدمي. قال: لا. ولكنك أردت أن تشيط بدمي، فخلصتك وخلصت نفسي.

١١٤ - عن عبدالواحد بن غياث قال: كان أبوالعباس الطوسي سيء الرأي في أبي حنيفة، وكان أبو حنيفة يعرف ذلك، فأقبل عليه فقال: ياأبا حنيفة، إن أمير المؤمنين يدعو الرجل منا فيأمره بضرب عنق الرجل لا يدري ما هو أيسعه أن يضرب عنقه؟ فقال: ياأبا العباس أمير المؤمنين يأمر بالحق أو الباطل؟ قال: بالحق. قال: انفذ الحق حيث كان ولا تسأل عنه، ثم قال أبوحنيفة لمن قرب منه إن هذا أراد أن يوثقني فربطته.

١١٥ - عن علي بن عاصم قال: دخلت على أبي حنيفة وعنده حجّام يأخذ من شعره، فقال للحجام: تتبع مواضع البياض لا تزد. قال: ولِمَ؟ قال: لأنه يكثر، فتتبع مواضع السواد لعله يكثر.

١١٦ - عن يحيى بن جعفر قال: سمعت أبا حنيفة يقول: احتجت إلى ماء بالبادية، فجاءني أعرابي ومعه قربة من ماء، فأبى أن يبيعنيها إلا بخمسة

دراهم، فدفعت إليه خمسة دراهم وقبضت القربة، ثم قلت ياأعرابي، ما رأيك في السويق؟ فقال: هات. فأعطيته سويقًا ملتوتًا بالزيت، فجعل يأكل حتى امتلأ، ثم عطش، فقال: شربة. قلت: بخمسة دراهم، فلم أنقصه من خمسة دراهم على قدح من ماء، فاستردت الخمسة وبقي معي الماء.

١١٧ ـ عن عبدالمحسن بن علي قال: ذكر أبوحنيفة وفطنته، فقال استودع رجل من الحجاج رجلاً بالكوفة وديعة، فحج ثم رجع، فطلب وديعته، فأنكر المستودع وجعل يحلف له، فانطلق الرجل إلى أبي حنيفة يشاوره، فقال: لا تعلم أحدًا بجحوده. قال: وكان المستودع يجالس أباحنيفة، فخلا به وقال له: إن هؤلاء قد بعثوا يستشيروني في رجل يصلح للقضاء، فهل تنشط؟ فتمانع الرجل قليلاً، وأقبل أبوحنيفة يرغبه فانصرف على ذلك وهو طمع، ثم جاء صاحب الوديعة، فقال له أبوحنيفة: اذهب إليه وقل له: أحسبك نسيتني أودعتك في وقت كذا والعلامة كذا. قال: فذهب الرجل فقال له، فدفع إليه الوديعة، فلما رجع المستودع قال أبوحنيفة: إني نظرت في أمرك فأردت أن أرفع قدرك ولا أسميك حتى يحضر ما هو أجل من هذا.

١١٨ ـ عن ابن الوليد قال: كان في جوار أبي حنيفة فتى يعتني مجلس أبي حنيفة ويكثر الجلوس عنده، فقال يومًا لأبي حنيفة: إني أريد التزويج إلى فلان من أهل الكوفة، وقد خطبت إليهم، وقد طلبوا مني من المهر فوق وسعي وطاقتي، وقد تعلقت نفسي بالتزويج، فقال أبوحنيفة: فاستخر الله تعالى وأعطهم ما يطلبونه منك فأجابهم إلى ما طلبوه فلما عقدوا النكاح بينهم وبينه جاء إلى أبي حنيفة، فقال له: إني قد سألتهم أن يأخذوا مني البعض وليس في وسعي الكل، وقد أبوا أن يحملوها إلا بعد وفاء الدين كله فماذا

ترى؟ قال: احتل واقترض حتى تدخل بأهلك، فإن الأمر يكون أسهل عليك من تشدد هؤلاء القوم، ففعل ذلك وأقرضه أبوحنيفة فيمن أقرضه، فلما دخل بأهله وحملت إليه قال أبوحنيفة: ما عليك أن تظهر أنك تريد الخروج عن هذا البلد إلى موضع بعيد، وإنك تريد أن تسافر بأهلك معك، فاكترى الرجل جملين وجاء بهما وأظهر أنه يريد الخروج إلى خراسان في طلب المعاش، وأنه يريد حمل أهله معه، فاشتد ذلك على أهل المرأة وجاؤا إلى أبي حنيفة ليسألوه ويستعينوه في ذلك، فقال لهم أبوحنيفة: له أن يخرجها إلى حيث شاء. قالوا له: ما يمكننا أن ندعها تخرج. فقال لهم أبوحنيفة: فأرضوه بأن تردوا عليه ما أخذتموه منه، فأجابوه إلى ذلك. فقال أبوحنيفة للفتى: إن القوم قد سمحوا أن يردوا عليك ما أخذوه منك من المهر ويبرؤك منه، فقال له الفتى: وأنا أريد منهم شيئًا آخر فوق ذلك، فقال أبوحنيفة: أيما أحب إليك أن ترضى بهذا الذي بذلوه لك، وإلا أقرت المرأة لرجل يدين لا يمكنك أن تحملها ولا تسافر بها حتى تقضي ما عليها من الدين قال، فقال الرجل: الله الله لا يسمعوا بهذا، فلا آخذ منهم شيئًا، فأجاب إلى الجلوس وأخذ ما بذلوه من المهر.

١١٩ - عن أحمد بن الدقاق قال: بلغني أن رجلاً من أصحاب أبي حنيفة أراد أن يتزوج، فقال أهل المرأة: نسأل عنه أباحنيفة، فأوصاه أبوحنيفة، فقال: إذا دخلت عليَّ فضع يدك على ذكرك، ففعل ذلك، فلما سألوه عنه قال: قد رأيت في يده ما قيمته عشرة آلاف درهم.

١٢٠ - وبلغنا أن رجلاً جاء إلى أبي حنيفة فشكا له أنه دفن مالاً في موضع ولا يذكر الموضع، فقال أبوحنيفة: ليس هذا فقهاً فأحتال لك فيه، ولكن اذهب فصلِّ الليلة إلى الغداة، فإنك ستذكره إن شاء الله تعالى، ففعل الرجل ذلك، فلم يمض إلاَّ أقل من ربع الليل حتى ذكر الموضع، فجاء

إلى أبي حنيفة فأخبره فقال: قد علمت أن الشيطان لا يدعك تصلي حتى تذكر، فهلا أتممت ليلتك شكرًا لله عز وجل.

«فراسة الإمام الشافعي وفطنته رحمه الله»

١٢١ ـ قال الإمام أبوحاتم الرازي: (أخبرنا) أبوالحسن، (أنا) أبومحمد، ثنا أحمد بن سلمة بن عبدالله النيسابوري؛ قال: قال أبوبكر محمد بن إدريس: وراق الحميدي: سمعت الحميدي، يقول: قال محمد بن إدريس الشافعي[1]:

«خرجت إلى اليمن: في طلب كتب الفراسة؛ حتى كتبتها وجمعتها. ثم: لما حان انصرافي، مررت على رجل في طريقي: وهو مُحْتَبٍ بفناء داره: أزرق العينين، ناتىء الجبهة، سناط[2]. فقلت له: هل من منزل؟. فقال: نعم. ـ (قال الشافعي): وهذا النعت أخبث ما يكون، في الفراسة ـ فأنزلني، فرأيت أكرم رجل: بعث إليَّ بعشاء وطيب، وعلف لدابتي، وفراش ولحاف. فجعلت: أتقلب الليل أجمع: ما أصنع بهذه الكتب؟ ـ: إذ رأيت هذا النعت، في هذا الرجل، فرأيت أكرم رجل. ـ فقلت: أرمي بهذه الكتب».

فلما صبحت، قلت للغلام: أسرج؛ فأسرج: فركبت ومررت عليه، وقلت له: إذا قدمت مكة، ومررت بذي طوى[3] / فسل عن منزل محمدبن إدريس الشافعي».

---

(١) كما في الحلية ١٤٤، ومفتاح دار السعادة ٥٦٧. وذكر في التوالي (٥١): باقتضاب؛ وفي مناقب الفخر ١٢٠ـ١٢١، والآداب الشرعية ٣/٥٨٢ـ٥٨٣.

(٢) هو: الكوسج الذي لا لحية له أصلا؛ كما في المختار.

(٣) قال في المصباح: هو: «واد بقرب مكة على نحو فرسخ، ويعرف في وقتنا. بالزاهر، في طريق التنعيم.

«فقال لي الرجل: أمولَى لأبيك أنا؟!. قلت: لا.».

قال: فهل كانت لك عندي نعمة؟!. فقلت: لا.».

«فقال: أين ما تكلفت لك البارحة؟. قلت: وما هو؟».

«قال: اشتريت لك طعامًا: بدرهمين؛ وإداما بكذا؛ وعطرًا: بثلاثة دراهم؛ وعلفًا لدابتك: بدرهمين؛ وكراء الفراش واللحاف: درهمان».

« (قال): قلت: ياغلام؛ أعطه؛ فهل بقي: من شيء؟».

«قال: كراء المنزل؛ فإني وسعت عليك، وضيقت على نفسي. (قال الشافعي): فغبطت نفسي: بتلك الكتب ـ فقلت له بعد ذلك: هل بقي: من شيء؟».

قال: أمض؛ أخزاك الله: فما رأيت قط شرًا منك».

فقال الشافعي في نفسه لقد عظم اعتقادي في تلك الأجزاء التى جمعتها في علم الفراسة وتيقنت ان هذا العلم حق.

١٢٢ ـ وقال الربيع بن سليمان كنت عند الشافعي فجاءه رجل برقعة كتب فيها:

سل المفتي المكيّ هل في تزوارٍ ونظرة[1] مشتاق الفؤاد جناح

فأجابه الشافعي:

معاذ إله العرش أن يُذْهب التقى تلاحُقُ أكبادٍ بهنّ جراح

قال الربيع فأنكرت على الشافعي أن يفتي لحدث بمثل هذا فقلت: ياأبا عبدالله تفتي بمثل هذا لمثل هذا الشاب؟ فقال لي: ياأبا محمد هذا رجل هاشمي قد عرس في هذا الشهر يعني شهر رمضان، وهو حدث السنّ. فسأل هل عليه جناح أن يقبل أو يضم من غير وطيء فأفتيته بهذا. قال الربيع: فتبعت الشاب فسألته عن حاله فذكر لي أنه مثل ما قال الشافعي.

قال: فما رأيت فراسة أحسن منها.

---

(١) وفي رواية: ضمة وانظر مناقب الشافعي للحاكم. والطبقات للسبكي.

١٢٣ ـ ويروى أن رجل راح يفحص النائمين واحدًا أثر الآخر.
فقال الشافعي لتلميذه البار الربيع المزني:
قم واذهب إلى هذا الرجل وقل له انه يبحث عن عبد أسود مصاب بمرض في إحدى عينيه. قال الربيع: فقمت ونفذت الأمر فقال الرجل:
نعم، هذا صحيح. وبعدها ذهب الرجل إلى الشافعي وسأله: أين عبدي؟ ابحث عنه في السجن، فإنه هناك. فرحل الرجل ووجد عبده بالفعل في السجن فخاطب الربيع الشافعي قائلاً: اشرح لي هذا الذي حدث لأنك سببت لنا حيرة.
أجاب قائلاً: رأيت رجلاً يدخل من باب الجامع ويلف حول النائمين، قلت: أنه يبحث عن هارب.
وحين اقترب من السود وتجاهل البيض، قلت أحد عبيده السود قد فر هاربًا، وحين رأيته يتفحص العين اليسرى استنبطت أن العبد لابد أن يكون مصابًا بمرض في عينه، قلنا له: وكيف عرفت أنه في السجن. أجاب مطبقًا «الحديث» على العبيد «إذا جاعوا سرقوا وإذا شبعوا نكحوا» واستنبطت أنه لابد أن يكون قد اقترف أحد هذين الجرمين، وأنتم ترون الآن أنه كذلك.(١)
١٢٤ ـ ويروى ان الشافعي ومحمد بن الحسن كانا جالسين بفناء الكعبة فدخل رجل من باب المسجد فقال أحدهما:
أراه نجارًا، وقال الآخر: بل حداداً.
فتبادر من حضر إلى الرجل فسألوه فقال لهم: كنت نجارًا، وأنا الآن حدادًا.

---

(١) انظر مناقب الشافعي للبيهقي وتوالي التأسيس لابن حجر.

١٢٥ - وعن حرملة بن يحيى قال: سمعت الشافعي وقد سأله رجل فقال:
حلفت بالطلاق إن أكلت هذه الثمرة أو رميت بها.
قال: تأكل نصفها وترمي نصفها.

* قال ابن الجوزي وهذا المنقول عن الشافعي هو قول أحمد بن حنبل في إحدى الروايتين عنه. وقد ذكر أصحابنا من جنس هذه المسألة كثيرًا لا يكاد يتنبه له في الفتوى إلّا الفطن، فتذكر منه ههنا مسائل لأن ذكر مثل هذا ينبه الفطن.

* فمنها: إذا قال لزوجته وهي في ماء إن أقمت في هذا الماء فأنت طالق، وإن خرجت منه فأنت طالق، فإننا ننظر فإن كان الماء جاريًا ولا نية له لم تطلق سواء خرجت أو أقامت، وإن كان راكدًا فالحيلة أن تحمل في الحال مكرهة، فإن كانت على سلم فقال لها إن صعدت فيه أو نزلت أو أقمت أو رميت نفسك أو حطك أحد فأنت طالق، فإنها تنتقل إلى سلم آخر، فإن أكل رطبًا كثيرًا، ثم قال: أنت طالق إن لم تخبريني بعدد ما أكلت، فخلاصها أن تعد من واحد إلى عدد يتحقق أن ما أكله قد دخل فيه، فإن أكل رطبًا، فقال لها: أنت طالق إن لم تميزي نوى ما أكلت من نوى ما أكلتِ، وقد اختلط، فإنها تفرد كل نواة على حدة، فإن قال لها: أنت طالق إن لم تصدقيني هل سرقت مني أم لا، فإنها إذا قالت سرقت ما سرقت لم تطلق، فإن كان له ثلاث زوجات، فاشترى لهن خمارين، فاختصمن عليهما، فقال: أنتن طوالق إن لم تختمر كل واحدة منكن عشرين يومًا في هذا الشهر، فالوجه أن تختمر الكبرى والوسطى بالخمارين عشرة أيام، ثم تدفع الكبرى الخمار إلى الصغرى ويبقى خمار الوسطى إلى تمام عشرين يومًا، ثم تأخذ الكبرى خمار الوسطى إلى تمام الشهر.

* مسألة: إذا سافر بالنسوة سفرًا قدره ثلاثة فراسخ، ومعه بغلان، فاختصمن

على الركوب، فحلف بالطلاق لتركبن كل واحدة منكن فرسخين، فتركب الكبرى والوسطى فرسخًا ثم تنزل الوسطى وتركب الكبرى مكانها. وتركب الصغرى مكان الوسطى إلى تمام المسافة وتركب الوسطى مكان الكبرى عند تمام الفرسخين. والله أعلم.

* مسألة: إذا حمل إلى بيته ثلاثين قارورة عشرة ملأي وعشرة في كل واحدة نصفها وعشرة فرغ، ثم قال: أنتن طوالق إن لم أقسمها بينكن بالسوية من غير أن استعين على القسمة بميزان ولا مكيال، فإنه يملأ خمسًا من المنصفات بالخمس الآخر، ثم يدفع إلى كل واحدة خمسة مملوءة وخمسة فارغاً.

* فإن رأى مع زوجته إناء فيه ماء، فقال: اسقنيه فامتنعت، فحلف بالطلاق لا شربت هذا الماء، ولا أرقتيه ولا تركتيه في الإناء ولا فعل غير ذلك، فالحيلة أن تطرح في الإناء ثوبًا يشرب الماء، ثم يجفف في الشمس.

«فراسة يحيى بن أكثم»

١٢٦ ـ ذكر أبو على عيسى بن محمد الطوماري أنه سمع أبا حازم القاضي سمعت أبي يقول: ولي يحيى بن أكثم قضاء البصرة وسنه عشرون أو نحوها، فقال له أحدهم: كم سنو القاضي؟ قال: فعلم أنه قد استصغر. فقال له: أنا أكبر من عتاب بن أسيد الذي وَجه به النبي ﷺ قاضيًا على أهل مكة يوم الفتح، وأنا أكبر من معاذ بن جبل الذي وجه به النبي ﷺ قاضيًا على أهل اليمن، وأنا أكبر من كعب بن سور الذي وجه به عمر بن الخطاب قاضيًا على أهل البصرة.

«فراسة قاضى»

١٢٧ ـ حدثنا ابن السماك قال: اختصم إلى قاضي القضاة الشامي يومًا رجلان وهو بجامع المنصور، فقال أحدهما: إني أسلمت إلى هذا عشرة دنانير،

فقال للآخر: ماتقول؟ قال: ما أسلم إليَّ شيئًا. فقال للطالب: هل لك بيِّنة؟ قال: لا. قال: ولا سلمتها إليه بعين أحد؟ قال: لا. لم يكن هناك إلا الله عز وجل. قال: فأين سلمتها إليه؟ قال: بمسجد بالكرخ. فقال للمطلوب أتحلف؟ قال: نعم. قال للطالب: قم إلى ذلك المسجد الذي سلمتها إليه فيه وائتني بورقة من مصحف لأحلفه بها، فمضى الرجل واعتقل القاضي الغريم، فلما مضت ساعة التفت القاضي إليه، فقال: تظنُّ أنه قد بلغ ذلك المسجد؟ فقال: لا ما بلغ إليه، فكان هذا كالاقرار، فألزمه بالذهب فأقرَّ به.

«فراسة كعب بن سور»

١٢٨ - فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أتته امرأة فشكرت عنده زوجها وقالت: «هو من خير أهل الدنيا؛ يقوم الليل حتى الصباح، ويصوم النهار حتى يمسي»، ثم أدركها الحياء، فقال: «جزاك الله خيراً فقد أحسنت الثناء» فلما ولت قال كعب بن سور: «ياأمير المؤمنين، لقد أبلغت في الشكوى إليك، فقال: وما اشتكت؟؛ قال: زوجها. قال: عليّ بهما. فقال لكعب: اقض بينهما. قال: أقضى وأنت شاهد؟ قال: إنك قد فطنت إلى ما لم أفطن له. قال: إن الله تعالى يقول: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع﴾[1] صم ثلاثة أيام، وأفطر عندها يوماً. وقم ثلاث ليال، وبت عندها ليلة، فقال عمر: هذا أعجب إلّي من الأول» فبعثه قاضيًا لأهل البصرة. فكان يقع له في الحكومة من الفراسة أمور عجيبة.

---

(١) سورة النساء - الآية ٣.

«فراسة الليث بن سعد»

١٢٩ ـ عن أبي علي الحسن بن مليح الطرائفي بمصر، حدثنا لولو الخادم ـ خادم الرشيد ـ قال:

جري بين هارون الرشيد وبين ابنة عمه زبيدة مناظرة وملاحاة في شيء من الأشياء، فقال هارون لها في عرض كلامه: أنت طالق إن لم أكن من أهل الجنة، ثم ندم واغتما جميعًا بهذا اليمين، ونزلت بهما مصيبة لموضع ابنة عمه منه، فجمع الفقهاء وسألهم عن هذه اليمين فلم يجد منها مخرجاً، ثم كتب إلى سائر البلدان من عمله أن يحمل إليه الفقهاء من بلدانهم، فلما اجتمعوا جلس لهم وأدخلوا عليه، وكنت واقفاً بين يديه لأمر إن حدث يأمرني بما شاء فيه، فسألهم عن يمينه، وكنت المعبر عنه، وهل له منها مخلص، فأجابه الفقهاء بأجوبة مختلفة، وكان إذ ذاك فيهم الليث بن سعد في من أشخص من مصر، وهو جالس في آخر المجلس لم يتكلم بشيء، وهارون يراعي الفقهاء واحدًا واحدًا. . . فقال له: بقي ذلك الشيخ في آخر المجلس لم يتكلم بشيء، فقلت له، إن أمير المؤمنين يقول لك: مالك لا تتكلم كما تكلم أصحابك؟ . .

فقال: قد سمع أمير المؤمنين قول الفقهاء وفيه مقنع، فقال: قل إن أمير المؤمنين يقول: لو أردنا ذلك سمعنا من فقهائنا ولم نشخصكم من بلدانكم، ولما أحضرت هذا المجلس، فقال يخلي أمير المؤمنين مجلسه إن أراد أن يسمع كلامي في ذلك.

فانصرف من كان بمجلس أمير المؤمنين من الفقهاء والناس، ثم قال: تكلم، فقال: يدنيني أمير المؤمنين، فقال: ليس بالحضرة إلا هذا الغلام وليس عليك منه عين، فقال: ياأمير المؤمنين، أتكلم على الأمان

وعلى طرح للتعمل والهيبة والطاعة لي من أمير المؤمنين في جميع ما آمر به؟ . . قال: لك ذلك، قال: يدعو أمير المؤمنين بمصحف جامع، فأمر به فأحضر، فقال: يأخذه أمير المؤمنين فيتصفحه حتى يصل إلى سورة الرحمن، فأخذه وتصفحه حتى وصل إلى سورة الرحمن، فقال: يقرأ أمير المؤمنين، فقرأ، فلما بلغ «ولمن خاف مقام ربه جنتان» قال: قف ياأمير المؤمنين ههنا. . فوقف، فقال: يقول أمير المؤمنين: والله. . . فاشتد على الرشيد وعلى ذلك. . فقال له هارون: ما هذا؟ قال: ياأمير المؤمنين، على هذا وقع الشرط، فنكس أمير المؤمنين رأسه ـ وكانت زبيدة في بيت مسبل عليه ستر قريب من المجلس تسمع الخطاب ـ ثم رفع هارون رأسه فقال: والله، قال: الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم إلى أن بلغ آخر اليمين، ثم قال: إنك ياأمير المؤمنين تخاف مقام الله. .

قال هارون: إني أخاف مقام الله.

فقال: ياأمير المؤمنين، فهي جنتان وليست بجنة واحدة كما ذكر الله تعالى في كتابه، فسمعت التصفيق والفرح من خلف الستر، وقال هارون، أحسنت والله، بارك الله فيك، ثم أمر بالجوائز والخلع لليث بن سعد.

ثم قال هارون: ياشيخ اختر ما شئت وسل ما شئت تجب فيه.

فقال: ياأمير المؤمنين، وهذا الخادم الواقف على رأسك. .

فقال: وهذا الخادم. .

فقال: ياأمير المؤمنين، والضياع التي لك بمصر ولابنة عمك أكون عليها وتسلم إلى لأنظر في أمورها. .

قال: بل نقطعك إقطاعًا. . .

فقال: ياأمير المؤمنين، ما أريد من هذا شيئًا بل تكون في يدي لأمير المؤمنين فلا يجري على حيف العمال وأعز بذلك.

فقال: لك ذلك، وأمر أن يكتب له ويسجل بما قال، وخرج من بين يدي أمير المؤمنين بجميع الجوائز والخلع والخادم وأمرت زبيدة له بضعف ما أمر به الرشيد، فحمل إليه واستأذن في الرجوع إلى مصر فحمل مكرمًا أو كما قال.

«فراسة أبي بكر الباقلاني»

١٣٠ - حدثنا الحسين بن عثمان وغيره: أن عضد الدولة بعث القاضي أبا بكر الباقلاني في رسالة إلى ملك الروم، فلما ورد مدينته عرف الملك خبره وبين له محله من العلم، فأفكر الملك في أمره، وعلم أنه لا يفكر له إذا دخل عليه كما جرى رسم الرعية أن يقبِّل الأرض بين يدي الملك، فنتجت له الفكرة أن يضع سريره الذي يجلس عليه وراء باب لطيف لا يمكن أحد أن يدخل منه، إلا راكعًا ليدخل القاضي منه على تلك الحال عوضًا من تفكيره بين يديه، فلما وصل القاضي إلى المكان فطن بالقصة، فأدار ظهره وحنى رأسه، ودخل من الباب وهو يمشي إلى خلفه، وقد استقبل الملك بدبره حتى صار بين يديه، ثم رفع رأسه ونصب وجهه وأدار وجهه حينئذ إلى الملك، فعلم الملك من فطنته وهابه.

«فراسة وذكاء عمارة بن حمزة»

١٣١ - ومن المنقول عن عمارة بن حمزة، بلغنا عن عمارة بن حمزة أنه دخل على المنصور، فجلس على مرتبته المرسومة له، فقام رجل فقال: مظلوم ياأمير المؤمنين. فقال: من ظلمك؟ قال: عمارة غصبني ضيعتي، فقال المنصور: قم ياعمارة فاجلس مع خصمك، قال: ما هو لي بخصم. قال: وكيف وهو يتظلم منك؟ قال: إن كانت الضيعة له لم أنازعه فيها، وإن كانت لي فقد تركتها له، ولا أقوم من مجلس شرفني أمير المؤمنين

بالـرفعة فيه، فأجلس في أدناه بسبب ضيعة مني، فلما خرجنا قال لي القاسم بن عبيدالله: رددت على أمير المؤمنين لأنه قال شيئًا فقلت: لا. فقلت: من أين لي هذا الفهم؟.

«فراسة ملك»

١٣٢ ـ وذكـر أن ملكـاً كانت أسراره تظهـر كثيراً إلى عدوه فيبطل تدبيره على العـدو، فبلغ ذلـك منه، فشكا إلى أحد نصحائه وقال له: إن جماعة يطلعون على أسرار لي لابد من إظهارها لهم ولست أدري أيهم يظهرها، وأكره أن أنال البريء منهم بما يستحق الخائن، فدعا بكتاب فكتب فيه أخبارًا من أخبار المملكة، وجعلها كذبًا كلها ثم دعا برجل، رجل، كل واحد دون صاحبه ممن كان يفشي الملك إليه سره، فقال للملك: أخبر كل واحد منهم بخبر على حدة لا يظهر عليه سائر أصحابه، وأمر كل واحـد بستر ما أسررت إليه، وأكتب على كل خبر اسم صاحبه، فلم يلبث أن أظهـر الخونة ما أفشى إليهم، وانكتمت أخبار الناصحين، فعرف الملك من يفشي سره فحذره.

«فراسـة الامام ابن الجوزي رحمه الله»

❁ يعتـبر العـلامة عبد الرحمن بن الجوزي من العلماء الأفذاذ، وله ذهن وقاد وجواب حاضر يدل عليه مايلي:

١٣٣ ـ يحكى أنه وقع نزاع في بغداد بين أهل السنة والشيعة في المفاضلة بين أبي بكر وعلي رضي الله عنهما، فرضى الكل بما يجيب به الشيخ أبوالفرج.

فأقاموا شخصًا يسأله عن ذلك، وهو على الكرسي في مجلس وعظه، فقال: أفضلهما من كانت ابنته تحته، ونزل في الحال حتى لا يراجع في ذلك.

فقال أهل السنة: هو أبوبكر لأن ابنته عائشة رضي الله عنها تحت رسول الله ﷺ، وقالت الشيعة هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأن فاطمة بنت رسول الله ﷺ تحته.[1]

★ وهناك موقف آخر مع المستضيء بالله.. أوصل به ابن الجوزي الحق إلى صاحبه متبعاً أسلوب الاشارة والمدارة. فيروى لنا اليافعي في كتابه مرآة الجنان القصة التالية:

١٣٤ ـ سمع ابن الجوزي من بعض أهل العلم بأن الخليفة المستضيء بالله قد غضب على إنسان من حاشيته فأراد أن يعاقبه فهرب، فلزم أخاه، فصادر الخليفة الأخ وأخذ ماله، فشكر المصادر إلى ابن الجوزي وذكر له القضية فقال له: إذا انقضى مجلس وعظى فقم قدامي حتى تذكرني، وكان الخليفة يسمع وعظه من خلف الستر. فلما كان أول مجالسه للوعظ بعد ذلك وانقضى المجلس قام ذلك الإنسان المصادر فلما رآه الشيخ أبوالفرج أنشد معرضًا بكون البرىء لا يؤاخذ بذنب الجرىء محرضًا الخليفة على العدل والإحسان وأن يعاد المال المأخوذ على ذلك الإنسان فقال:ـ

قفى ثم أخبرينا ياسعاد ... بذنب الطرف لم سلب الفؤاد
وأي قضية حكمت إذا ما ... جنى زيد به عمرو يقاد
يعاد حديثكم فيزيد حسناً ... وقد يستحسن الشيء المعاد

فقال الخليفة المستضيء بالله من وراء الستر: يعاد، يعنى المال، فأعيد على ذلك الشخص ماله وانجبر حاله[2]

---

(١) مرآة الجنان لليافعي (٣/ ٤٩٠، ٤٩١).

(٢) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/ ٢٢٢) ومرآة الجنان لليافعي (٣/ ٤٩٠).
وانظر مقدمة كتاب «المعاصي والذنوب وأثرها السيء على الأفراد والمجتمعات والشعوب» لابن الجوزي بتحقيقنا..

«فراسة الشيخ ياسين الزركشي في الامام النووي»

ولد الإمام النووي سنة ٦٣١هـ واسمه: يحيى بن شرف بن مرى بن حسن محي الدين أبوزكريا.

وتوفي سنة ست وسبعين وستمائة.

وقد اشتهر رحمه الله بالزهد والورع والتقوى، ومتابعة طلب العلم، والعمل به، والدعوة إليه، حتى غدا علمًا من أعلام المذهب الشافعي رحمه الله.

فكيف ياترى كانت بدايته، وكيف تفرس فيه الشيخ ياسين بن يوسف الزركشي.. هذا ما ستراه في هذه القصة الرائعة التي ينبغي على الدعاة أن يستفيدوا منها أكثر من غيرهم.

يقول الشيخ ياسين الزركشي..

١٣٥ - رأيت الشيخ محي الدين وهو ابن عشر سنين بنوى[١]، والصبيان يكرهونه على اللعب معهم، وهو يهرب منهم، ويبكي لأكراههم، ويقرأ القرآن في تلك الحال، فوقع في قلبي حبه، وجعله أبوه في دكان، فجعل لا يشتغل بالبيع والشراء عن القرآن؟!

قال: فأتيت الذي يقرئه القرآن توصية به، وقلت له: هذا الصبي، يرجى أن يكون أعلم أهل زمانه، وأزهدهم، وينتفع الناس به، فقال لي منجم أنت؟ فقلت: لا، وإنما انطقني الله بذلك، فذكر ذلك لوالده، فحرص عليه إلى أن ختم القرآن وقد ناهز الاحتلام.[٢]

قال الحازمي عفا الله عنه: فكان النووي أعلم أهل زمانه، وأزهدهم، وانتفع الناس به وبكتبه حتى في الوقت المعاصر..

---

(١) بليدة من أعمال حوران، بينها وبين دمشق منزلان «انظر معجم البلدان» (٥/٣٠٦).

(٢) طبقات الشافعية للسبكي (٨/٣٩٦ - ٣٩٧).

«فطنة وفراسة سلطان العلماء العز بن عبدالسلام»

يعتبر العز بن عبدالسلام علم من أعلام الإسلام، ومن كبار المفكرين في القرن السابع الهجري، وأحد سلاطين العلماء الذين حاربوا الظلم والطغيان، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وغيروه . وهانت عليهم أنفسهم في سبيل إعزاز هذا الدين العظيم، ولذلك فقد رزقه المولى عز وجل الفراسة والذكاء وكشف الغموض، ووضوح الرؤية المستقبلية وإليك هذه القصة:

١٣٦ - يروى ان شخصًا جاء إليه، وقال له: رأيتك في النوم تنشد:

وكنت كذى رجلين رجل صحيحة

ورجل رمى فيها الزمان فشلت

فسكت ساعة ثم قال: أعيش من العمر ثلاثًا وثمانين سنة فإن هذا الشعر لكثير عزة، ولا نسبة بيني وبينه غير السن أنا سنى وهو شيعي، وأنا لست بقصير وهو قصير، ولست بشاعر وهو شاعر، وأنا سلمي وهو ليس بسلمي، لكنه عاش هذا القدر. قلت فكان الأمر كما قال رحمه الله[1].

«فراسة شيخ الاسلام ابن تيمية»

ليس في وسعي في هذه المقدمة ان أحيط وصفاً بمواهب علامة الشام والشرق الإمام أحمد بن تيمية الحراني الدمشقي، فقد طبق الأرض في عصره علمًا وعملاً واصطلاحًا، وملأ الكون صرعًا بالحق وجهادًا، وسارت بعلومه الركبان، وعطر أريج شمائله وأعماله الأرجاء وهو رحمه الله ورزقنا علمه:

أعظم من أن تصفه كلمي، أو ينبه على شأوه قلمي».

---

(١) انظر كتاب «طبقات الشافعية» (٨/٢٤٥، ٢٤٦).

ولد رحمه الله سنة ٦٦١ هـ وتوفي سنة ٧٢٨هـ[1].

وكـان رحمه الله ممن عمر ظاهره اتباعا لسنة وباطنة بالمراقبة للرب سبحانه وجـاهد نفسه وأعداء هذا الدين ولذلك فقد رُزق صدق الفراسة وإليك هذه القصص الرائعة عنه رحمه الله.

قال تلميذه العلامة ابن قيم الجوزية وكذا تلميذه الحافظ ابن كثير.

١٣٧ ـ لما تولى عدوه الملقب بالجاشنكير الملك أخبروه بذلك. وقالوا: الآن بلغ مراده منك.

فسجد لله شكرًا وأطال. فقيل له: ما سبب هذه السجدة؟ فقال: هذا بداية ذُلـه ومفارقة عزه من الآن، وقرب زوال أمره. فقيل: متى هذا؟ فقال: لا تربط خيول الجند على القرط حتى تُغلب دولته. فوقع الأمر مثل ما أخبر به.

قال ابن القيم:

١٣٨ ـ وقال مرة: يدخل عليّ أصحابي أو غيرهم، فأرى في وجوههم وأعينهم أموراً لا أذكر هالهم.

فقلت له ـ أو غيري ـ لو أخـبرتهم؟ فقـال: أتريدون أن أكون معرّفاً كمعرف الولاة؟.

وقلت له يومًا: لو عاملتنا بذلك لكان أدعى إلى الاستقامة والصلاح.

فقال: لا تصبرون معي على ذلك جمعة، أو قال: شهرًا.

١٣٩ ـ وأخبرني غير مرة بأمور باطنة تختص بي مما عزمت عليه ولم ينطق به لساني.

١٤٠ ـ وأخـبر أصحـابه بدخول التتار الشام سنة تسع وتسعين وستمائة، وأن جيوش المسلمين تُكْسَر، وأن دمشق لا يكون بها قتل عام ولا سبى عام، وأن كَلَب الجيش وحدته في الأموال: وهذا قبل أن يهِمّ التتار بالحركة.

---

(١) ترجمتُ له ترجمة واسعة فى مقدمة كتابه «رؤية الهلال والحساب الفلكي» فعد إليه إن شئت.

١٤١ ـ وأخبر الناس والأمراء سنة اثنين وسبعمائة ـ لما تحرك التتار وقصدوا الشام، ان الدائرة والهزيمة عليهم. وأن الظفر والنصر للمسلمين. وتوجه الشيخ تقي الدين بن تيمية إلى العسكر الواصل من حماة فاجتمع بهم في القطيعة، فأعلمهم بما تحالف عليه الأمراء والناس من لقاء العدو، فأجابوا إلى ذلك.

وكان الشيخ تقي الدين يحلف للأمراء والناس إنكم في هذه الكرة منصورون، فيقول له الأمراء: قل إن شاء الله، فيقول: إن شاء الله تحقيقًا لا تعليقًا.

وسمعته يقول ذلك. قال: فكلما أكثروا عليّ. قلت: لا تكثروا كتب الله تعالى فى اللوح المحفوظ: أنهم مهزومون في هذه الكرة. وان النصر لجيوش الإسلام.

قال: وأطعمت بعض الأمراء والعسكر حلاوة النصر قبل خروجهم إلى لقاء العدو.

وكان يتأول في ذلك أشياء من كتاب الله منها قوله تعالى: ﴿ثم بُغي عليه لينصرنه الله﴾. [سورة الحج].

وهذه الوقعة (المعركة) هي وقعة شقحب. وكانت فراسته رحمه الله كالمطر.. فقد حصل النصر للمسلمين..[1] ولله الحمد والمنة.

١٤٢ ـ ولما طُلب إلى الديار المصرية، وأريد قتله ـ بعد ما أنضجت له القدور، وقلبت له الأمور من المناوئين والحاسدين، اجتمع أصحابه لوداعه.

وقالوا: قد تواترت الكتب بأن القوم عاملون على قتلك. فقال: والله لا يصلون إلى ذلك أبدًا.

---

(١) انظر مدارج السالكين لابن القيم (٢/٤٨٩) والبداية والنهاية لابن كثير (١٤/٢٤-٢٦).

قالوا: أتحبس؟ قال: نعم، ويطول حبسي. ثم أخرج وأتكلم بالسنة على رؤوس الناس. وحصل ما توقعه الشيخ. ولا تعجب ياعبدالله، فإن الله سبحانه وهو المطلع على بواطن الأمور يلهم أوليائه بأمور لم تقع، ويدافع عنهم.

«القيافـــــة*»

قيافة مجزز المدلجي وهو ابن الأعور بن جعدة الكناني(●).

١٤٣ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت:

دخل عليّ رسول الله ﷺ ذات يوم مسرورًا. فقال: ياعائشة ألم تري أن مُجززًا المُدْلجي دخل عليّ فرأى أسامة وزيدًا ـ يعني ابن حارثة ـ وعليهما قطيفة قد غطيا رؤوسهما وبدت أقدامهما فقال: «إن هذه الأقدام بعضها من بعض»(١).

١٤٤ ـ وفي رواية(٢): فسُرّ بذلك النبي ﷺ وأعجبه وأخبر به عائشة.

«فراسة وحشي وقيافته»

١٤٥ ـ عن عبدالله بن الفضل عن سليمان بن يسار: قال حدثنا جعفر بن عمرو الضمري قال: خرجت مع عبدالله بن عدي بن الخيار فقال لي: هل لك في وحشي، فجئنا حتى وقفنا عليه، فسلمنا فرد السلام، وعبيد الله

(*) القيافة نوع من الفراسة وينقسم إلى قسمين:

١ ـ قيافة أثر: وهي تتبع آثار الأقدام والأخفاف والحوافر على الطرق، وفي دروب الصحراء.

٢ ـ قيافة البشر: وهو التعرف على أنساب الأفراد بالنظر في بشراتهم وملامحهم، وهيئة تكوينهم الجسماني.

(●) قيل له «مجزز» لأنه كان كلما أسر أسيرًا جزّ ناصيته. انظر أسد الغابة لابن الأثير (٥/٦٦) وتفصيلاً لابن حجر في ترجمته في الإصابة (٣/٣٦٥).

(١) صحيح البخاري (٨/١٩٥) ومسلم (٢/١٠٨٢).

(٢) صحيح مسلم (٢/١٠٨٢).

معتجـر بعـمامتـه ما يرى وحشي إلا عينيه ورجليه، فقـال عبيدالله: ياوحشي، أتعرفني؟ فنظر إليه ثم قال: لا والله إلَّا أني أعلم أن عدي بن الخيار تزوج إمرأة فولدت له غلاماً فاسترضعه، فحملت ذلك الغلام مع أمه فناولتها إياه، فكأني نظرت إلى قدميه.

«فطنة وفراسة أمية بن أبي الصلت»

يعتبر أمية بن أبي الصلت عبدالله بن ربيعة بن عوف بن ثقيف من منبه بن بكر بن هوازن أبوعثمان ويقال أبوالحكم. من فطاحلة الشعراء الجاهليين ويقال انه كان في أول أمره ـ قبل الإسلام مستقيمًا ـ ثم زاغ عنه.. نسأل الله العافية والسلامة.

ومن عيون شعره:

باتـت همومـي تسري طوارقُـهـا أكـفُ عيني والـدمـع سابـقُـهـا

وهي قصيدة طويلة.

ومن شعره:

إن تغـفـر الـلهـم تغـفـر جمًّا وأي عبـدٍ لك ما ألَّـا؟
كُل عيشٍ وان تطاول دهـرًا صائـرٌ مرة إلى أن يزولا
ليتـني كنـتُ قبـل ما قد بدالي في قلال الجبـال أرعى الـوعـولا

ومن شعر أمية يمدح عبدالله بن جدعان:

أأذكـر حاجـتي أم قد كفـاني حياؤك إن شيمـتـك الحـياءَ
إذا أثـنـى عليك المـرء يومـاً كفـاه من تعـرضـه الـثـنـاء

وأخـرج الإمام أحمد من حديث عمرو بن الشريد قال الشريد كنت ردفًا لرسول الله ﷺ فقال لي:

أمعك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟.

قلت نعم! قال فأنشدني بيتًا فلم يزل يقول كلما أنشدته بيتًا ايه حتى أنشدته مائة بيت. قال ثم سكت النبي صلى الله عليه وسلم وسكتُ. رواه مسلم. وروى من غير وجه فقال رسول الله ﷺ ان كاد ليسلم. يعنى امية بن أبي الصلت.

وكان ذو فراسة وقيافة صادقة فمنها:

١٤٦ - يروى أن أمية بن أبي الصلت قد مر عليه بعير تركبه امرأة، وكان البعير يرفع رأسه ويدعو فقال:

إن البعير يقول لك إن في الحداج (المحفة) إبرة فرفعت المرأة فإذا مستقرة في المحفة. وهي تحك في سنام البعير.

١٤٧ - وكان يتفرس في بعض الأحيان في لغات الحيوانات فكان يمر في السفر على الطير فيقول لأصحابه:

إن هذا يقول كذا وكذا فيقولون لا نعلم صدق ما يقول حتى مروا على قطيع غنم قد انقطعت منه شاة ومعها ولدها فالتفتت إليه فثغت كأنها تستحثه. فقال: أتدرون ما تقول له، قالوا: لا. قال إنهاتقول أسرع بنا لا يجيء الذئب فيأكلك كما أكل الذئب أخاك عام أول فأسرعوا حتى سألوا الراعي هل أكل له الذئب عام أول حملًا بتلك البقعة فقال: نعم.

١٤٨ - وذكر ابن السكيت: ان أمية بن أبي الصلت بينما هو يشرب يومًا إذ نعب غراب. فقال له بفيك التراب مرتين. فقيل له ما يقول؟ فقال: إنه يقول إنك تشرب هذا الكأس الذي في يدك ثم تموت.

ثم نعب الغراب فقال انه يقول وآية ذلك أني أنزل على هذه المزبلة فآكل منها فيعلق عظم في حلقي فأموت.

ثم نزل الغراب على تلك المزبلة فأكل شيئًا فعلق في حلقه فمات.

فقال أمية: أما هذا فقد صدق في نفسه ولكن سأنظر هل صدق فيّ أم لا ثم شرب ذلك الكأس الذي في يده ثم اتكأ فمات.[1]

«فطنة وذكاء العرب ـ أحيل رجل ؟!»

١٤٩ ـ عن الشعبي قال: خرج عمرو بن معد يكرب يوماً حتى انتهى إلى حي، فإذا بفرس مشدودة ورمح مركوز، وإذا صاحبه في وهدة يقضي حاجته، فقلت له: خذ حذرك فإني قاتلك. قال: ومن أنت؟ قلت: عمرو بن معديكرب. قال: ياأبا ثور ما أنصفتني أنت على ظهر فرسك وأنا في بئر، فأعطني عهدًا أنك لا تقتلني حتى أركب فرسي وآخذ حذري، فأعطيته عهدًا أن لا أقتله حتى يركب فرسه ويأخذ حذره، فخرج من الموضع الذي كان فيه حتى احتبي بسيفه وجلس، فقلت له: ما هذا؟ قال: ما أنا براكب فرسي ولا مقاتلك، فإن كنت نكثت عهدًا، فأنت أعلم، فتركته ومضيت، فهذا أحيل من رأيت.

«ذكاء رجل من بني العنبرة»

١٥٠ ـ عن أبي حاتم الأصمعي قال: حدثنا شيخ من بني العنبرة قال: أسرت بني شيبان رجلاً من بني العنبر، فقال لهم: أرسل إلى أهلي ليفدوني. قالوا: ولا تكلم الرسول إلاَّ بين أيدينا، فجاؤه برسول فقال له: ائت قومي فقل لهم: إن الشجر قد أورق، وإن النساء قد اشتكت، ثم قال له: أتعقل؟ قال: نعم أعقل. قال: فما هذا وأشار بيده؟ قال: هذا

---

(١) انظر: تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر فقد أطال في ترجمته وكذا البداية والنهاية لابن كثير (٢/٢٠٥ـ٢١٣).

الليل. قال: أراك تعقل انطلق، فقل لأهلي عرُّوا جملي الأصهب، وأركبوا ناقتي الحمراء، وسلوا حارثة عن أمري. فأتاهم الرسول فأرسلوا إلى حارثة فقص عليهم الرسول القصة، فلما خلا معهم قال: أما قوله إن الشجر قد أورق، فإنه يريد أن القوم قد تسلحوا. وقوله أن النساء قد اشتكت، فإنه يريد أنها قد اتخذت الشكل للغزو وهي الأسقية. وقوله هذا الليل، يريد يأتوكم مثل الليل أو في الليل. وقوله: عروا جملي الأصهب يريد ارتحلوا عن الصمان. وقوله: اركبوا ناقتي يريد اركبوا الدهناء، فلما قال لهم ذلك تحملوا من مكانهم، فأتاهم القوم، فلم يجدوا منهم أحد.

«ذكاء شـــاب»

١٥١ - قال ابن الجوزي: وبلغني عن أبي الأعرابي قال: أسرت طيء رجلاً شابًا من العرب، فقدم عليه أبوه وعمه ليفدياه، فاشتطوا عليهما في الفداء، فأعطيا به عطية لم يرضوها، فقال أبوه: لا والذي جعل الفرقدين يصبحان ويمسيان على جبل طيء لا أزيدكم على ما أعطيتكم، ثم انصرفا، فقال الأب للعم: لقد ألقيت إلى ابني كلمة لئن كان فيه خير لينجون، فما لبث أن جاء وطرد قطعة من إبلهم، فذهب بها كأنه قال له الزم الفرقدين على جبل طيء فإنهما طالعان عليه ولا يغيبان عنه.

١٥٢ - وعن ابن الأعرابي قال، قال رجل من الأعراب لأخيه: أتشرب الخازر من اللبن ولا تتنحنح؟ فقال: نعم فتجاعلا جعلاً، فلما شربه أذاه، فقال: كبش أملح ونبت أقبح وأنا فيه أسجح، فقال أخوه: قد تنحنحت، فقال: من تنحنح فلا أفلح.

«ذكاء وفطنة اعرابي»

١٥٣ ـ حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي قال: قدم إعرابي من أهل البادية على رجل من أهل الحَضر قال: فأنزله وكان عنده دجاج كثير وله امرأة وابنان وابنتان منها، قال: فقلت لامرأتي أشوي لي دجاجة وقدميها لنا نتغدى بها، فلما حضر الغداء جلسنا جميعًا أنا وامرأتي وابناي وابنتاي والأعرابي، قال: فدفعنا إليه الدجاجة، فقلنا اقسمها بيننا نريد بذلك أن نضحك منه قال: لا أحسن القسمة، فإن رضيتم بقسمتي قسمت بينكم قلنا: فإنا نرضى. قال: فأخذ رأس الدجاجة، فقطعه، ثم ناولنيه، وقال: الرأس للرئيس، ثم قطع الجناحين قال: والجناحان للإبنين، ثم قطع الساقين فقال: والساقان للابنتين، ثم قطع الزمكي وقال: العجز للعجوز، ثم قال: الزور للزائر، فأخذ الدجاجة بأسرها، فلما كان من الغد قلت لامرأتي: أشوي لنا خمس دجاجات، فلما حضر الغداء قلنا اقسم بيننا قال: أظنكم وجدتم من قسمتي أمس. قلنا: لا. لم نجد، فاقسم بيننا، فقال: شفعًا أو وترًا قلنا: وترًا. قال: نعم. أنت وامرأتك ودجاجة ثلاثة ورمى بدجاجة، ثم قال: وابناك ودجاجة ثلاثة ورمى الثانية ثم قال: وابنتاك ودجاجة ثلاثة، ثم قال: وأنا ودجاجتان ثلاثة، فأخذ الدجاجتين، فرآنا ونحن ننظر إلى دجاجتيه قال: ما تنظرون لعلكم كرهتم قسمتي. الوتر ما تجيء إلا هكذا، قلنا: فاقسمها شفعًا. قال: فقبضهن إليه ثم قال: أنت وابناك ودجاجة أربعة، ورمي إليه بدجاجة، والعجوز وابنتاها ودجاجة أربعة ورمي إليهن بدجاجة، ثم قال: وأنا وثلاث دجاجات أربعة وضم إليه ثلاث دجاجات، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: الحمد لله أنت فهمتها لي.

«فراسة وذكاء شـن»

١٥٤ ـ قال الشرقي بن فطامي: كان شن من دهاة العرب، فقال: والله لأطوفن حتى أجـد امـرأة مثـلي، فأتزوجها، فسار حتى لقي رجلاً يريد قرية يريدهـا شن، فصحبه، فلما انطلقا قال له شن: أتحملني أم أحملك؟ فقال الرجل: ياجاهل، كيف يحمل الراكب الراكب، فسارا حتى رأيا زرعًا قد استحصد فقال شن: أترى هذا الزرع قد أكل أم لا؟ فقال: ياجاهل، أما تراه قائمًا. فمرًا بجنازة فقال: أترى صاحبها حياً أو ميتاً؟ فقال: ما رأيت أجهل منك. أتراهم حملوا إلى القبور حياً. ثم سار به الرجل إلى منزله، وكانت له ابنة تسمى طبقة، فقص عليها القصة، فقالت: أما قوله أتحملني أم أحملك، فأراد حدثني أم أحدثك حتى نقطع طريقنا، وأما قوله: أترى هذا الزرع قد أكل أم لا، فأراد باعه أهله فأكلوا ثمنه أم لا، وأما قوله في الميت، فإنه أراد أترك عقبًا يحيا به ذكره أم لا، فخرج الرجل فحادثه، ثم أخبره بقول ابنته، فخطبها إليه فزوجه إياها، فحملها إلى أهله، فلما عرفوا عقلها ودهاءها. قالوا: وافق شن طبقة.

«ذكاء وفراسة غلام»

١٥٥ ـ عن عبدالملك بن عمير قال: سمعت المغيرة بن شعبة يقول: ماخدعني قط غير غلام من بني الحارث بن كعب، فإني ذكرت امرأة منهم وعندي شاب من بني الحارث، فقال أيها الأمير: إنه لا خير لك فيها. فقلت لِمَ؟ قال: رأيت رجلاً يقبلها، فأقمت أيامًا، ثم بلغني أن الفتى تزوج بها،

فأرسلت إليه فقلت: ألم تعلمني أنك رأيت رجلاً يقبلها؟ قال: بلى. رأيت أباها يقبلها، فإذا ذكرت الفتى وما صنع غمني ذلك.

«من احتال بذكائه وفراسته لبلوغ غرض»

١٥٦ ـ قال الهيثم: وأخبرنا الفرات بن الأحنف بن مرح العبدي، عن أبيه: أن رجلاً خطب إلى قوم، فقالوا: ما تعالج؟ قال: أبيع الدواب فزوجوه، ثم سألوا عنه، فإذا هو يبيع السنانير، فخاصموه إلى شريح، فقال: السنانير دواب وأنفذ تزويجه.

«ذكاء سعيد بن عثمان»

١٥٧ ـ أخبرنا داود بن الرشيد قال، قلت للهيثم بن عدي: بأي شيء استحق سعيد بن عثمان أن ولاه المهدي القضاء، وأنزله منه تلك المنزلة الرفيعة؟ قال: إن خبره في اتصاله بالمهدي ظريف، فإن أحببت شرحته لك. قال، قلت: والله قد أحببت ذلك. قال: اعلم أنه وافى الربيع الحاجب حين أفضت الخلافة إلى المهدي، فقال: أستأذن على أمير المؤمنين، فقال له الربيع: من أنت وما حاجتك؟ قال: أنا رجل قد رأيت لأمير المؤمنين رؤيا صالحة، وقد أحببت أن تذكروني له، فقال له الربيع: ياهذا، إن القوم لا يصدقون ما يرونه لأنفسهم، فكيف ما يراه لهم غيرهم، فاحتل بحيلة هي أرد عليك من هذه. فقال له: إن لم تخبره بمكاني سألت من يوصلني إليه، فأخبرته أني سألتك الإذن عليه، فلم تفعل، فدخل الربيع على المهدي فقال له ياأمير المؤمنين: إنكم قد أطمعتم الناس في أنفسكم، فقد احتالوا لكم بكل ضرب. قال له: هكذا صنع الملوك فما ذاك؟ قال رجل بالباب يزعم أنه قد رأى لأمير المؤمنين رؤيا حسنة، وقد أحب أن يقصها عليه، فقال له المهدي: ويحك ياربيع إني والله أرى

الرؤيا لنفسي، فلا تصح لي، فكيف إذا ادعاها من لعله قد افتعلها؟ قال: والله قلت له مثل هذا، فلم يقبل. قال: هات الرجل، فأدخل إليه سعيد بن عبدالرحمن وكان له رؤية وجمال ومروءة ظاهرة ولحية عظيمة ولسان، فقال له المهدي: هات بارك الله عليك. ماذا رأيت؟ قال: رأيت ياأمير المؤمنين آتيًا أتاني في منامي، فقال لي: أخبر أمير المؤمنين المهدي أنه يعيش ثلاثين سنة في الخلافة، وآيةذلك أنه يرى في ليلته هذه في منامه كأنه يقلِّب يواقيت، ثم يعدها، فيجدها ثلاثين ياقوتة، كأنها قد وهبت له، فقال المهدي: ما أحسن ما رأيت، ونحن نمتحن رؤياك في ليلتنا المقبلة على ما أخبرتنا به، فإن كان الأمر على ما ذكرته أعطيناك ما تريد، وإن كان الأمر بخلاف ذلك، فعلمنا أن الرؤيا ربما صدقت وربما اختلفت. قال له سعيد: ياأمير المؤمنين، فما أنا أصنع الساعة إذا صرت إلى منزلي وعيالي، فأخبرتهم أني كنت عند أمير المؤمنين ثم رجعت صفرًا؟ قال له المهدي: فكيف نعمل؟ قال: يجعل لي أمير المؤمنين ما أحب وأحلف له بالطلاق أني قد صدقت، فأمر له بعشرة آلاف درهم، وأمر أن يؤخذ منه كفيل ليحضره من غد ذلك ا ليوم، فقبض المال، وقيل: من يكفل بك، فمد عينيه إلى خادم فرآه حسن الوجه والزي، فقال: هذا يكفل بي، فقال له المهدي: أتكفل به؟ فاحمر وخجل وقال: نعم. وكفله وانصرف، فلما كان في تلك الليلة رأى المهدي ما ذكره له سعيد حرفًا حرفاً وأصبح سعيد في الباب واستأذن فأذن له، فلما وقعت عين المهدي عليه قال: أين مصداق ما قلت لنا؟ قال له سعيد: وما رأى أمير المؤمنين شيئًا؟ فضجع في جوابه. فقال سعيد: امرأتي طالق إن لم تكن رأيت شيئًا. قال له المهدي: ويحك ما أجرأك على الحلف بالطلاق. قال: لأنني أحلف على صدق. قال له المهدي: فقد والله رأيت ذلك

مبيناً. فقال له سعيد: الله أكبر، فأنجز ياأمير المؤمنين ما وعدتني، قال له: حبًا وكرامة ثم أمر له بثلاثة آلاف دينار، وعشرة تخوت ثياب من كل صنف، وثلاث مراكب من أنفس دوابه محلاة، فأخذ ذلك وانصرف، فلحق به الخادم الذي كان كفل به، وقال له: سألتك بالله هل كان لهذه الرؤيا التي ذكرتها من أصل؟ قال له سعيد: لا والله. قال الخادم: كيف وقد رأى أمير المؤمنين ما ذكرته له. قال: هذه من المخاريق الكبار التي لا يأبه لها أمثالكم، وذلك أني لما ألقيت إليه هذا الكلام خطر بباله، وحدَّث به نفسه، وأسرَّ به قلبه، وشغل به فكره، فساعة نام خيل له ما حلَّ في قلبه، وما كان شغل به فكره في المنام. قال له الخادم: فقد حلفت بالطلاق. قال: طلقت واحدة، وبقيت معي على ثنتين فأرد في مهر عشرة دراهم، وأتخلص وأتحصل على عشرة آلاف درهم، وثلاثة آلاف دينار، وعشرة تخوت من أصناف الثياب، وثلاثة مراكب. قال: فبهت الخادم في وجهه وتعجب من ذلك، فقال له سعيد: قد صدقت وجعلت صدقي لك مكافأتك على كفالتك بي، فاستر عليَّ ذلك، ففعل ذلك، فطلبه المهدي لمنادمته، فنادمه وحظي عنده وقلَّده القضاء على عسكر المهدي، فلم يزل كذلك حتى مات المهدي.

فراسة رجل كبير

١٥٨ ـ عن عوف بن مسلم النحوي، عن أبيه قال: خرج عمر بن محمد صاحب السند وأصحابه يسيرون في بلاد الشرك، فرأوا شيخًا ومعه غلام، وقد كان العدو ندربهم، فهربوا، فقال عمر ياشيخ: دلنا على قومك وأنت آمن. قال: أخاف إن دللتك أن يسعى بي هذا الغلام إلى الملك فيقتلني، ولكن أقتل هذا الغلام حتى أدلك، فضرب عنق

الغلام، فقال الشيخ: إنما كرهت إن لم أخبرك أنا أن يخبرك الغلام فالآن قد أمنت. والله لو كانوا تحت قدمي ما رفعتها، فضرب عنقه.

ذكاء طالب علم

١٥٩ ـ حدثنا الحميدي قال: كنا عند سفيان بن عيينة، فحدثنا بحديث زمزم أنه لما شرب له، فقام رجل من المجلس ثم عاد، فقال له: أبا محمد أليس الحديث بصحيح الذي حدثنا به في زمزم أنه لما شرب له، فقال سفيان: نعم، فقال إني قد شربت الآن دلوًا من زمزم على أن تحدثني بمائة حديث، فقال سفيان: اقعد، فحدثه بمائة حديث.

١٦٠ ـ حدثنا ابن أبي ذر قال: كان الحاج إذا ورد جلس سفيان بن عيينة بباب بني هاشم على موضع عالٍ ليرى الناس، فجاء رجل من أصحاب الحديث، فقعد بين يديه، فقال: يا أبا محمد، حدثني فحدثه أحاديث، فقال: زدني فزاده، فقال: زدني فزاده، فدفعه في صدره، فوقع إلى الوادي، فتفاشى ذلك، فاجتمع الحاج وقال: سفيان بن عيينة قتل رجلاً من الحاج، فلماكثر ذلك أشفق سفيان، فنزل إلى الرجل، فترك رأسه في حجره وقال: مالك؟ أي شيء أصابك؟ فلم يزل يركض رجليه ويزبد من فيه. قال: وكثر الضجيج، سفيان بن عيينة قتل رجلاً، فقال له: قم ويلك أما ترى الناس يقولون؟ فقال له وهو يخفي صوته: لا والله لا أقوم حتى تحدثني مائة حديث عن الزهري وعمرو بن دينار ففعل فقام.

فراسة تاجر محسن

١٦١ ـ قال المحسن بن علي التنوخي، عن أبيه قال: حججت في موسم اثنين واربعين، فرأيت مالاً عظيماً وثيابًا كثيرة تفرق في المسجد الحرام، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: بخرسان رجل صالح عظيم النعمة والمال يقال له علي

الـزراد أنفـذ عام أول مالاً وثيابًا إلى ههنا مع ثقة له، وأمره أن يعتبر قريشًا، فمن وجده منها حافظًا للقرآن دفع إليه كذا وكذا ثوبًا. قال، فحضر الرجل عام أول، فلم يجد في قريش البتة أحدًا يحفظ القرآن إلاَّ رجلاً واحدًا من بني هاشم، فأعطاه قسطه، وتحدث الناس بالحديث ورد باقي المال إلى صاحبه، فلما كان في هذه السنة عاد بالمال والثياب، فوجد خلقًا عظيمًا من جميع بطون قريش قد حفظوا القرآن، وتسابقوا إلى تلاوته بحضرته، وأخذوا الثياب والدراهم، فقد فنيت وبقي منهم من لم يأخذ، وهم يطالبـونـه. قال، فقلت: لقد توصل هذا الرجل إلى رد فضائل قريش عليها بما يشكره الله سبحانه له.

«فراسة زوجة»

١٦٢ ـ قال: كان بالكوفة امرأة قد ضاق بزوجها المعاش، فقالت له: لو خرجت فضربت في البلاد وطلبت من فضل الله تعالى، فخرج إلى الشام لكسب ثلاثمائة درهم، فاشترى بها ناقة فارهة وكانت زعرة، فأضجرته واغتاظ منها ومن زوجته حيث أمرته بالخروج، فحلف بالطلاق ليبيعها يوم يدخل الكوفة بدرهم، ثم ندم وأخبر زوجته، فعمدت إلى سنور فعلقتها في عنق الناقة وقالت: ادخلها السوق وناد عليها من يشتري هذا السنور بثلاثمائة درهم والناقة بدرهم ولا فرق بينهما، ففعل فجاء أعرابي يدور حول الناقة ويقول: ما أحسنك ما أفرهك لولا هذا السنور الذي في عنقك.

«فراسـة إبـي دلامـة»

١٦٣ وعن أبي دلامـة أنه دخل على المهدي، فأنشده قصيدة فقال له: سلني حاجتك. فقال ياأمير المؤمنين: تهب لي كلبًا، فغضب وقال: أقول لك سلني حاجتك، فتقول تهب لي كلبًا، فقال ياأمير المؤمنين: الحاجة لي أم

لك؟ قال: لا بل لك. قال: فإني أسألك أن تهب لي كلب صيد، فأمر له بكلب، فقال ياأمير المؤمنين: هبني خرجت إلى الصيد أعدو على رجلي، فأمر له بدابة، فقال ياأمير المؤمنين: فمن يقوم عليها، فأمر له بغلام. فقال ياأمير المؤمنين: فهبني قصدت صيدًا وأتيت به المنزل، فمن يطبخه، فأمر له بجارية، فقال ياأمير المؤمنين: هؤلاء أين يبيتون فأمر له بدار، فقال: ياأمير المؤمنين، قد صيرت في عنقي كفاً أي جمعًا من عيال، فمن أين ما يتقوت به هؤلاء؟ قال: فإن أمير المؤمنين قد أقطعك ألف جريب عامرًا وألف جريب غامرًا، فقال: أما العامر فقد عرفته، فما الغامر؟ قال: الخراب الذي لا شيء فيه. قال: فأنا أقطع أمير المؤمنين مائة ألف جريب بالدو، ولكنني أسأل أمير المؤمنين من ألفي جريب جريبًا واحدًا عامرًا. قال: من أين؟ قال: من بيت المال، فقال المهدي: حولوا المال وأعطوه جريبًا، فقال ياأمير المؤمنين: إذا حولوا منه المال صار غامر، فضحك منه وأرضاه.

«فراسة الضحاك بن مزاحم»

١٦٤ - كان نصراني يختلف إلى الضحاك بن مزاحم، فقال له يومًا: لِمَ لا تسلم؟ قال: لأني أحب الخمر ولا أصبر عنها. قال: فاسلم واشربها فأسلم، فقال له الضحاك: إنك قد أسلمت الآن، فإن شربت حددناك، وإن رجعت عن الإسلام قتلناك.

«فراسة رجل»

❊ وروى ضمرة عن شوذب قال: كان لرجل جارية فوطئها سرًا، ثم قال لأهله: إن مريم كانت تغتسل في هذه الليلة، فاغتسلوا، فاغتسل هو واغتسل أهله.

١٦٥ ـ قال الجاحظ: كان رجل يرقي الضرس يسخر بالناس ليأخذ منهم شيئًا، وكان يقول للذي يرقيه: إياك أن يخطر على قلبك الليلة ذكر القرد، فيبيت وجعًا فيبكر إليه، فيقول لعلك ذكرت القرد. فيقول: نعم. فيقول: من ثم لم تنفع الرقية.

«فطنة وفراسة عقبة الأزدي»

١٦٦ ـ قال ابن الجوزي: وبلغنا عن عقبة الأزدي أنه أتى بجارية قد جنت في الليلة التي أراد أهلها أن يدخلوها إلى زوجها، فعزم عليها، فإذا هي قد سقطت، فقال لأهلها أخلو بي بها، فقال لها، أصدقيني عن نفسك وعليّ خلاصك، فقالت انه قد كان لي صديق وأنا في بيت أهلي، وأنهم أرادوا أن يدخلوا بي على زوجي ولست ببكر، فخفت الفضيحة. فهل عندك حيلة في أمري؟ فقال: نعم، ثم خرج إلى أهلها، فقال إن الجني قد أجابني إلى الخروج منها، فاختاروا من أي عضو تحبون أن أخرجه من أعضائها، واعلموا أن العضو الذي يخرج منه الجني لابد أن يهلك ويفسد، فإن خرج من عينها عميت وإن خرج من أذنها صمَّت، وإن خرج من فمها خرست، وإن خرج من يدها شلت، وإن خرج من رجلها عرجت، وإن خرج من فرجها ذهبت عذرتها. فقال أهلها: مانجد شيئًا أهون من ذهاب عذرتها، فأخرج الشيطان من فرجها، فأوهم أنه قد فعل، ودخلت المرأة على زوجها.

«فراسة الأحنف بن قيس»

١٦٧ ـ لطم رجل الأحنف بن قيس فقال له: لِمَ لطمتني؟ قال: جعل لي جعل

أن ألطم سيد بني تميم قال: ما صنعت شيئًا عليك بحارثة بن قدامة، فإنه سيد بني تميم، فانطلق فلطمه فقطع يده وذلك ما أراده الأحنف.

«ذكاء وفراسة رجل متطبب»

١٦٨ - وقال الشيخ: حكى لنا أبومحمد الخشاب النحوي قال: حاز بعض الحاكة على طبيب، فرآه يصف لهذا النقوع ولهذا التمر هندي، فقال: من لا يحسن مثل هذا؟ فرجع إلى زوجته فقال: اجعلي عمامتي كبيرة، فقالت: ويحك أي شيء قد طرأ لك؟ قال: أريد أن أكون طبيبًا. قالت: لا تفعل فإنك تقتل الناس فيقتلوك، قال: لابد، فخرج أول يوم فقعد يصف للناس، فحصل قراريط، فجاء فقال لزوجته: أنا كنت أعمل كل يوم بحبة، فانظري ايش يحصل. فقالت: لا تفعل. قال: لابد، فلما كان في اليوم الثاني اجتازت جارية، فرأته فقالت لسيدتها، وكانت شديدة المرض، اشتهيت هذا الطبيب الجديد يداويك قالت: ابعثي إليه فجاء، وكانت المريضة قد انتهى مرضها ومعها ضعف، فقال: عليَّ بدجاجة مطبوخة، فجيء بها، فأكلت، فقويت، ثم استقامت، فبلغ هذا إلى السلطان، فجاء به فشكا إليه مرضًا يشتكيه، فاتفق انه وصف له شيئًا أصلح به، فاجتمع إلى السلطان جماعة يعرفون ذاك الحائك، فقالوا له: هذا رجل حائك لا يدري شيئًا. فقال السلطان: هذا قد صلحت على يديه وصلحت الجارية على يديه، فلا أقبل قولكم. قالوا: فنجربه بمسائل قال: افعلوا، فوضعوا له مسائل وسألوه عنها، فقال أن أجبتكم عن هذه المسائل لم تعلموا جوابها، لأن الجواب لهذه المسائل لا يعرفه إلا طبيب، ولكن أليس عندكم مارستان؟ قالوا: بلى. قال: أليس فيه مرضى لهم مدة؟ قالوا: بلى. قال: فأنا أداويهم حتى ينهض الكل في

عافية في ساعة واحدة، فهل يكون دليل على علمي أقوى من ذلك؟ قالوا: لا، فجاء إلى باب المارستان وقال: اقعدوا لا يدخل معي أحد، ثم دخل وحده وليس معه إلا قيِّم المارستان، فقال للقيم: إنك والله إن تحدثت بما أعمل صلبتك، وان سكت أغنيتك قال: ما انطق. قال: فاحلفه بالطلاق، ثم قال: عندك في هذا المارستان زيت؟ قال: نعم. قال: هاته، فجاء منه بشيء كثير، فصبه في قدر كبير، ثم أوقد تحته، فلما اشتد غليانه صاح بجماعة المرضى، فقال لأحدهم: انه لا يصلح لمرضك إلا أن تنزل إلى هذا القدر، فتقعد في هذا الزيت فقال المريض: الله الله في أمري، قال: لابد، قال: أنا قد شفيت، وإنما كان بي قليل من صداع، قال: ايش يقعدك في المارستان وأنت معافى؟ قال: لا شيء. قال: فاخرج وأخبرهم، فخرج وأخبرهم، فخرج يعدو ويقول شفيت باقبال هذا الحكيم، ثم جاء إلى آخر، فقال: لا يصلح لمرضك إلا أن تقعد في هذا الزيت، فقال: الله الله أنا في عافية: قال: لابد، قال: لا تفعل فإني من أمس أردت أن أخرج. قال: فإن كنت في عافية فاخرج، واخبر الناس بأنك في عافية، فخرج يعدو ويقول: شفيت ببركة الحكيم ومازال على هذا الوصف حتى أخرج الكل شاكرين له، والله الموفق.

١٦٩ ـ عن رجل من الجند قال: خرجت من بعض بلدان الشام أريد قرية من قراها، فلما صرت في الطريق، وقد سرت عدة فراسخ وتعبت وكنت على دابة وعليه خرجي ورحلي، وقد قرب المساء، فاذا بحصن عظيم وفيه راهب في صومعة، فنزل الي واستقبلني، وسألني المبيت عنده وأن يضيفني ففعلت، فلما دخلت الدير لم أجد فيه غيري، فأخذ بدابتي وجعل رحلي في بيت وطرح للدابة الشعير، وجاءني بماء حار، وكان الزمان شديد البرد

والثلج يسقط، وأوقد بين يدي نارًا عظيمة، وجاء بطعام طيب فأكلت، ومضت قطعة من الليل فأردت النوم، فسألته عن طريق النوم، ثم سألته عن طريق المستراح فدلني على طريقه، وكان في غرفة فمشيت، فلما صرت على باب المستراح إذا بارية عظيمة، فلما صارت رجلاي عليها نزلت، فإذا أنا في الصحرة، وإذا البارية كانت مطروحة على غير سقف، وكان الثلج تلك الليلة يسقط سقوطاً عظيمًا، فصحت فما كلمني، فقمت وقد تجرح بدني، إلا أني سالم، فجئت فاستظللت بطاق عند باب الحصن من الثلج، فإذا حجارة لو جاءتني وتمكنت من دماغي طحنته، فخرجت أعدو وأصيح، فشتمني فعلمت أن ذلك من جانبه، وطمع في رحلي، فلما خرجت وقع الثلج عليَّ وبلَّ ثيابي، ونظرت، فإذاأنا تالف بالبرد والثلج، فولد لي الفكر أن طلبت حجرًا فيه نحو ثلاثين رطلاً، فوضعته على عاتقي وأقبلت أعدو في الصحراء شوطًا طويلاً حتى أتعب، فإذا تعبت وحميت وعرقت طرحت الحجر، وجلست استريح، فإذا سكنت وأخذني البرد تناولت الحجر وسعيت كذلك إلى الغداة، فلما كان قبل طلوع الشمس، وأنا خلف الحصن إذ سمعت صوت باب الدير قد فتح، وإذا أنا بالراهب قد خرج وجاء إلى الموضع الذي قد سقطت منه، فلما لم يرني قال: ياقوم ما فعل؟ وأنا أسمعه وأظنه المشوم قد رأى بقربه قرية، فقام يمشي إليها كيف أعمل؟ قال: وأقبل يمشي، فخالفته أنا إلى الباب ودخلت الحصن، وقد مشى هو من ذاك المكان يطلبني حوالي الحصن، فحصلت أنا خلف باب الحصن، وقد كان في وسطي سكين لم يعلم بها الراهب، فوقفت خلف الباب، فطاف الراهب، فلما لم يقف لي على أثر عاد ودخل واغلق الباب، فحين خفت أن يراني آثرت إليه ووجأته بالسكين فصرعته وذبحته، وأغلقت باب الحصن، وصعدت إلى

الغرفة وأصطليت بنار كانت موقودة هناك، وطرحت علي من تلك الثياب، وفتحت خرجي ولبست منه ثيابًا، وأخذت كساء الراهب، فنمت فيه، فما أفقت إلا قريب العصر، ثم انتبهت فطفت الحصن حتى وقعت على طعام، فأكلت وسكنت نفسي، ووقعت بمفاتيح بيوت الحصن، وأقبلت افتح بيتًا بيتًا، وإذا بأموال عظيمة من عين وورق وأمتعة وثياب وآلات، ورحال قوم وأخراجهم وحمولاتهم، وإذا الراهب من عادته تلك الحال مع كل من يجتازه وحيدًا ويتمكن منه فلم أدر كيف أعمل في ثقل المال، فلبست من ثياب الراهب شيئًا ووقفت في صومعته أيامًا أترآى لمن يجتاز بي في الموضع من بعيد لئلا يشكُّوا فيَّ أني أنا هو، فإذا قربوا لم أبرز لهم وجهي إلى أن خفي خبري، ثم نزعت تلك الثياب وأخذت جوالقين مما كان في الدير من تلك الأمتعة وملأتها مالاً، وجعلتهما على الدابة وسقتها إلى أقرب قرية كانت، واكتريت فيها منزلاً ولم أزل انقل منه الصامت حتى حملتـه كله، ثم ماخت وكثـرت قيمته، حتى لم أدع إلا الأمتعة الثقيلة، واكـتريت عدة أحمال وحمير ورجَّالة، وجئت بهم دفعة واحدة وحملت كل ماقدرت عليه وسرت في قافلة عظيمة لنفسي بغنيمة هائلة، حتى قدمت بلدي، وقد حصل لي عشرة آلاف درهم ودنانير كثيرة مع قيمة الأمتعة، وغصت في الأرض فما عرف خبري.

«ذكاء وفراسة عيسى بن موسى»

١٧٠ ـ ذكـر ابن جرير وغيره أن المنصور دفع عبدالله بن علي إلى عيسى ابن موسى سرًّا بالليل قال: ياعيسى، إن هذا أراد أن يزيل نعمتي ونعمتك، وأنت ولي عهدي بعد المهدي، والخلافة صائرة إليك، فخذه فاضرب عنقه، وإياك أن تخور أو تضعف، ثم كتب إليه: ما فعلت فيما أمرتك

به، فكتب إليه: قد أنفذت ما أمَرتني به، فلم يشك في أنه قتله، وكان عيسى قد أخبر كاتبه بالحال، فقال: إنما أراد قتلك وقتله لأنه أمرك أن تقتله سرًّا ثم يدعيه عليك علانية فيقيدك به، قال: فما الرأي؟ قال: أن تستره في منزلك، فإن طلبه منك علانية أظهرته علانية.

ثم أن المنصور دسَّ على عمومته من يحركهم على مسألة عمه عبدالله بن علي ويطمعهم في أنه سيفعل وكلموه ورافعوه، فقال: عليَّ بعيسى بن موسى، فأتاه، فقال: ياعيسى، قد علمت أني دفعت إليك عبدالله بن علي، وقد كلموني فيه فأتني به، فقال ياأمير المؤمنين: ألم تأمرني بقتله؟ ثم قال لعمومته: قد أقر لكم بقتل ابن أخيكم فادعى أني أمرته بقتله وكذب، قالوا: فادفعه إلينا نقيده. قال: شأنكم به فخرجوه إلى الرحبة، واجتمع الناس، فشهر أحدهم سيفه، وتقدم إلى عيسى ليضربه، فقال له عيسى: أقاتلي أنت؟ قال: أي والله قال: ردوني إلى أمير المؤمنين، فردوه، فقال: إنما أردت بقتله أن تقتلني. هذا عمك حي سوي فأتاه به.

ذكاء طبيب

١٧١ - عن الحارثي قال: اجتزت ببغداد في أيام المقتدر، وأنا أحدث مع جماعة من مجان أصحاب الحديث، وإذا بخادم خصي جالس على دكة في الطريق وبين يديه أدوية ومكاحل ومباضع، وعلى رأسه مظلة خرق كما يكون الطبيب، فقلت لأصحابنا: ما هذا؟ فقالوا: خادم طبيب يصف للناس ويعالج ويأخذ الدراهم، وهذا من عجائب بغداد، فقلت: أنا أحب أن أخاطبه لأنظر كيف فهمه، فقال واحد منهم: فهمه لا أدري

ولكن نحب أن تعبث به، فتقدم إليه وتغاشى وتمارض وقال: ياأستاذ ياأستاذ دفعات، فضجر الخادم وقال: قولي لا شفاك الله أيش أصابك أي طاعون ضربك؟ قال، فقال له: ياأستاذ؛ أجد ظلمة في أحشائي ومغصًا في أطراف شعري، وما أكله اليوم يخرج غدًا مثل الجيفة، فصف لي صفة لما أنا فيه، قال: وكان الخادم قد أعد الجواب، فقال أما ما تجدين من مغص في أطراف شعرك فاحلقي رأسك ولحيتك حتى يذهب مغصك، وأما ظلمة في أحشاك، فعلقي على باب حجرك قنديلاً يضيء مثل الساباط، وأما ما تأكليه اليوم يخرج غدًا مثل الجيفة فكلي خراك واربحي النفقة. قال: فعطعط بنا العامة القيام، وضحكوا بنا، وانقلب الطنز الذي اردنا بالخادم، وصار طنزًا بنا، فصار أقصى إرادتنا الهرب، فهربنا.

«فراسة سراقة بن مرداس»

١٧٢ ـ قال أبوالحسن المدائني أن أحمد بن سميط أسر خمسمائة فأتى بهم المختار فقتل مائتين وأربعين وحبس بعضًا، ومنّ على بعض فكان ممن حبس من الأسرى سراقة بن مرداس البارقي، ثم أمر بقتله فقال: لا تقتلني والله لا تقتلني، حتى أنقض معك داري حجرًا حجرًا. قال وما يدريك؟ قال: الأخبار الصادقة التي جاءت بها الكتب الناطقة، فأقبل المختار على عبدالله بن كامل وعلي أبي عمرة، فقال: من يظهر أسرارنا، فأمر بتخليته، فقال سراقة: إنا قد أسرنا قوم لا نراهم. قال: هم هؤلاء وهم شرط الله. قال: لا والله لقد أسرنا قوم عليهم عمائم حمر على خيل بلق تطير بين السماء والأرض. قال: هذه الملائكة، فاعلم الناس ذلك ياسراقة. قال فصعدت منارة وأعلمت الناس وحلفت لهم، فخلى سبيلي.

«فطنة المؤمن»

١٧٣ - عن ابن عياض قال: استؤمن لعباس بن سهل بن سعد الساعدي من مسلم بن عقبة يوم الحرة، فأبى أن يؤمنه فأتوه به ودعا بالغداء، فقال عباس: أصلح الله الأمير، والله لكأنها جفنة أبيك كان يخرج عليه مطرف حرة حتى يجلس بفنائها ثم يضع جفنته بين يدي من حضر. قال: صدقت كان ذلك. أنت آمن، فقيل للعباس: كان أبوه كما قلت؟ قال: لا والله، لقد رأيته في عناء بحرة ما نخاف على ركابنا ومتاعنا أن يسرقه غيره.

«فراسة الأصمعي وفطنته»

١٧٤ - عن دريد، عن عبدالرحمن بن أخي الأصمعي، عن عمه قال: بعث إليَّ الرشيد، فدخلت فإذا صبية، فقال: من هذه الصبية؟ فقلت: لا أدري. قال: هذه مواسة بنت أمير المؤمنين، فدعوت لها وله. قال: نعم، فقبَّل رأسها، فقلت إن أطعته أدركته الغيرة، فقتلني، وإن أنا عصيته قتلني بمعصية، فوضعت كمي على رأسها وقبلت كمي، فقال: والله ياأصمعي لو أخطأتها لقتلتك. أعطوه عشرة آلاف درهم.

«فراسة واصل بن عطاء»

١٧٥ - عن ابن البهلول أن أباحذيفة واصل بن عطاء خرج يريد سفرًا في رهط، فاعترضهم جيش من الخوارج، فقال واصل: لا ينطقن أحد ودعوني معهم، فقصدهم واصل، فلما قربوا بدأ الخوارج ليقعوا، فقال كيف تستحلون هذا وما تدرون من نحن ولا لأي شيء جئنا؟ فقالوا: نعم.

فما أنتم؟ قال: قوم من المشركين جئناكم لنسمع كلام الله. قال: فكفوا عنهم، وبدأ رجل منهم يقرأ عليهم القرآن، فلما أمسك قال واصل: قد سمعنا كلام الله، فأبلغنا مأمننا حتى ننظر فيه، وكيف ندخل في الدين، فقال: هذا واجب. سيروا، فسرنا والخوارج والله معنا يحمونا فراسخ، حتى قربنا إلى بلد لا سلطان لهم عليه. فانصرفوا.

«فطنة المطلب»

١٧٦ - قال أبواسحق الجهمي: لما صرف الحجاج قال لغلام له: تعال نتنكر وننظر ما لنا عند الناس، فتنكروا وخرجا، فمرا على المطلب غلام أبي لهب، فقالا: ياهذا! أي شيء على الحجاج؟ قال: على الحجاج لعنة الله. قالا: فمتى يخرج؟ قال: أخرج الله روحه من بين جنبيه ما يدريني. قال: أتعرفني؟ قال: لا. قال: أنا الحجاج بن يوسف. قال المطلب: أتعرفني أنت؟؟ قال: لا. قال: أنا المطلب غلام أبي لهب معروف أصرع في كل شهر ثلاثة أيام أولها اليوم، فتركه ومضى.

«ذكاء بستاني»

١٧٧ - وحكى أبوالحسن بن هلال الصابي أن الحجاج انفرد يومًا من عسكره، فمر ببستاني يسقي ضيعته، فقال: كيف حالكم مع الحجاج؟ فقال: لعنه الله المبيد البر، الحقود عجل الله الانتقام منه، فقال له: أتعرفني؟ قال: لا. قال: أنا الحجاج، فرأى أن دمه قد طاح، فرفع عصا كانت معه، فقال: أتعرفني؟ قال: لا. قال: أنا أبو ثور المجنون، وهذا يوم صرعي وأزبد وأرغى وهاج، وأراد أن يضرب رأسه بالعصى، فضحك منه وانصرف.

١٧٨ ـ قال ابن الجوزي وبلغنا أن الحجاج انفرد يومًا عن عسكره، فلقي اعرابيًا، فقال: ياوجه العرب، كيف الحجاج؟ قال: ظالم غاشم. قال: فهلا شكوته إلى عبدالملك؟ فقال: لعنه الله أظلم منه وأغشم؛ فأحاط به العسكر، فقال: أركبوا البدوي، فأركبوه، فسأل عنه، فقالوا: هو الحجاج، فركض من الفرس خلفه، وقال: ياحجاج! قال: ما لك؟ قال: السر الذي بيني وبينك لا يطلع عليه أحد، فضحك وخلاه.

١٧٩ ـ ولقي الحجاج أعرابيًا بفلاة فسأله عن نفسه، وعن عماله وسعاله فأخبره بكل ما يكره، فقال له: أنا الحجاج قتلني الله ان لم أقتلك، قال: فأين حق الاسترسال؟ قال: أولى لك ما أحسن ما تخلصت وخلى سبيله.

«فراسة وذكاء أبي الحسين بن السماك»

١٨٠ ـ قال: كان أبوالحسين بن السماك يتكلم على الناس بجامع المدينة، وكان لا يحسن من العلوم شيئًا إلا ما شاء الله، وكان مطبوعًا يتكلم على مذهب الصوفية، فكتب إليه رقعة: ما يقول السادة الفقهاء في رجل مات وخلف كذا وكذا؟ ففتحها فتأملها فقرأ: ما تقول السادة الفقهاء في رجل مات، فلما رآها في الفرائض رماها من يده، وقال: أنا أتكلم على مذاهب قوم إذا ماتوا لم يخلفوا شيئًا، فعجب الحاضرون من حدة خاطره.

١٨١ ـ ويحكى أن مزيدًا كان يدخل على بعض ولاة المدينة، فأبطأ عليه ذات يوم، ثم جاء، فقال: ما أبطأك عني؟ قال: جارة لي كنت أهواها منذ حين، فظفرت بها ليلتي وتمكنت منها، فغضب الوالي، وقال: والله لآخذنك باقرار، فلما رأى الجد منه، قال: فاسمع تمام حديثي، قال:

وما هو؟ قال: فلما أصبحت خرجت أطلب مفسرًا يفسر لي رؤياي، فلم أقدر عليه إلى الساعة. قال: ذلك في المنام رأيت؟ قال: نعم. فسكن غضبه.

«فراسة أبي دلف»

١٨٢ ـ وقد روينا عن أبي الفضل الربعي عن أبيه قال، قال المأمون يومًا وهو مغضب لأبي دلف أنت الذي يقول فيك الشاعر:

إنَّما الدُّنيا أبو دلف بين باديه ومُحتضرِهِ
فإذا ولَّى أبودلفٍ ولّتِ الدُّنيا على أثرِهِ

فقال: ياأمير المؤمنين، شهادة زور، وقول عزور وملق معتاف وطلب عرف، وأصدق منه إبن أخت لي حيث يقول:

دعيني أجوبُ الأرض في طلب الغنى فلا الكر في الدنيا ولا الناس قاسِم

فضحك المأمون وسكن غضبه.

«أقوال وأفعال تدل على قوة الذكاء والفراسة»

«فراسة الاسكندر»

١٨٣ ـ وثب رجلان على بعض الملوك في زمن الاسكندر، فقال الاسكندر: إن من قتل هذا عظيم الفعال، ولو ظهر لنا جازيناه بما يستحق ورفعناه على الناس، فلما بلغهما ذلك ظهرا، فقال الاسكندر: أنا مجازيكما بما تستحقان. كما يستحق من قتل سيده ورافع قدره، فغدر به إلا القتل، وأما رفعكما على الناس؟ فإني سأصلبكما على أطول خشب يمكنني.

«فراسة رجل مؤمن»

١٨٤ ـ روي أن رجلين من آل فرعون سعيا برجل مؤمن إلى فرعون، فأحضره فرعون وأحضرهما وقال للساعيين: من ربكما؟ قالا: أنت. فقال للمؤمن: من ربك؟ قال: ربي وربهما. فقال: فرعون سعيتما برجل على ديني لأقتله، فقتلهما. قالوا: فذلك قوله تعالى: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وحَاقَ بآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ العَذَابِ﴾. [سورة غافر، الآية: ٤٥].

١٨٥ ـ عن إسحاق بن هانيء قال: كنا عند أبي عبدالله أحمد بن حنبل رضي الله عنه في منزله ومعنا المروزي، ومهنى بن يحيى الشامي، فدق داق الباب وقال: المروزي ههنا؟ فكأن المروزي كره أن يعلم موضعه، فوضع مهنى بن يحيى إصبعه في راحته وقال: ليس المروزي ههنا، فضحك أحمد ولم ينكر عليه ذلك.

١٨٦ ـ عن مصعب الزبيري قال: أتى العريان بشاب سكران، فقال له: من أنت؟ فقال: شعرًا.

تَرَى النـاس أفواجًا إلى ضوءِ نَارِهِ فَمِـنْهُـم قيامٌ حولَهـا وقُـعـودُ

فقال لبعض شرطه: سل عن هذا، فسأل عنه، فقال: هو ابن صاحب باقلاً. قلت: وفي رواية أخرى زيادة.

ترى النـاس أفـواجًـا إلى ضوء ناره فمـنهـم قيام حولهـا وقـعـود

فظنّه كبير القدر، فخلى به، فإذا هو إبن باقلاوي.

«فراسة الحارث بن مسكين»

١٨٧ ـ أتى الحرث بن مسكين أيام المحنة، وابن داؤد يمتحن الناس بخلق القرآن، فقال للحارث: اشهد أن القرآن مخلوق، فقال أشهد أن هذه

الأربعة مخلوقة وبسط أصابعه الأربع، فقال: التوراة والانجيل والزبور والفرقان، فعرض وكنى وتخلص من القتل.

١٨٨ ـ قال: كان أصحاب المبرد إذا اجتمعوا واستأذنوا يخرج الإذن فيقول: إن كان فيكم أبوالعباس الزجاج، وإلَّا انصرفوا، فحضروا مرة، ولم يكن الزجاج فيهم، فقال لهم ذلك، فانصرفوا، وثبت رجل منهم، فقال عثمان للآذن: قل لأبي العباس انصرف القوم كلهم إلَّا عثمان، فإنه لا ينصرف، فعاد الآذن إليه وأخبره، فقال له: إن عثمان إذا كان نكرة إنصرف، ونحن لا نعرفك فانصرف راشدًا.

«فراسة طالب علم»

١٨٩ ـ قال: تكلم شاب يومًا عند الشعبي، فقال الشعبي: ما سمعنا بهذا. فقال الشاب: كل العلم سمعت؟ قال: لا. قال: فشطره؟ قال: لا، قال فاجعل هذا في الشطر الذي لم تسمعه، فأفحم الشعبي.

«ذكاء هارون الأعور»

١٩٠ ـ وقال عبدالله بن سليمان بن الأشعث: سمعت أبي يقول: كان هارون الأعور يهوديًا، فأسلم وحسن إسلامه، وحفظ القرآن وضبطه، وحفظ النحو، فناظره انسان يومًا في مسألة فغلبه هارون، فلم يدر المغلوب ما يصنع، فقال له: أنت كنت يهوديًا فأسلمت. فقال له هارون: أفبئس ما صنعت؟ فغلبه أيضًا، والله الموفق.

«فراسة ابراهيم بن طهمان»

١٩١ ـ قال مالك بن سليمان: كان لابراهيم بن طهمان جراية من بيت المال، فسئل عن مسألة في مجلس الخليفة، فقال: لا أدري. فقالوا له: تأخذ

في كل شهر كذا وكذا ولا تحسن مسألة فقال: إنما آخذ على ما أحسن، ولو أخذت على ما لا أحسن لفني بيت المال، ولا يفنى ما لا أحسن، فأعجب الخليفة جوابه، وأمر له بجائزة فاخرة، وزاد في جرايته.

١٩٢ ـ قال أبوالعباس المبرد: ضاف رجل قومًا فكرهوه، فقال الرجل لامرأته: كيف لنا أن نعلم مقدار مقامه؟ فقالت: ألق بيننا شرًا حتى نتحاكم إليه ففعلا، فقالت للضيف: بالذي يبارك لك في غدوك غدًا أيُّنا أظلم؟ فقال الضيف: والذي يبارك لي في مقامي عندكم شهرًا ما أعلم.

١٩٣ ـ قال أبو خلف: حدثني بعض أصحابنا قال: بلغني أن الرشيد خرج يومًا متنزهًا وانفرد عن عسكره والفضل بن الربيع خلفه، فإذا هو بشيخ قد ركب حمارًا له، وفي يده لجام، كأنه مبعر محشو، فنظر إليه فإذا هو رطب العينين، فغمز الفضل عليه، فقال له الفضل: أين تريد؟ قال حائطًا لي، قال: هل لك أن أدلك على شيء تداوي به عينيك فتذهب هذه الرطوبة؟ قال: ما أحوجني إلى ذلك. قال له: خذ عيدان الهواء وغبار الماء وورق الكمأة فصيّره في قشر جوزة واكتحل به، فإنه يذهب عنك ما تجد، قال: فاتكأ على قربوسة فضرط ضرطة طويلة، ثم قال: تأخذ هذه أجرة لوصفتك، فإن نفعتنا زدناك، قال: فاستضحك الرشيد حتى كاد أن يسقط عن ظهر دابته.

١٩٤ ـ قال الجاحظ، قال المهدي لشريك القاضي، وعيسى بن موسى عنده: لو شهد عندك عيسى كنت تقبله، وأراد أن يضرب بينهما، فقال شريك: من سألت عنه لا يسأل عن عيسى غير أمير المؤمنين، فإن زكيته قبلته، فقلبها عليه.

١٩٥ ـ قال أبو بكر بن محمد: كان لي أخ يجيد الشعر، فقال له رجل منهم، وقد حسده على شعره: ما أدري ما معنى أعجمي يقول الشعر، فقال له:

رجل دب إلى أمه عربي، فقال له: وكذلك يلزم في قياس قولك إذا لم يقل العربي شعراً، فقد دب إلى أمه أعجمي.

١٩٦ ـ غضب رجل على رجل فقال له: ما أغضبك؟ قال شيء تنقله إليَّ الثقة عنك، فقال له: لو كان ثقة ما نم.

١٩٧ ـ قال أبو الحسن بن المأمون قال، قال المأمون ليحيى بن أكثم: من الذي يقول، وهو يعرض به؟:

قاضٍ يَرَى الحدَّ في الزِّنا ولاَ ... يَرَى عَلى مَنْ يَلُوطُ مِنْ باسِ

قال: أو ما يعرف أمير المؤمنين من قاله؟ قال: لا، قال. يقوله الفاجر أحمد بن أبي نعيم الذي يقول:

حَاكِمُنا يَرْتشي وقَاضِينَا ... يَلُوطُ والرأس شرّ ما رأسِ

لا أحسبُ الجُورَ ينقضي وَعلى ... السَّلامةِ وآلٍ مِنَ آلِ عبَّاسِ

قال، فأفحم المأمون وسكت خجلاً، وقال: ينبغي أن ينفى أحمد ابن أبي نعيم إلى السند.

«فراسة مناظر مسلم»

١٩٨ ـ قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن شهاب العطار قال: روي يعقوب الشحام قال، قال لي أبوالهذيل: بلغني أن رجلاً يهوديًا قدم البصرة، وقد قطع وغلب عامة متكلميهم، فقلت لعمي: امضِ إلى هذا اليهودي كلمه، فقال: يابني، هذا قد غلب جماعة متكلمي البصرة، فقلت: لابد، فأخذ بيدي، فدخلنا على اليهودي، فوجدته يقرر الناس الذين يكلمونه نبوة موسى عليه السلام، ثم يجحد نبوة نبينا محمد ﷺ فيقول: نحن على ما اتفقنا عليه من نبوة موسى إلى أن نتفق على غيره فنقربه، فدخلت إليه، فقلت له: أسألك أو تسألني؟ فقال يابني: أو ماترى ما

أفعله بمشايخك؟ فقلت: دع عنك هذا واختر، قال: بل أسألك، أخبرني أليس موسى نبيًا من أنبياء الله قد صحت نبوته، وثبت دليله. تقر بهذا أو تجحده، فتخالف صاحبك؟ فقلت له: إن الذي سألتني عنه من أمر موسى عندي على أمرين: أحدهما: إني أقرُّ بنبوة موسى الذي أخبر بصحة نبوة نبينا محمد ﷺ وأمرنا باتباعه وبشْرَ بنبوته، فإن كان عن هذا تسألني، فأنا مقر بنبوته، وإن كان الذي سألتني عنه لا يقرّ بنبوة نبينا محمد ﷺ ولم يأمر باتباعه، ولا بشْر به، فلست أعرفه ولا أقرّ بنبوته، وهو عندي شيطان مخزي، فتحير مما قلت له. فقال لي: فما تقول في التوراة؟ فقلت: أمر التوراة أيضًا عندي على وجهين: ان كانت التوراة التي أنزلت على موسى الذي أقر بنبوة نبينا محمد ﷺ، فهي التوراة الحق، وان كانت الذي تدعيه، فباطل، وأنا غير مصدق بها، فقال: احتاج أن أقول لك شيئًا بيني وبينك، فظننت أنه يقول شيئًا من الخير، فتقدمت إليه فسارني وقال: أمك كذا وكذا، وأم الذي علمك لا يكني، وقد رأى أني أثب به، فيقول وثبوا علي، فأقبلت على من كان في المجلس، فقلت: أعزكم الله. أليس قد أجبته؟ قالوا: نعم، فقلت: أليس عليه أن يرد جوابي؟ فقالوا: نعم. فقلت: إنه لما سارني شتمني، بالشتم الذي يوجب الحد، وشتم من علمني وأنه ظن أني أثب به، فيدعي أنا أثبناه، وقد عرفتكم شأنه، فأخذته الأيدي بالنعال، فخرج هاربًا من البصرة، وقد كان له بها دين كثير، فتركه وخرج هاربًا لما لحقه من الانقطاع.

١٩٩ - وقال: لما دخل الجماز على المتوكل قال له: إني أريد أن استبرئك. فقال الجماز: بحيضة أو بحيضتين، فضحك الجماعة منه، فقال له الفتح: قد كلمت أمير المؤمنين فيك حتى ولّاك جزيرة القرود، فقال له الجماز: أفلست في السمع والطاعة أصلحك الله، فحصر الفتح وأسكت، فأمر

له المتوكل بعشرة آلاف درهم، فأخذها وانحدر، فمات فرحًا بها.

٢٠٠ ـ قال العتبي: دخل الوليد بن يزيد على هشام بن عبدالملك، وعلى الوليد عمامة وشي، فقال له هشام: بكم أخذت عمامتك؟ قال: بألف درهم، فقال هشام: عمامة بألف يستكثر ذلك؟ فقال الوليد: إنها لأكرم أطرافي ياأمير المؤمنين، وقد اشتريت جارية بعشرة آلاف درهم لأخس أطرافك.

٢٠١ ـ عن يموت بن المزرع قال: كان أبي والجماز يمشيان، وأنا خلفهما بالعشي، فمررنا بإمام وهو ينتظر من يمر عليه، فيصلي معه، فلما رآنا أقام الصلاة مبادرًا، فقال له الجماز: دع عنك هذا، فإن رسول الله ﷺ قد نهى أن يتلقى الجلب. وعن ابن الأعرابي عن الأصمعي قال: اجتزت في بعض سكك الكوفة، فإذا برجل قد خرج من حبس على كتفه جرة، وهو ينشد ويقول:

وأكرمُ نَفْسي إنَّني إن أهنتُها وحقّكَ لم تَكْرمْ على أحدٍ بعدي

فقلت له: تكرمها بمثل هذا؟ فقال: نعم، وأستغني عن سفلة مثلك، إذا سألته يقول: صنع الله لك، فقلت تراه عرفني، فأسرعت، فصاح بي ياأصمعي، فالتفت إليه فقال:

لَنَقْلُ الصَّخْرِ مِنْ قُلَلِ الجبَالِ أحبُ إليَّ مِنْ مِنن الرِّجَالِ
يقولُ الناسُ كَسْبٌ فيه عارٌ وكلّ العَارِ في ذُلِّ السؤالِ

٢٠٢ ـ قال طراد بن محمد أن يهوديًا ناظر مسلمًا أظنه قال في مجلس المرتضى، فقال اليهودي: إيش أقول في قوم سماهم الله مدبرين يعني النبي ﷺ وأصحابه يوم حنين؟ فقال المسلم: فإذا كان موسى أدبر منهم. قال له: كيف؟ قال: لأن الله تعالى قال: ﴿وَلَى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ وهؤلاء ماقال فيهم ولم يعقبوا فسكت.

٢٠٣ ـ قال نصر بن سيار، قلت لأعرابي: هل أتخمت قط؟ فقال: أما من طعامك وطعام أبيك، فلا. فيقال: إن نصرًا حمَّ من هذا الجواب أيامًا.

٢٠٤ ـ حدثني رجل من أهل الرقة عن عبدالملك بن عمير قال: أخذ زياد رجلاً من الخوارج، فأفلت منه، فأخذ خاله، فقال: إن جئت بأخيك وإلا ضربت عنقك قال أرأيت ان جئت بكتاب من أمير المؤمنين تخلي سبيلي قال نعم قال فأنا آتيك بكتاب من العزيز الرحيم، وأقيم عليه شاهدين إبراهيم وموسى عليهما السلام: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ۞ وإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وفَّى ۞ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾. قال زياد: خلوا سبيله هذا رجل لقن حجته.

٢٠٥ ـ قال يموت بن المزرع قال لنا الجاحظ: ما غلبني أحد قط إلا رجل وامرأة، فأما الرجل، فاني كنت مجتازًا في بعض الطرق، فإذا أنا برجل قصير بطين كبير الهامة طويل اللحية متزر بمئزر، وبيده مشط يسقي به شقه ويمشطها به، فقلت في نفسي: رجل قصير بطين ألحي، فاستزريته، فقلت: أيها الشيخ! قد قلت فيك شعرًا، فترك المشط من يده وقال: قل، فقلت:

كأنك صَعْوةٌ في أصلِ حُشٍّ ... أصابَ الحشَّ طَشٌّ بَعْدَ رشِّ

فقال لي: اسمع جواب ما قلت، فقلت: هات، فقال:

كأنك كِنْدَرٌ في ذَنْبِ كَبْشٍ ... يُدَلْدَلُ هكذا والكُبْش يَمْشِي

وأما المرأة، فكنت مجتازًا ببعض الطرقات، فإذا أنا بامرأتين، وكنت راكبًا على حمارة، فضرطت الحمارة، فقالت: احداهما للأخرى: وي حمارة الشيخ تضرط، فغاظني قولها فاحتدت ثم قلت لها: إنه ما حملتني أنثى قط إلا وضرطت، فضربت بيدها على كتف الأخرى وقالت: كانت أم هذا منه تسعة أشهر على جهد جهيد.

٢٠٦ ـ لقي بعض الأكـاسرة في موكبـه رجلاً أعور، فحبسه، فلما نزل خلاه وقـال: تطيرت منك. قال: أنت أشأم مني لأنك خرجت من منزلك ولقيتني، فما رأيت إلا خيرًا، وخرجت من منزلي فلقيتك، فحبستني فلم يعد بعدها يتطير.

«فراسة رجل ضرير»

٢٠٧ ـ قال: عاد أبـو عمـر الضرير رجـلاً من أصحابه، فأخذت أمة بيده، فصعدت به، فلما أراد أن ينزل جاءت، فأخذت بيده، فقال: رديني إلى مولاك، فردته، فقال: إن جاريتك أخذت بيدي حين صعدت، وهي بكر، ثم أخذت بيدي الساعة وهي ثيب، فسأل عن ذلك، فأخبر أن إبناً للرجل افترشها.

٢٠٨ ـ قال مصعب بن عبدالله قال مالك بن أنس: صلى بعض الشطار خلف رجل، فلما قرأ ارتج عليه، فلم يدر ما يقول، فجعل يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وجعل يردد ذلك مرارًا، فقال الشاطر من خلفه. ما للشيطان ذنب إلا أنك ما تحسن تقرأ؟!

٢٠٩ ـ قال محمـد بن عبـدالرحمن: دعا معن مرة أخاً له، فأقعده إلى جانب العصر، فلم يطعمـه شيئًـا فاشتد جوعه، فأخذه مثل الجنون، فأخذ صاحب البيت العود، وقال له: أي صوت تشتهي أن أسمعك؟ قال: صوت المقلي.

٢١٠ ـ قال أبـوالحسن علي بن هشام بن عبيدالله الكعب، المعروف أبوه بأبي قيراط قال: سمعت حامـد بن العباس يقول: ربما انتفع الإنسان في نكبتـه بالرجل الصغير أكثر من منفعته بالرجل الكبير، فمن ذلك أن

اسماعيل بن بلبل لما حبسني جعلني في يد بواب كان يخدمه، فكان رجلاً حرًا، فأحسنت إليه وبررته، وكان ذلك البواب يدخل إلى مجلس الخاصة، ولا ينكر عليه لسابق خدمته، فجاءني في بعض الليالي، وقال: قد حرر الوزير علي ابن الفرات، وقال ما يكسّر المال على حامد غيرك، ولابد من الجد في مطالبته بباقي مصادرته، وسيدعو بك الوزير غدًا إلى حضرته ويهددك، فشغل ذلك قلبي، فقلت له: فهل عندك من رأي؟ فقال: أكتب رقعة إلى رجل من معامليك تعرف شحه، والتمس منه لعيالك ألف درهم يقرضك إياها، واسأله أن يجيبك على ظهر الرقعة لترجع إليك لتخرجها، فإنه لشحه يردك بعذر احتفظ بالرقعة، فإذا طالبك أخرجتها إليه، وقلت له: قد أفضت حالي إلى هذا، فأخرجتها على غير مواطئة، فلعل ذلك ينفعك، ففعلت ما قال، وجاءني الجواب بالرد كما حسبنا، فلما كان من الغد أخرجني الوزير وطالبني، فأخرجت الرقعة، فقرأها فلان واستحى وكان ذلك سبب خفة أمري وزوال محنتي.

٢١١ - قال عيسى بن محمد الطوماري: سمعت أبا عمر محمد بن يوسف القاضي يقول: اعتل أبي علة شهورًا، فانتبه ذات ليلة فدعا بي وبأخوتي وقال لنا: رأيت في النوم كأن قائلاً يقول: كُلْ لا، واشرب لا، فإنك تبرأ، فلم ندر تفسيره. وكان بباب الشام رجل يعرف بأبي علي الخياط، حسن المعرفة بعبارة الرؤية، فجئنا به، فقص عليه المنام، فقال: ما أعرف تفسيره، ولكني أقرأ كل ليلة نصف القرآن، فأخلوني الليلة حتى أقرأ رسمي وأتفكر، فلما كان من الغد جاءنا، فقال: مررت على هذه الآية ﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ فنظرت إلى «لا». وهي ترددفيها. اسقوه زيتًا وأطعموه زيتًا، ففعلنا وكانت سبب عافيته.

٢١٢ ـ حكى جعفر البرني قال: مررت بسائل على الجسر وهو يقول: مسكينًا ضريرًا، فدفعت إليه قطعة وقلت: ياهذا، لِمَ نصبت؟ قال: فديتك باضمار (ارحموا).؟

٢١٣ ـ وقال ابن الجوزي، حدثنا أبوعثمان الخالدي قال: عملت قصيدة أمدح سيف الدولة أبا الحسن ابن حمدان، وعرضتها على جماعة أتعرف ما عندهم فيها، إذ حضر مخنث وأنا أقرؤها، فلما انتهيت إلى قولي:

وأنكَرَتْ شيبةٌ في الرأسِ واحدة فَعَاد يَسْخِطُها ما كَانَ يُرضيهَا

قال: هذا غلط، قلت: ما هو؟ قال: تقول للأمير في الرأس واحدة. ألا قلت: في الرأس طالعة أو لائحة، فعجبت من فطنته وجودة خاطره.

٢١٤ ـ شكا أصحاب هشام إلى أسلم بن الأحنف احتباس أرزاقهم، فدخل على هشام، فقال: ياأمير المؤمنين، لو أن مناديًا نادى يامفلس ما بقي أحد من أصحابك، ألا التفت، فضحك وأمر بصلة أرزاقهم.

٢١٥ ـ قال: قدم وفد من العراق على سليمان بن عبدالملك، فقام رجل منهم، فقال: ياأمير المؤمنين، ما أتيناك رغبة ولا رهبة. قال: فلم جئتم؟ قال: نحن وفد الشكر، أما الرغبة فقد وصلت إلينا في رحالنا، وأما الرهبة فقد أمناها بعدلك، ولقد حببت إلينا الحياة وهونت علينا الموت، فأما تحبيبك إلينا الحياة، فلما انتشر من عدلك، وأما تهوينك علينا الموت، فلما نثق منك فيمن تخلف من أعقابنا عليك، فوصله وأحسن جائزته وجوائز أصحابه.

٢١٦ ـ حدثنا أبوالحسن المدايني قال بعض العلماء: كان لنا صديق من أهل البصرة، وكان ظريفًا أديبًا، فوعدنا أن يدعونا إلى منزله، فكان يمر بنا، فكلما رأيناه قلنا ﴿مَتَى هَذَا الوَعْدُ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيسكت إلى أن اجتمع ما يريده، فمر بنا، فأعدنا عليه القول، فقال: ﴿انْطَلِقُوا إلى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾. [سورة المرسلات، الآية: ٢٩].

٢١٧ ـ ذكر هلال بن المحسن أن رجلاً كان يقال له أبوالعجب لم ير مثله فيما كان يعمل من الشعبذة[٣]. دخل يومًا إلى دار المقتدر بالله، فرأى خادمًا من خواصه يبكي على بلبل مات له، فقال له: ما عليك أيها الأستاذ إن أحييته؟ فقال: ما تريد، فأخذ البلبل الميت، فأدخله كمه وأدخل رأسه، وأخرج بعد ساعة بلبلاً حيًّا، فماجت الدار وعجب الحاضرون، فاستدعاه علي بن عيسى وقال: والله إن لم تصدقني عن حقيقة الأمر لأضربن عنقك، فقال: إني شاهدت الخادم يبكي على بلبله، فطمعت بما آخذه منه، فمضيت في الحال إلى السوق، وابتعت بلبلاً وخبأته في كمي وعدت إلى الخادم، فقلت ما قلته، وأخذت البلبل الميت، وأدخلت رأسه في كمي وأكلته، وأخرجت الحي، فلم يشك أنه بلبله، وهذا رأس الميت.

٢١٨ ـ أحضر رجل بين يدي المأمون قد أذنب فقال له: أنت الذي فعلت كذا وكذا؟ قال: نعم أنا ذاك ياأمير المؤمنين الذي أسرف على نفسه واتكل على عفوك، فعفا عنه.

٢١٩ ـ قال بعض الأدباء لصديق له: أنت والله بستان الدنيا، فقال الآخر: أنت النهر الذي يشرب منه ذلك البستان.

٢٢٠ ـ تظلم أهل الكوفة من عاملها إلى المأمون، فقال: ما علمت في عمالي أعدل منه. فقال رجل من القوم: ياأمير المؤمنين فقد لزمك أن تجعل لسائر البلدان نصيبًا من عدله حتى تكون قد ساويت بين رعاياك في حسن النظر، فأما نحن، فلا تخصنا منه بأكثر من ثلاث سنين، فضحك المأمون، وأمر بصرفه.

٢٢١ ـ مر رجل من الأذكياء برجل قائم في الطريق قال: ما وقوفك؟ قال: أنتظر إنسانًا. فقال: يطول قيامك إذن.

---

(٣) أي الأعمال السحرية.

٢٢٢ ـ روي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال لبعض أهل المدينة: أنا أسن أم أنت؟ فقال له: لا أذكر ليلة زفت أمامك المبارك على أبيك الطيب، وهذا الاحتراز مليح لأنه لم يقل أمك الطيبة.

٢٢٣ ـ قال، ابن عرابة المؤدب حكى لي محمد بن عمر الضبي أنه حفظ ابن المعتز وهو يؤدبه (والنازعات) وقال له: إذا سألك أمير المؤمنين أبوك في أي شيء أنت؟ فقل له: في السورة التي تلي (عبس) ولا تقل أنا في النازعات. قال: فسأله أبوه في أي شيء أنت؟ قال: في السورة التي تلي عبس، فقال: من علمك هذا؟ قال: مؤدبي. قال: فأمر له بعشرة آلاف درهم.

٢٢٤ ـ قال عبدالواحد بن نصر المخزومي قال: أخبرني من أثق به أنه خرج في طريق الشام مسافرًا يمشي وعليه مرقعة، وهو في جماعة نحو الثلاثين رجلاً كلهم على هذه الصفة، فصحبنا في بعض الطريق رجل شيخ حسن الهيئة ومعه حمار فاره يركبه، ومعه بغلان عليهما رجل وقماش ومسح فاخر، فقلنا له: ياهذا انك لا تفكر في خروج الأعراب علينا، فانه لا شيء معنا يؤخذ وأنت لا تصلح لك صحبتنا مع ما معك، فقال: يكفينا الله، ثم سار ولم يقبل منا، وكان إذا نزل يأكل استدعى أكثرنا فأطعمه وسقاه، وإذا عيي الواحد منا أركبه على أحد بغليه، وكانت جماعة تخدمه وتكرمه وتتدبر برأيه إلى أن بلغنا موضعًا، فخرج علنيا نحو ثلاثين فارساً من الأعراب، فتفرقنا عليهم ومانعناهم، فقال الشيخ: لا تفعلوا، فتركناهم ونزل، فجل وبين يديه سفرته، ففرشها وجلس يأكل، وأظلتنا الخيل، فلما رأوا الطعام دعاهم إليه، فجلسوا يأكلون، ثم حل رحله وأخرج منه حلوى كثيرة وتركها بين يدي الأعراب، فلماأكلوا وشبعوا جمدت أيديهم وخدرت أرجلهم ولم يتحركوا، فقال لنا: ان الحلو مبنج،

أعددته لمثل هذا وقد تمكن منهم وتمت الحيلة. ولكن لا يفك البنك إلا أن تصفعوهم، فافعلوا فانهم لا يقدرون لكم على ضرر ونسير، ففعلوا فما قدروا على الامتناع، فعلمنا صدق قوله، وأخذنا أسلحتهم وركبنا دوابهم وسرنا حواليه في موكب، ورماحهم على أكتافنا، وسلاحهم علينا، فما نجتاز بقوم إلا يظنونا من أهل البادية فيطلبون النجاة منا، حتى بلغنا ما مننا.

٢٢٥ ـ عن أبي محمد عبدالله بن علي المقري قال: دفن رجل مالاً في مكان وترك عليه طابقًا وترابًا كثيرًا، ثم ترك فوق ذلك خرقة فيها عشرون دينارًا، وترك عليها ترابًا كثيرًا ومضى، فلما احتاج إلى الذهب كشف عن العشرين، فلم يجدها، فكشف عن الباقي فوجده، فحمد الله على سلامة ماله، وإنما فعل ذلك خوفًا أن يكون قد رآه أحد، وكذلك كان، فأنه لما جاءه الذي رآه وجد العشرين، فأخذها ولم يعتقد أن ثم شيئًا آخر.

٢٢٦ ـ قال ابن الجوزي حدثني بعض المشايخ أن رجلاً يهوديًا كان معه مال، فاحتاج إلى دخول الحمام، وخاف أن ينكسر سبته إن حمله معه، فدخل إلى خزانة الحمام، فحفر ودفنه، ثم دخل إلى الحمام وخرج، فبحث عنه، فلم يجده، فسكت ولم يخبر أحدًا لا زوجته ولا ولدًا ولا صديقًا، فجاءه بعد أيام رجل، فقال: كيف أنت مَنْ شغل قلبك؟ فلزمه وقال: رد مالي لي، فقالوا له: من أين علمت؟ قال: ما رآني لما دفنته مخلوق ولا حدثت به مخلوقًا. قال: إن هذا أخذه. أما قال كيف أنت من شغل قلبك؟

٢٢٧ ـ وقال بعضهم خرجت في الليل لحاجة، فإذا أعمى على عاتقه جرة، وفي يده سراج، فلم يزل يمشي حتى أتى النهر وملأ جرته وانصرف راجعًا، فقلت ياهذا، أنت أعمى والليل والنهار عندك سواء، فقال: يافضولي

حملتها معي لأعمى القلب مثلك يستضيء بها، فلا يعثر بي في الظلمة فيقع علي فيكسر جرتي.

«من فطن وفراسة الأطباء»

٢٢٨ ـ قال محمد بن علي الأمين: حدثنا بعض الأطباء الثقات أن غلامًا من بغداد قدم الري، فلحقه في طريقه أنه كان ينفث الدم، فاستدعى أبابكر الرازي الطبيب المشهور بالحذق، فأراه ما ينفث ووصف له ما يجد، فنظر إلى نبضه وقارورته، واستوصف حاله، فلم يقم له دليل على سل ولا قرحة، ولم يعرف العلة، فاستنظر العليل لينظر في حاله، فاشتد الأمر على المريض، وقال هذا يأس لي من الحياة لحذق المتطبب وجهله بالعلة، فزاد ألمه، ففكر الرازي، ثم عاد إليه، فسأله عن المياه التي شرب. فقال من صهاريج ومسقفات، فثبت في نفس الرازي بحدة خاطره وجودة ذكائه أن علقة كانت في الماء، وقد حصلت في معدته، وذلك الدم من فعلها. فقال: إذا كان في غد عالجتك، ولكن بشرط أن تأمر غلمانك أن يطيعوني فيك بما آمرهم. قال: نعم، فانصرف الرازي، فجمع مركنين كبيرين من طحلب، فأحضرهما في غد معه، فأراه إياهما قال: ابلع جميع ما في هذين المركنين، فبلع شيئًا يسيراً، ثم وقف. قال: ابلع. قال: لا أستطيع، فقال للغلمان: خذوه فأقيموه، ففعلوا به ذلك وطرحوه على قفاه وفتحوا فاه، فأقبل الرازي يدس الطحلب في حلقه ويكبسه كبسًا شديدًا ويطالبه ببلعه ويتهدده بأن يضرب إلى أن بلعه كارهًا أحد المركنين بأسره، والرجل يستغيث ويقول: الساعة قذف، فزاد الرازي فيما يكبسه في حلقه، فذرعه القيء، فتأمل الرازي ما قذف فإذا فيه علقة، وإذا هي لما وصل إليها الطحلب قربت إليه بالطبع وتركت موضعها، فالتفت على الطحلب، ونهض العليل معافى.

٢٢٩ ـ عن علي بن الحسن الصيدلاني قال: كان عندنا غلام حدث من أولاد النبا. فلحقه وجع في معدته شديد بلا سبب يعرفه، فكانت تضرب عليه أكثر الأوقات ضربًا عظيمًا حتى يكاد يتلف، وقلَّ أكله، ونحل جسمه، فحمل إلى الأهواز، فعولج بكل شيء، فلم ينجع فيه، ورد إلى بيته وقد يئس منه، فجاز بعض الأطباء فعرف حاله، فقال للعليل: اشرح لي حالك من زمن الصحة، فشرح إلى أن قال دخلت بستانًا فكان في بيت البقر رمان كثير للبيع، فأكلت منه كثيرًا. قال: كيف كنت تأكله؟ قال: كنت أعض رأس الرمانة بفمي، وأرمي به وأكسرها قطعاً وآكل، فقال الطبيب: غدًا أعالجك بإذن الله تعالى، فلما كان الغد جاء بقدر أسفيداج قد طبخها من لحم جروٍ سمين، فقال للعليل: كل هذا. قال العليل: ما هو؟ قال: إذا أكلت عرفتك، فأكل العليل، فقال له امتلىء منه فامتلأ، ثم قال له: أتدري أي شيء أكلت؟ قال: لا. قال لحم كلب فاندفع يقذف، فتأمل القذف إلى أن طرح العليل شيئًا أسود كالنواة يتحرك، فأخذه الطبيب وقال: ارفع رأسك، فقد برأت، فرفع رأسه فسقاه شيئًا يقطع الغثيان، وصب على وجهه ماء ورد، ثم أراه الذي وقع فإذا هو قرادًا؛ فقال: إن الموضع الذي كان فيه الرمان كان فيه قردان من البقر، وأنه حصلت منهم واحدة في رأس إحدى الرمانات التي اقتلعت رؤوسها بفيك، فنزل القرد لى حلقك وعلق بمعدتك يمتصها، وعلمت أن القراد[1] تهش إلى لحم الكلب، فإن لم يصح الظن لم يضرك ما أكلت، فصح، فلا تدخل فمك شيئًا لا تدري ما فيه والله الموفق.

---

(١) نوع من الحشرات الواحد منها على قدر حجم الذبابة تلتصق بجلد البقر لتمتص الدم.

٢٣٠ ـ عن أبي ادريس الخولاني قال: سمعت محمد بن إدريس الشافعي رضي الله تعالى عنه يقول: ما أفلح سمين قط إلاَّ أن يكون محمد بن الحسن، وقيل له قال: لا تعدو العاقل إحدى خصلتين: إما أن يهتم لآخرته ومعاده أو الدنيا ومعاشه، والشحم مع الهم لا ينعقد، فإذا خلا من المعنيين صار في حد البهائم، فانعقد الشحم، ثم قال: كان ملك في الزمان الأول وكان مثقلاً كثير الشحم لا ينتفع بنفسه، فجمع المتطببين وقال: احتالوا إليَّ بحيلة يخف عني لحمي هذا. قليلاً. قال: فما قدروا له على شيء. قال: فبعث له رجل عاقل أديب متطبب فارِه، فبعث إليه وأشخصه فقال له: عالجني ولك الغنى. قال: أصلح الله الملك أنا متطبب منجم دعني حتى أنظر الليلة في طالعك. أي دواء يوافق طالعك فأسقيك، قال: فغدا عليه، فقال: أيها الملك، الأمان. قال: لك الأمان. قال: رأيت طالعك يدل على أن الباقي من عمرك شهر، فإن أحببت عالجتك، وإن أردت بيان ذلك، فاحبسني عندك، فإن كان لقولي حقيقة فخل عني، وإلاَّ فاستقص مني، قال: فحبسه قال: ثم رفع الملك الملاهي واحتجب عن الناس، وخلا وحده مهتمًا كلما انسلخ يوم ازداد غمًا حتى هزل وخف لحمه، ومضى لذلك ثمان وعشرون يومًا، فبعث إليه وأخرجه، فقال: ما ترى. قال: أعز الله الملك. أنا أهون على الله عز وجل من أن أعلم الغيب، والله ما أعرف عمري، فكيف أعرف عمرك. انه لم يكن عندي دواء إلا الغم، فلم أقدر أن أجلب إليك الغم إلاَّ بهذه العلة، فأذاب شحم الكلي، فأجازه وأحسن إليه.

٢٣١ ـ عن أبي الحسن بن الحسن بن محمد الصالحي الكاتب قال: رأيت بمصر طبيبًا كان بها مشهورًا يعرف بالقطيعي، وقال: انه يكسب في كل شهر ألف دينار من جرايات يجريها عليه قوم من رؤساء العسكر، ومن

السلطان، ومما يأخذه من العامة قال: وكان له دار قد جعلها شبه المرستان[1] من جملة داره يأوي إليها الضعفاء والمرضى فيداويهم ويقوم بأغذيتهم وأدويتهم وخدمتهم، وينفق أكثر كسبه في ذلك، فاتفق ان بعض فتيان الرؤساء بمصر اسكت. قال: فجعل إليه أهل الطب، وفيهم القطيعي، فاجمعوا على موته إلا القطيعي، وعمل أهله على غسله ودفنه، فقال القطيعي: أعالجه وليس يلحقه أكثر من الموت الذي قد أجمع هؤلاء عليه، فخلاه أهله معه، فقال: هات غلامًا جَلِدًا ومقارع، فأتي بذلك، فأمر به، فمد وضربه عشر مقارع أشد الضرب ثم مس جسده، ثم ضربه عشرًا أخر، ثم جس مجسه، ثم ضربه عشر أخر، ثم جس مجسه، وقال: أيكون للميت نبض؟ قالوا: لا. قال: فجسوا نبض هذا فجسوه، فأجمعوا أنه نبض متحرك، فضربه عشر مقارع أخر، ثم جسوه فجسوه، فقالوا قد زاد نبضه، فضربه عشراً أخر، فتقلب فضربه عشرًا فتأوه، فضربه عشرًا فصاح، فقطع عنه الضرب، فجلس العليل يتأوه، فقال له: ما تجد؟ قال: أنا جائع. فقال: أطعموه، فجاءوا بما أكله، فرجعت قوته وقمنا، وقد برأ. فقال له الأطباء. من أين لك هذا؟ قال: كنت مسافرًا في قافلة فيها أعراب يخفرونا، فسقط منهم فارس عن فرسه، فأسكت، فقالوا: قد مات؟ قال: فعمد شيخ منهم فضربه ضربًا شديدًا عظيمًا، ومارفع الضرب عنه حتى أفاق، فعلمت أن الضرب جلب إليه حرارة أزالت سكتته، فقست عليه أمر هذا العليل.

٢٣٢ - عن أبي الحسن المهدي القزويني قال: كان عندنا طبيب يقال له ابن نوح، فلحقتني سكتة، فلم يشك أهلي في موتي وغسلوني وكفنوني وحملوني على الجنازة، فمرت الجنازة عليه ونساء خلفي يصرخن، فقال

---

(١) يعني: المستشفى.

لهم: إن صاحبكم حي فدعوني أعالجه، فصاحوا عليه، فقال لهم الناس: دعوه يعالجه، فإن عاش وإلاَّ فلا ضرر عليكم، فقالوا: نخاف أن تصير فضيحة، فقال: على أن لا تصير فضيحة، قالوا: فإن صرنا؟ قال: حكم السلطان في أمري، وإن برأ فأي شيء لي؟ قالوا: ما شئت. قال: ديته. قالوا: لا نملك ذلك، فرضي منهم بمال أجابه الورثة إليه، وحملني فأدخلني الحمام وعالجني، وأفقت في الساعة الرابعة والعشرين من ذلك الوقت، ووقعت البشائر، ودفع إليه المال، فقلت للطبيب بعد ذلك: من أين عرفت هذا؟ فقال: رأيت رجليك في الكفن منتصبة وأرجل الميت منبسطة ولا يجوز انتصابها، فعلمت أنك حي، وخمنت أنك أسكت وجربت عليك، فصحت تجربتي.

٢٣٣ - عن أبي القاسم الجهني: أن حظية لبعض الخلفاء أظنه الرشيد قامت لتتمطى، فلما تمطت جاءت لترد يدها فلم تقدر وبقيتا حافتين، فصاحت وآلمها ذلك، وبلغ الخليفة فدخل وشاهد من أمرها ما أقلقه وشاور الأطباء، فكل قال شيئًا واستعمله فلم ينجح، وبقيت الجارية على تلك الصورة أيامًا والخليفة قلق بها، فجاءه أحد الأطباء، فقال: ياأمير المؤمنين، لا دواء لها إلا أن يدخل إليها رجل غريب، فيخلو بها ويمرخها مروخًا يعرفه، فأجابه الخليفة إلى ذلك طلبًا لعافيتها، فأحضر الطبيب رجلاً وأخرج من كمه دهنًا وقال: أريد أن تأمر ياأمير المؤمنين بتعريتها حتى أمرخ جميع أعضائها بهذا الدهن، فشق ذلك عليه، ثم أمر أن يفعل ذلك ووضع في نفسه قتل الرجل، وقال للخادم: خذه فأدخله عليها بعد أن تعريها، فعريت الجارية وأقيمت، فلما دخل الرجل وقرب منها سعى إليها، وأومأ إلى فرجها ليمسه، فغطت الجارية فرجها بيدها ولشدة ما داخلها من الحياء والجزع حمي بدنها بانتشار الحرارة

الغريزية، فعاونتها على ما أرادت من تغطية فرجها واستعمال بدنها في ذلك، فلما غطت فرجها قال لها الرجل: قد برأت، فلا تحركي يديك، فأخذه الخادم وجاء به إلى الرشيد، وأخبره الخبر، فقال لها لرشيد: كيف تعمل بمن شاهد فرج حرمتنا، فجذب الطبيب بيده لحية الرجل، فإذا هي ملصقة، فانقلعت، فإذا الشخص جارية، وقال: ياأمير المؤمنين، ما كنت لأبدي حرمتك للرجال، ولكن خشيت أني أكشف لك الخبر، فيتصل بالجارية، فتبطل الحيلة لأني أردت أن أدخل إلى قلبها فزعًا شديدًا بحمى طبعها، ويقودها إلى الحمل على يديها وتحريكها وإعانة الحرارة الغريزية على ذلك، فلم يقع لي غير هذا؟ فأخبرتك به، فأجزل الخليفة جائزته وأصرفه. قال أبوالقاسم: ولهذا استعملت الأطباء في علاج اللقوة الضعيفة الصفعة الشديدة على غفلة من ضد الجانب الملقو ليدخل قلب المصفوع ما يحميه، فيحول وجهه ضرورة بالطبع إلى حيث صفع، فترجع لقوته.

«فراسة النساء»

«فراسة أسماء وفطنتها»

٢٣٤ - عن عبدالله بن الزبير، عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهم قالت: لما توجه رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة ومعه أبوبكر حمّل أبوبكر معه جميع ماله خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم، فأتاني جدي أبوقحافة، وقد ذهب بصره، فقال: أرى هذا والله قد فجعكم بماله مع نفسه، فقلت: كلا ياأبت. قد ترك لنا خيرًا كثيرًا، فعمدت إلى أحجار جعلها في كوة البيت كان أبوبكر يحصل ماله فيها، وغطيت على الأحجار بثوب، ثم جئت به فأخذت بيده ووضعتها على الثوب، وقلت ترك لنا هذا فجعل يجد مس الحجارة من وراء الثوب، فقال: أماإذا ترك لكم هذا، فنعم. ولا والله ما ترك لنا قليلاً ولا كثيراً.

٢٣٥ ـ عن ابن أبي الزناد قال: كان عند أسماء بنت أبي بكر قميص رسول الله ﷺ، فلما قتل عبدالله بن الزبير ذهب القميص فيما ذهب وفيما انتهت، فقالت أسماء، للقميص أشد عليَّ من قتل عبدالله، فوجد القميص عند رجل من أهل الشام، فقال: لا أردّه أو تستغفر لي أسماء، فقيل لها: قالت كيف أستغفر لقاتل عبدالله. قالوا: أفليس يرد القميص. قالت: قولوا له فليجيء، فجاء بالقميص ومعه عبدالله بن عروة، فقالت: ادفع القميص إلى عبدالله، فدفعه. فقالت: قبضت القميص ياعبدالله؟ قال: نعم. قالت: غفر الله لك ياعبدالله، وإنما عنت عبدالله بن عروة.

«فطنة وذكاء عائشة»

٢٣٦ ـ عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: قلت يارسول الله: أرأيت لو نزلت واديًا فيه شجر أكل منه، ووجدت شجرًا لم يؤكل منها. في أيها كنت ترتع بعيرك؟ قال: «في التي لم يرتع منها» تعني: أن النبي ﷺ لم يتزوج بكرًا غيرها. [رواه البخاري].

«فطنة فتاة عربية»

٢٣٧ ـ عن رجل من تغلب قال: كان فينا رجل له ابنة شابة، وكان له ابن أخ يهواها وتهواه، فمكثا كذلك دهرًا، ثم أن الجارية خطبها بعض الأشراف فأرغب في المهر، فأنعم أبوالجارية، واجتمع القوم للخطبة، فقالت الجارية لأمها: ياأماه: ما يمنع أن يزوجني من ابن عمي؟ قالت: أمر كان مقضيًا. قالت: والله ما أحسن رباه صغيرًا، ثم تدعوه كبيرًا، ثم قالت لها: ياأماه: إني والله حامل، فاكتمي إن شئت أو نوحي، فأرسلت

الأم إلى الأب، فأخبرته الخبر، فقال اكتمي هذا الأمر، ثم خرج إلى القوم، فقال: ياهؤلاء إني كنت أجبتكم، وأنه قد حدث أمر رجوت أن يكون فيه الأجر وأنا أشهدكم أني قد زوجت ابنتي فلانة من ابن أخي فلان، فلما انقضى ذلك قال الشيخ: ادخلوها عليه، فقالت الجارية: هي بالرحمن كافرة إن دخل عليها من سنة أو تبين حملها. قال: فما دخل عليها إلاَّ بعد حول، فعلم أبوها أنها احتالت عليه.

«فراسة بنت ذي الغصة»

٢٣٨ - عن عبدالله بن مصعب قال، قال عمر بن الخطاب: لا تزيدوا في مهر النساء على أربعين أوقية، وإن كانت بنت ذي الغصة يعني يزيد بن الحصين الصحابي الحارقي، فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال، فقالت امرأة من صف النساء طويلة في أنفها فطس ما ذاك لك. قال: ولم؟ قالت: لأن الله عز وجل قال: ﴿**وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً فَلاَ تَأْخَذُوا منه شيئًا أتأخذونه بُهْتَانًا وإثْمًا مبينًا**﴾. [سورة النساء، الآية: ٢٠].

قالت عمر: أصابت امرأة ورجل أخطأ.

«فراسة امرأة عمران بن حطان»

٢٣٩ - قال أبوالحسن المدائني: دخل عمران بن حطان يومًا على امرأته. وكان عمران قبيحًا ذميمًا قصيرًا، وقد تزينت، وكانت امرأة حسناء، فلما نظر إليها ازدادت في عينه جمالاً وحسنًا، فلم يتمالك أن يديم النظر إليها، فقالت: ما شأنك؟ قال: لقد أصبحت والله جميلة. فقالت: أبشر فإني وإياك في الجنة. قال: ومن أين علمت ذلك؟ قالت: لأنك أعطيت مثلي فشكرت، وابتليت بمثلك فصبرت، والصابر والشاكر في الجنة.

«فراسة امرأة عجوز»

٢٤٠ ـ قال أبوجعفر محمد بن الفضل الضميري: كان في بلدنا عجوز صالحة كثيرة الصيام والصلاة، وكان لها ابن صيرفي منهمك على الشرب واللعب، وكان يتشاغل بدكانه أكثر نهاره، ثم يعود إلى منزله، فيخبأ كيسه عند والدته، فدخل إلى الدار لص وهو لا يعلم، فاختبأ فيها، وسلم الإبن كيسه إلى أمه وخرج وبقيت هي وحدها في الدار، وكان لها في دارها بيت مؤزر بالساج عليه باب من حديد تجعل قماشها فيه والكيس، فخبأت الكيس فيه خلف الباب وجلست فافطرت بين يديه، فقال اللص: الساعة تقفله وتنام، وأنزل وأقلع الباب وآخذ الكيس، فلما أفطرت قامت تصلي ومدت الصلاة ومضى نصف الليل وتحير اللص، وخاف أن يدركه الصبح، فطاف في الدار فوجد إزارًا جديدًا وبخور فاتزر بالإزار، وأوقد البخور وأقبل ينزل على الدرجة، ويصيح بصوت غليظ ليفزع العجوز، وكانت جلدة، ففطنت أنه لص، فقالت: من هذا بارتعاد وفزع؟ فقال: أنا جبريل رسول رب العالمين أرسلني إلى إبنك هذا الفاسق لأعظه وأعامله بما يمنعه عن ارتكاب المعاصي، فأظهرت أنها قد غشي عليها من الفزع، وأقبلت تقول: ياجبريل سألتك ألا رفقت به، فإنه وحيدي، فقال اللص: ما أرسلت لقتله. قالت: فيم أرسلت؟ قال لأخذ كيسه وأؤلم قلبه بذلك، فإذا تاب رددته عليه، فقالت ياجبريل، شأنك وما أمرت به، فقال: تنحي عن باب البيت، وفتح هو الباب ودخل ليأخذ الكيس والقماش، واشتغل في تكويره فمشت العجوز قليلاً قليلاً وجذبت الباب وجعلت الحلقة في الرزة، وجاءت بقفل فقفلته،

فنظر اللص إلى الموت ورام حيلة، نقب أو منقذ، فلم يجد، فقال افتحي لأخرج فقد اتعظ ابنك، فقالت: ياجبريل، أخاف أن أفتح الباب، فتذهب عيني من ملاحظة نورك، فقال: إني أطفيء نوري حتى لا يذهب بعينيك. فقالت ياجبريل، ما يعوزك أن تخرج من السقف أو تخرق الحائط بريشة من جناحك ولا تكلفني أنا لتغوير بصري، فأحس اللص أنها جلدة، فأخذ يرفق بها ويداريها ويبذل التوبة، فقالت: دع عنك هذا لا سبيل إلى الخروج إلاَّ بالنهار، وقامت فصلت، وهو يسألها حتى طلعت الشمس، وجاء ابنها وعرف خبرها، وحدثته الحديث، فأحضر صاحب الشرطة وفتح الباب وقبض على اللص.

٢٤١ ـ قال علي بن الجهم: اشتريت جارية، فقلت لها: ما أحسبك إلا بكرًا فقالت: ياسيدي، كثرت الفتوح في زمان الواثق، وقلت لها ليلة كم بيننا وبين الصبح؟ قالت عناق مشتاق، ونظرت إلى الشمس كاسفة، فقالت: احتشمت محاسني، فانتقبت. وقلت لها ليلة نجعل مجلسنا الليلة في القمر، فقالت: ما أولعك بالجمع بين الضرائر، وكانت تكره الحلي وتقول: تستر المحاسن كما تغطي القبائح.

٢٤٢ ـ عرض على المتوكل جارية، فقال لها: أبكرًا أنت أم إيش؟ فقالت: أم إيش ياأمير المؤمنين، فضحك وابتاعها.

٢٤٣ وضع المعتضد رأسه في حجر بعض جواريه، فجعلت تحت رأسه مخدة ونهضت، فلما انتبه قال: لم فعلت ذاك وأكبره؟ فقالت: كذا علمنا أن لا يقعد قاعد بحضرةمن ينام، ولا ينام بحضرة قاعد، فاستحسن المتعضد ذلك منها وستعقلها.

٢٤٤ ـ ونقلت من خط الشيخ أبي الوفاء بن عقيل قال: كان بعض قضاة الحنفية من مذهبه. أنه إذا ارتاب بالشهود فرقهم، فشهد عنده رجل وامرأتان فيما يشهد فيه النساء، فأراد أن يفرق بين المرأتين على عادته، فقالت

إحداهما أخطأت لأذن الله تعالى قال: ﴿فَتُذَكِّرَ إحداهُما الأُخْرى﴾[1].
فإذا فرقت زال المعنى الذي قصده الشرع، فأمسك.

٢٤٥ ـ ذكر أن رجلاً دعا المبرد بالبصرة مع جماعة، فغنت جارية من وراء الستار، وأنشأت تقول:

وَقالُوا لها هذا حَبيبُك مُعرضًا ... فقالت ألا إعراضُه أيسر الخَطب
فما هي إلاَّ نظرةٌ بتبسُّمٍ ... فتصطك رجلاه ويسقط للجنب

٢٤٦ ـ غضب المأمون يومًا على عبدالله بن طاهر، فأراد ابن طاهر أن يقصده، فورد عليه كتاب من صديق له مقصور على السلام، وفي حاشيته «ياموسى». فجعل يتأمله، ولا يعلم معنى ذلك، فقالت له جارية، وكانت فطنة أراد: ﴿يامُوسى إنَّ الملأ يأْتَمِرُون بِكَ ليقْتُلُوكَ﴾. فتيقظ عن قصد المأمون.

٢٤٧ ـ عرض على رجل جاريتان بكر وثيب، فمال إلى البكر، فقالت الثيب: رغبت فيها وما بيني وبينها إلاَّ يوم؟ فقالت البكر: ﴿وإنَّ يَومًا عند ربكَ كألف سنةٍ مِمَّا تعدُّون﴾. فأعجبتاه فاشتراهما.

٢٤٨ ـ قال الجاحظ قلت لجارية ببغداد أبكر أنت فقالت نعوذ بالله من الكساد يعني الثيوبة. جاءت دلالة إلى قوم، فقالت: عندي زوج يكتب بالحديد ويختم بالزجاج فرضوا به وزوجوه فإذا هو حجام.

٢٤٩ ـ قالت دلالة لرجل: عندي إمرأة كأنها طاقة نرجس، فتزوجها، فإذا هي عجوز قبيحة، فقال: كذبت عليَّ وغششتيني، فقالت: لا والله ما فعلت، وإنما شبهتها بطاقة نرجس، لأن شعرها أبيض ووجهها أصفر وساقها أخضر.

٢٥٠ ـ كان رجل يقف تحت روشن امرأة، وهي تكره وقوفه، قالت: فجاء في بعض الأيام وعليه قميص ديبقي قد غسله عند المطري، وسقاه نشاء وتحته قميص رومي قالت: وكان للناس أترج سوسي في الأترجة ثلاثون رطلاً، فأخرجت بطيخة وأشارت إليه: تعال خذ هذه، فجاء فوقف

تحت الروشن، فقالت: امسك حجرك صلبًا حتى لا يقع فتنكسر، فلزم حجره، فأخرجت البطيخة كأنها ترمي بها، وأخذت أترجة، فرصت بها في حجره، فلم يردها شيء سوى الأرض، فجمعه وهرب مستحيًا وما عاد بعدها.

٢٥١ ـ بكت عجوز على ميت، فقيل لها: بماذا استحق هذا منك؟ فقالت: جاورنا ومافينا إلا من تحل له الصدقة، ومات وما منا إلا من تجب عليه الزكاة.

٢٥٢ ـ كانت جارية لبعض الأكابر وكانت عفيفة، إلاَّ أنها كانت تفحش في مجونها، فقال لها مولاها: اقصري من هذا الفحش بمحضر من الرجال، فقالت افحش منه عندهم أخذك دراهمهم بسببي، وقال لها بعض الحاضرين، وكان شيخًا:

ياأحسن الناس وجْهاً ... مني عليّ بقبلة

فأجابت مسرعة:

ياأسمج الناس وجهاً ... وأسخن الناس مُقلة
إذا سمحت لما رمـ ... ـتَه فإني بذله
وكيف يوجد بين الجـ ... ـمار والحشف وصلة
فلا تطفْ بالغواني ... فما يُردنَك خَمْلةْ
وكلُّ شيخٍ تصابَي ... على الصّبَايا فابْلَهُ

٢٥٣ ـ قال رجل لجارية أراد شراءها، فسألها عن ثمنها فقال: ياجارية، كم دفعوا فيك؟ فقالت: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾.

٢٥٤ ـ وقال: حدثني أبوالقاسم عبدالله بن محمد الكاتب قال: حدثني بعض الأشراف بالكوفة أنه كان بها رجل حسني يعرف بالأدرع، شديد القلب جدًا. قال، وكان في خرائب الكوفة شيء يظهر للمجتازين فيه نار يطول تارة ويقصر أخرى، يقولون هو غولة يفزع منه الناس، فخرج الأدرع

ليلة راكبًا في بعض شأنه. قال لي الأدرع، فاعترض لي السواد والنار، فطال الشخص في وجهي، فأنكرته ثم رجعت إلى نفسي، فقلت اما شيطان وغولة فهوس، وليس إلاَّ إنسانًا، فذكرت الله تعالى وصليت على نبيه ﷺ، وجمعت عنان الفرس وقرعته بالمقرعة وطرحته على الشخص، فازداد طوله وعظم الضوء فيه، فنفر الفرس، فقرعته فطرح نفسه عليه، فقصر الشخص حتى عاد على قدر قامة، فلما كاد الفرس يخالطه ولّى هاربًا، فحركت خلفه، فانتهى إلى خربة، فدخلها، فدخلت خلفه، فإذا هو قد نزل سردابًا فيها، فنزلت عن فرسي وشددته، ونزلت وسيفي مجرد، فحين حصلت في السرداب أحسست بحركة الشخص يريد الفرار مني، فطرحت نفسي عليه، فوقعت يدي على بدن إنسان، فقبضت عليه فأخرجته، فإذا هي جارية سوداء، فقلت: أي شيء أنت وإلا قتلتك الساعة؟ قالت: قبل كل شيء أنت إنسي أم جني، فما رأيت أقوى قلبًا منك قط؟ فقلت: أي شيء أنت؟ قالت: أمة لآل فلان قوم بالكوفة ابقت منهم سنين، فتغربت في هذه الخربة، فولد لي الفكر أن أحتال بهذه الحيلة وأوهم الناس أني غولة حتى لا يقرب الموضع أحد، وأتعرض ليلاً للأحداث، وربما رمى أحدهم منديلاً أو إزاراً، فآخذه فأبيعه نهاراً وأقتات به أيامًا، قلت: فما هذا الشخص الذي يطول ويقصر، والنار التي تظهر؟ قالت: كساء معي طويل أسود، فأخرجته من السرداب وقضبان مهندية أدخل بعضها في بعض في الكساء، وأرفعه فيطول، فإذا أردت تقصيره رفعت من الأنابيب واحدة واحدة فيقصر، والنار فتيلة شمع معي في يدي لا أخرج إلا رأسها مقدار ما يضيء الكساء، وأرتني الشمعة والكساء والأنابيب، ثم قالت: قد جازت هذه الحيلة نيفًا وعشرين سنة، واعترضت فرسان الكوفة وشجعانها، وكل

أحـد، فما أقـدم أحد علي غيرك، ولا رأيت أشد قلبًا منك، فحملها الأدرع إلى الكوفة، فردها إلى مواليها، فكانت تحدث بهذا الحديث، ولم ير بعد ذلك أثر غولة، فعلم أن الحديث حق.

٢٥٥ - قال أبوحامد الخراساني القاضي: بنى ابن عبدالسلام الهاشمي بالبصرة داراً كبيرة، ولم يتم له تربيعها إلَّا بسكن لطيف كان لعجوز في جواره امتنعت من بيعه، فبذل لها أضعاف ثمنه، فأقامت على الامتناع، فشكا إلى ذلك، فقلت: هذا أيسر الأمر. أنا أوجب عليها بيعة فاضطرها إلى أن تسألك وزن الثمن، ثم استدعيتها، فقلت: ياهذه، إن قيمة دارك دون ما دفع لك وقد ضاعفها أضعافًا، فإن لم تقبليه حجزت عليك، لأن هذا تضييع منك، فقالت: جعلت فداك، فهلا كان هذا الحجر منك على من يزن فيها يساوي درهماً عشرة وتركت منزلي، فما أختار بيعه، فانقطعت في يدها.

٢٥٦ - قال المبرد: كان يسار الكواعب عبدالأناس من بني الحرث بن سعد بن قضـاعـة، وكان راعيًا في إبلهم، فبعث ببعض نسائهم، وكان أسود، فخدعته امرأة منهم، ورأته أنها قد قبلته وواعدته ليوم، فعلم به بعض أصحابه من الرعاة، فنهاه عنها، وقال له يايسار! كُلْ من لحم الجوار، واشرب من لبن العشَـار، ودع عنك بنات الأحرار، فقال له يسار: إني إذا جئتها زحكت أراد ضحكت ولا عبتني. فأتاها في اليوم الذي واعدته فيه، فقـالت: مكـانـك حتى أطيبك، فعمدت إليه، فجدعت أنفه وأذنـه، فرجـع إلى صاحبه الذي كان نهاه، فأنكره، فقال: من أنت ويلك؟ قال: يسار. قال: فيسار كان لا أنف له ولا أذنين؟ قال: أفما ترى ويحـك وبيض العينين، فذهبت مثلاً وسمي يسار الكواعب ممن ذكره جرير حين تزوج الفرزدق إحدى نساء بني شيبان، وزاد في مهرها،

فعيّره جرير بذلك فقال:

وإنّي لأخشى إن خطبتَ اليهمُو
عَلَيك الّذي لاَقى يَسارَ الكَواعب

٢٥٧ ـ قال ابن قتيبة: جاءتني جارية بهدية، فقلت لها: قد علم مولاك إني لا أقبل الهدية. قالت: ولم؟ قلت: أخشى أن يستمد مني علمًا لأجل هديته، فقالت: استمد الناس من رسول الله ﷺ أكثر، وقد كان يقبل الهدية، فقبلتها، فكانت الجارية أفقه مني.

٢٥٨ ـ قال وبلغنا أن رجلاً ابتلي بمحبة امرأة، فأتى أباحنيفة، فأخبره أن ماله قليل، وأنهم إن علموا بذلك لم يزوجوه، فقال لهأبوحنيفة: أتبيعني أحليلك بأثني عشر ألف درهم؟ قال: لا. قال: فأخبر القوم أني أعرفك، فمضى فخطبها، فقالوا: من يعرفك، فقال: أبوحنيفة، فسألوا أبا حنيفة عنه، فقال: ماأعرفه إلاَّ أنه حضر عندي يومًا فساوم في سلعة له باثني عشر ألف درهم، فلم يبع، فقالوا: هذا يدل على أنه ذو مال، فزوجوه، فلما تيقنت المرأة حاله قالت: لا يضيق صدرك وهذا مالي بحكمك، ثم مضت إلى أبي حنيفة في حليها وحللها فقالت: فتوى، فدخلت فأسفرت عن وجهها، فقال: تستري، فقالت: ما يمكن قد وقعت في أمر لا يخلصني منه إلاَّ أنت. أنا بنت هذا البقال الذي على رأس الدرب، وقد بلغت عمرًا واحتجت إلى الزوج وهو لا يزوجني، ويقول لمن يخطبني ابنتي عوراء قرعاء شلاء، ثم حسرت عن وجهها ورأسها ويديها. ويقول ابنتي زمنة وكشفت عن ساقيها وأريد أن تدبرني، فقال: ترضين أن تكوني لي زوجة؟ فقبلت قدميه، وقالت: من لي بغلامك، فقال امضي في دعة الله، فخرجت، فحضر البقال ودفع إليه خمسين دينارًا وقال: زوجني ابنتك. فكتب كتابًا بمائة دينار، فقال البقال:

ياسيدي، استر ما ستر الله أنا لي بنت أزوجك. قال: دع هذا عنك رضيت بابنتك القرعاء الشلاء الزمنة، فزوجه على المائة والخمسين ومضى، فحدث زوجته فقالت: والله لا كان إلا يكون هذا إلا على يد أبي حنيفة، فلما كان عشية تلك الليلة أجلسها أبوها في صن وحملها بينه وبين غلامه، فلما رآها أبوحنيفة قال: ما هذا؟ فقال البقال: أشهد على أمها إن كانت لي بنت غيرها، فقال أبوحنيفة: هي طالق ثلاثًا أعد عليَّ الكتاب، ثم جاءت تلك المرأة إليه، فقال: ما حملك على ما فعلت؟ فقالت: وأنت ما حملك على أن غررتنا برجل فقير.

٢٥٩ - قال أبوالحسن البيبي مؤذن المسترشد بالله قال: حدثني بعض التجار المسافرين قال: كنا نجتمع من بلاد شتى في جامع عمرو بن العاص نتحدث، فبينما نحن جلوس يومًا نتحدث، وإذا بامرأة بقربنا في أصل سارية، فقال لها رجل من التجار من البغداديين: ما شأنك؟ فقالت: أنا امرأة وحيدة غاب عني زوجي منذ عشر سنين، ولم أسمع له خبرًا، فقصدت القاضي ليزوجني، فامتنع وما ترك لي زوجي نفقة، وأريد رجلاً غريبًا يشهد لي هو وأصحابه أن زوجي مات أو طلقني لأتزوج أو يقول أنا زوجها، ويطلقني عند القاضي لأصبر مدة العدة، وأتزوج، فقال لها الرجل: تعطيني دينارًا حتى أصيرُ معك إلى القاضي وأذكر له أني زوجك، وأطلقك، فبكت وقال: والله ما أملك غير هذه، وأخرجت أربع رباعيات، فأخذها منها ومضى معها إلى القاضي، وأبطأ علينا، فلما كان من الغد لقيناه، فقلنا: ما أبطأك؟ فقال: دعوني فإني حصلت في أمر ذكره فضيحة. قلنا أخبرنا. قال: حضرت معها إلى القاضي فادعت عليَّ الزوجية والغيبة عشر سنين، وسألت أن أخلي سبيلها، فصدقتها على ذلك، فقال لها القاضي: أتبرئينه؟ قالت: لا. والله لي عليه صداق

ونفقة عشر سنين، وأنا أحق بذلك، فقال لي القاضي: أديها حقها ولك الخيار في طلاقها أو إمساكها، فورد عليَّ ما بلسني، ولم أتجاسر أن أحكي صورتي معها، فلا أصدق، فتقدم القاضي بتسليمي، إلى صاحب الشرطة، فاستقر الأمر على عشرة دنانير أخذتها مني وغرمت للوكلاء وأعوان القاضي الأربع رباعيات التي أعطتني، ومثلها من عندي، فضحكنا منه، فخجل وخرج من مصر، فلم يعرف له خبر.

«فراسة تحسين الألفاظ»

٢٦٠ ـ ومن محاسن الفراسة: أن الرشيد رأى في داره حزمة خيزران. فقال لوزيره الفضل بن الربيع: ما هذه؟ قال: عروق الرماح ياأمير المؤمنين. ولم يقل الخيزران لموافقة اسم أمه.

٢٦١ ـ ونظير هذا: أن بعض الخلفاء سأل ولده ـ وفي يده مسواك ـ ما جمع هذا؟ قال: محاسنك ياأمير المؤمنين.

وهذا من الفراسة في تحسين اللفظ.

وهو باب عظيم. اعتنى به الأكابر والعلماء. وله شواهد كثيرة في السنة، وهو من خاصية العقل والفطنة.

٢٦٢ ـ فقد روينا عن عمر رضي الله عنه: أنه خرج يَعُسُّ المدينة بالليل. فرأى نارًا موقدة في خباء. فوقف وقال: «ياأهل الضوء». وكره أن يقول: ياأهل النار.

وسأل رجلًا عن شيء: «هل كان؟» قال: لا. أطال الله بقاءك، فقال: قد علمتم فلم تتعلموا. هلا قلت: لا، وأطال الله بقاءك؟».

٢٦٣ ـ وسئل العباس: أنت أكبر أم رسول الله ﷺ؟ فقال: هو أكبر مني، وأنا ولدت قبله.

٢٦٤ ـ وروي أنه قال لرجل عرس هل كان؟ فقال: لا أطال الله بقاءك فقال: عمر: قد علمتم فلم تتعلموا. هلا قلت له وأطال الله بقاءك.

٢٦٥ ـ وسئل عن ذلك قباث بن أشيم؟ فقال: رسول الله ﷺ أكبر مني، وأنا أسنّ منه.

٢٦٦ ـ وكان لبعض القضاة جليس أعمى. وكان إذا أراد أن ينهض يقول: ياغلام، اذهب مع أبي محمد. ولا يقول: خذ بيده. قال: والله ما أخلّ بها مرة.

٢٦٧ ـ ومن ألطف ما يحكى فى ذلك: أن بعض الخلفاء سأل رجلاً عن أسمه؟ فقال: سعد ياأمير المؤمنين، فقال: أي السعود أنت؟ قال: سعد السعود لك ياأمير المؤمنين، وسعد الذابح لأعدائك، وسعد بلع على سماطك، وسعد الأخبية لسرك. فأعجبه ذلك.

٢٦٨ ـ ويشبه هذا: أن مَعْن بن زائدة دخل على المنصور. فقارب في خطوه فقال له المنصور: كبرت سنك يامعن. قال: في طاعتك ياأمير المؤمنين.

قال إنك لَجْلد. قال: على أعدائك.

قال وإن فيك لبقية. قال: هي لك.

قول التي هي أحسن.

❁ وأصل هذا الباب: قوله تعالى: ﴿**وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم**﴾ فالشيطان ينزغ بينهم إذا كلم بعضهم بعضًا بغير التي هي أحسن فربَّ حرب وقودها جثث وهام. أهاجها القبيح من الكلام.

❁ وفي الصحيحين من حديث سهل بن حنيف قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقولن أحدكم: خبثت نفسي. ولكن ليقل: لَقَست نفسي».

وخبثت ولقست وغثت متقاربة المعنى.

فكره رسول الله ﷺ لفظ «الخبث» لبشاعته، وأرشدهم إلى العدول إلى لفظ

هو أحسن منه، وإن كان بمعناه تعليمًا للأدب في المنطق، وإرشادًا إلى استعمال الحسن، وهجر القبيح في الأقوال. كما أرشدهم إلى ذلك في الأخلاق والأفعال.

٢٦٩ ـ قال الشيخ وحدثني ابن شبيب المشرف بالمحرز أنه لقي الخليفة المستنجد فقال له الخليفة: أين شتيت؟ قال عندك ياأمير المؤمنين، وأراد الخليفة تصحيف إبن شبيب، وأراد هو تصحيف عبدك.

٢٧٠ ـ عن أبي الفضل الربعي قال: حدثني أبي قال. قال المأمون لعبدالله بن طاهر: أيما أطيب مجلسي أو منزلك؟ قال: ما عدلت به ياأمير المؤمنين. قال: ليس لي إلى هذا، إنما ذهبت إلى الموافقة في العيش واللذة، قال: منزلي ياأمير المؤمنين. قال: ولم ذلك؟ قال: لأني في مالك. وأنا ههنا مملوك.

«ألوان مختلفة من الفراسة»

٢٧١ ـ كان بعض العمال واقفاً على رأس أمير، فأخذه البول. فخرج، فلما جاء قال: أين كنت؟ قال: أصوب الرأي يعني أنه لا رأي لحاقن.

٢٧٢ ـ حدثني بعض الشيوخ قال: سرق من رجل خمسمائة دينار، فحمل المتهمين إلى الوالي، فقال الوالي: أنا ما أضرب أحدًا منكم، بل عندي خيط ممدود في بيت مظلم، فأدخلوا فليمر كل منكم يده عليه من أول الخيط إلى آخره ويلف يده في كمه ويخرج، فإن الخيط يلف على يد الذي سرق، وكان قد سود الخيط بسخام، فدخلوا فكلهم جر يده على الخيط في الظلمة إلا واحد منهم، فلما خرجوا نظر إلى أيديهم مسودة إلا واحد فألزمه بالمال، فأقرَّ به.

٢٧٣ ـ وقيل: رفعت إلى فخر الملك وزير السلطان قصة رجل سعى برجل، فكتب عليها: «السعاية قبيحة وإن كانت نصيحة» «فإن كنت أخرجتها بالنصح فخسرانك فيها أكثر من الربح، وأنا لا أدخل في محظور ولا أسمع قول مهتوك في مستور، ولولا أنك في خفارة شيبتك لقابلتك على جريرتك مقابلة تشبه أفعالك وتردع أمثالك، فاستر على نفسك هذا العيب واتق من يعلم الغيب، فإن الله للصالح والطالح بالمرصاد» وقال الوزير أبومنصور بن جهير يومًا لولد أبي نصر بن الصناع: استعل بآداب وإلا كنت صانعًا بغراب.

٢٧٤ ـ وقال أبوحنيفة: خدعتني امرأة أشارت إلى كيس مطروح في الطريق، فتوهمت أنه لها، فحملته إليها، فقالت احتفظ به حتى يجيء صاحبه.

٢٧٥ ـ لما قتل كسرى وزيره بزر جمهر أراد أن يتزوج إبنته، فقالت للثقات: لو كان ملككم حازمًا لما دخل بين شعاره ودثار مأثوره.

٢٧٦ ـ قال رجل لجارية أراد شراءها: لا يريبك هذا الشيب الذي ترينه فإن عندي قرة عين، فقالت الجارية: أيسركأن عندك عجوزًا مغتلمة.

٢٧٧ ـ قال ابن المبارك بن أحمد: خرج رجل على سبيل الفرجة، فقعد على الجسر، فأقبلت امرأة من جانب الرصافة متوجهة إلى الجانب الغربي، فاستقبلها شاب، فقال لها: رحم الله علي بن الجهم، فقالت المرأة في الحال: رحم الله أباالعلاء المعري وما وقفا ومرا مشرقًا ومغربًا، فتبعت المرأة وقلت لها: إن لم تقولي ما قلتما، وإلا فضحتك وتعلقت بك، فقالت، قال لي الشاب: رحم اللهعلي بن الجهم أراد به قوله:

عيونُ المَهَا بين الرصافَة والجسْرِ
جَلَبْنَ الهَوى مِن حيثُ أدري ولا أدري

وأردت أنا بترحمي على المعري قوله:

فيادارهـا بالحُـزْن مَزَارُهـا قريبٌ ولَـكِـنْ دونَ ذلـك أَهـوالُ

٢٧٨ - ومن المنقول عن ابن المبارك رضي الله عنه: قال ابن حميد: عطس رجل عند ابن المبارك، فلم يحمد الله، فقال له ابن المبارك: أي شيء يقول العاطس إذا عطس؟ قال: الحمد لله. قال: يرحمك الله.

٢٧٩ - ومن المنقول عن ابن عون قال أبوبكر القرشي: حدثنا ابن مثنى أن ابن عون كان في جيش، فخرج رجل من المشركين، فدعا للبراز، فخرج إليه ابن عون وهو متلثم، فقتله ثم إندس فجهد الوالي أن يعرفه فلم يقدر عليه، فنادى مناديه أعزم على من قتل هذا المشرك ألا جاءني، فجاءه ابن عون فقال: وما على الرجل أن يقول أنا قتلته.

٢٨٠ - وعن يحيى بن يزيد قال: جاء شرطي يطلب رجلاً من مجلس ابن عون فقال ياأبا عون فلانًا رأيته قال: ما في كل الأيام يأتينا فذهب وتركه.

٢٨١ - ومن المنقول عن هشام بن الكلبي أخبرنا محمد بن أبي السري قال، قال لي هشام بن الكلبي: حفظت ما لم يحفظ أحد، ونسيت ما لم ينسه أحد كان لي عم يعاتبني على حفظ القرآن، فدخلت بيتًا وحلفت أن لا أخرج منه حتى أحفظ القرآن، فحفظته في ثلاثة أيام ونظرت يومًا في المرآة، فقبضت على لحيتي لآخذ ما دون القبضة فأخذت ما فوق القبضة.

٢٨٢ - عن سهل بن محمد السجستاني قال: وفد علينا عامل من أهل الكوفة لم أر في عمال السلطان بالبصرة أبرع منه، فدخلت مسلماً عليه، فقال ياسجستاني: من أعلمكم بالبصرة؟ قال: الزيادي أعلمنا بعلم الأصمعي، والمازني أعلمنا بالنحو، وهلال الرأي أفقهنا، والشادكوني أعلمنا بالحديث، وأنا رحمك الله أنسل إلى علم القرآن، وابن الكلبي من أكتبنا للشروط، قال، فقال لكاتبه: إذا كان غد فاجمعهم إليَّ، قال،

فجمعنا قال: أيكم المازني؟ قال أبوعثمان: ها أنذا يرحمك الله، قال هل يجزىء في الظهار عتق عبد أعور، فقال المازني: لست صاحب فقه، أنا صاحب عربية، فقال يازيادي: كيف تكتب بين بعل وامرأة خالعها زوجها على الثلث من صداقها قال: ليس هذا من علمي هذا من علم هلال الرأي، قال ياهلال: كم أسند ابن عون عن الحسن؟ قال: ليس هذا من علمي هذا من علم الشادكوني، قال ياشادكوني: من قرأ ألا إنهم يثنون صدورهم، قال ليس هذا من علمي هذا من علم أبي حاتم. فقال ياأباحاتم: كيف تكتب كتابًا إلى أمير المؤمنين تصف فيه خصاصة أهل البصرة، وما أصابهم في الثمرة، وتسأله لهم النظر بالبصرة؟ قال: لست رحمك الله صاحب بدعة وكتابة أنا صاحب قرآن. قال: ما أقبح بالرجل يتعاطى بالعلم خمسين سنة لا يعرف إلا فناً واحدًا حتى إذا سئل من غيره لم يجل فيه، ولم يمر. لكن عالمنا بالكوفة الكسائي لو سئل عن هذا كله لأجاب.

٢٨٣ - عن ابن الليث قال: باع رجل من أهل خراسان جِمَالاً بثلاثين ألف درهم من مرزبان المجوسي وكيل أم جعفر، فمطله بثمنها وحبسه، فطال ذلك على الرجل، فأتى بعض أصحاب حفص بن غياث فشاوروه، فقال: إذهب إليه فقل له: أعطني ألف درهم، وأحيل عليك بالمال الباقي، وأخرج إلى خراسان، فإذا فعل هذا فآتني حتى أشاور عليك، ففعل الرجل، فأتى مرزبان فأعطاه ألف درهم، فرجع إلى الرجل فأخبره فقال: عد إليه فقل له إذا ركبت غدًا فطريقك على القاضي، فأحضر وأوكل رجلاً يقبض المال وأخرج، فإذا جلس إلى القاضي فادع عليه بما بقي لك من المال، ففعل ذلك، فحبسه القاضي فأخرجته أم جعفر وقالت: لهارون قاضيك حبس وكيلي، فمره لا ينظر في الحكم، فأمر لها

بالكتاب، وبلغ حفصًا الخبر فقال للرجل: احضر لي شهودًا حتى أسجل لك على المجوسي قبل ورود كتاب أمير المؤمنين، فحضر، فقال للرجل: مكانك. فلما فرغ من السجل أخذ الكتاب، فقرأه وقال للخادم: اقرأ على أمير المؤمنين السلام، وأخبره أن كتابه ورد، وقد أنفذت الحكم.

٢٨٤ ـ قال ابن الجوزي: وبلغنا أن رجلاً وعظ أميرًا. فأنفذ إليه الأمير مالاً قبله، فلما عاد الرسول قال الأمير: كلنا صياد ولكن الشباك تختلف.

٢٨٥ ـ وقيل: لما خطب السفاح يوم بويع سقطت العصا من يده، فتطير من ذلك، فقام بعض أصحابه فأخذها ومسحها ودعها إليه ثم أنشد:

فألَقَتْ عصاها واستقرت بها النّوى كما قَرَّ عينًا بالإياب المُسافِرُ

فسّر بذلك وسري عنه وأكرمه.

٢٨٦ ـ عن العتبي قال: قال رجل من ولد علي رضي الله عنه لامرأته: أمرك بيدك ثم ندم، فقالت: أما والله لقد كان بيدك عشرين سنة، فأحسنت حفظه وصحبه فلن أضيعه إذا كان بيدي ساعة من نهار، وقد رددته إليك، فأعجب بذلك من قولها وأمسكها.

٢٨٧ ـ مرّ شاعر بنسوة فأعجبه شأنهن، فجعل يقول:

إنَّ النِّساءَ شَياطِينٌ خُلِقْنَ لَنَا نَعُوذُ بالله منْ شَرِّ الشَّياطِينِ

قال، فأجابته واحدة منهن وجعلت تقول:

إنَّ النساء رياحِين خُلِقْنَ لَكُمْ وكُلُّكمُ يَشهي شم الرياحِينِ

٢٨٨ ـ قيل لأعرابي: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت وأرى كل شيء مني في إدبار وإدباري في إقبال.

٢٨٩ ـ عن مهدي بن سابق قال: أقبل أعرابي يريد رجلاً وبين يدي الرجل طبق تين، فلما أبصر الأعرابي غطى التين بكسائه، والأعرابي يلاحظه،

فجلس بين يديه، فقال له الرجل: هل تحسن من القرآن شيئًا؟ قال: نعم. قال: فاقرأ. فقرأ: ﴿والزيتون وطور سنين﴾. قال الرجل: فأين التين؟ قال: التين تحت كسائك.

٢٩٠ ـ قال أبوبكر الصولي: حدثنا أبو العيناء قال: كان الأفشين يحسد أبا دلف ويبغضه للفروسية والشجاعة، فاحتال عليه حتى شهد عليه عنده بخيانة وقتل، فاحضر السيَّاف، فبلغ ابن أبي داود، فركب مع من حضر من عدوله، فدخل على الأفشين، ثم قال: إني رسول أمير المؤمنين إليك، وقد أمرك أن لا تحدث في القاسم بن عيسى حدثًا حتى تحمله إليه مسلَّماً، ثم التفت إلى العدول فقال: اشهدوا إني قد أديت الرسالة عن أمير المؤمنين إليه، فلم يقدم الأفشين عليه وسار ابن أبي داود إلى المعتصم، فقال: ياأمير المؤمنين، لقد أديت عنك رسالة لم تقلها لي ما أعتد بعمل خير منها، وإني لأرجو لك الجنة بها، ثم أخبره الخبر، فصوب رأيه ووجه من أحضر القاسم، فأطلقه ووهب له، وعنف الأفشين فيما عزم عليه.

٢٩١ ـ عن التنوخي عن أبي قال: سمعت قاضي القضاة بالسائب يقول: كان ببلدنا رجل مستور الحال. فأحب القاضي قبول قوله، فسأل عنه فَزُكّي عنده سرًا وجهرًا، فراسله في حضور مجلسه لإقامة شهادة، وجلس القاضي وحضر الرجل، فلما أراد إقامة الشهادة لم يقبله القاضي، فسئل عن السبب؟ فقال: انكشف لي أنه مُراءٍ، فلم يسعني قبول قوله، فقيل له: ومن أين علمت ذلك؟ قال: كان يدخل إليَّ في كل يوم فأعد خطاه من حيث تقع عيني عليه من الباب إلى مجلسي، فلما دعوته اليوم جاء، فعددت خطاه من ذلك المكان، فإذا هي قد زادت ثلاثًا أو نحوها، فعلمت أنه متصنع فلم أقبله.

٢٩٢ ـ وأحضر بعض الولاة شخصين متهمين بسرقة، فأمر أن يؤتى بكوز من ماء، فأخذه بيده ثم ألقاه عمدًا فانكسر، فارتاع أحدهما، وثبت الآخر فلم يتغير. فقال للذي انزعج: اذهب. وقال للآخر: أحضر العملة فقيل له: ومن أين عرفت ذلك؟ فقال: اللص قوي القلب لا ينزعج. والبريء يرى أنه لو تحركت في البيت فأرة لأزعجته، ومنعته من السرقة.

٢٩٣ ـ حدثنا المدائني قال: كان المطلب بن محمد الحنظبي على قضاء مكة، وكان عنده امرأة قد مات عندها أربع أزواج، فمرض مرض الموت، فجلست عند رأسه تبكي، وقالت: إلى من توصي بي؟ قال: إلى السادس الشقي.

٢٩٤ ـ حارب قوم ومعهم فيلة، فقهروا عدوهم، فأشار على العدو رجل أن يحملوا خنزيرًا وأن يضربوه، فلما سمعت الفيلة صوته هربت.

٢٩٥ ـ جاء رجل معه هر تحت حضنه ومشي بسيفه إلى الفيل، فلما دنا منه رمى بالهر في وجهه، فأدبر الفيل هاربًا، وتساقط من كان فوقه فكبّر المسلمون وكان سبب الهزيمة.

«فطنة وذكاء الإمام البخاري»

٢٩٦ ـ قال الحافظ أبو أحمد بن عدي ـ كما في التاريخ ٢/ ٢٠ ـ ٢١، وجذوة المقتبس ١٢٨ ـ ١٢٩، والوفيات ١/ ٦٤٩، والطبقات ٢/ ٦، والمقدمة ٢/ ٢٠٠ ـ: «سمعت عدة مشايخ يحكون: أن محمد بن إسماعيل البخاري قدم بغداد، فسمع به أصحاب الحديث: فاجتمعوا وأرادوا امتحان حفظه؛ فعمدوا إلى مائة حديث، فقلبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر وإسناد هذا المتن لمتن آخر. ودفعوا إلى عشرة أنفس: إلى كل رجل عشرة أحاديث؛ وأمروهم إذا حضروا

المجلس: أن يلقوا ذلك على البخاري. وأخذوا الموعد للمجلس. فحضر المجلس جماعة أصحاب الحديث من الغرباء ـ من أهل خراسان وغيرها ـ ومن البغداديين. فلما اطمأن المجلس بأهله: انتدب إليه رجل من العشرة، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث. فقال البخاري: لا أعرفه. فسأله عن آخر، فقال لا أعرفه. فما زال يلقي عليه واحدًا بعد واحد، حتى فرغ من عشرته؛ والبخاري يقول: لا أعرفه. فكان الفهماء ممن حضر المجلس، يلتفت بعضهم إلى بعض، ويقولون: الرجل فهم. ومن كان منهم غير ذلك، يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم. ثم انتدب رجل آخر من العشرة، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة. فقال البخاري: لا أعرفه. فسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه. فلم يزل يلقي عليه واحدًا بعد آخر، حتى فرغ من عشرته؛ والبخاري يقول: لا أعرفه. ثم انتدب إليه الثالث والرابع إلى تمام العشرة، حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة؛ والبخاري لا يزيدهم على «لا أعرفه». فلما علم البخاري أنهم قد فرغوا: التفت إلى الأول منهم، فقال: أما حديثك الأول فقلت كذا؛ وصوابه كذا وحديثك الثاني [قلت] كذا، وصوابه كذا، والثالث والرابع؛ على الولاء، حتى أتى على تمام العشرة. فرد كل متن إلى إسناده، وكل إسناد إلى متنه. وفعل بالآخرين مثل ذلك، ورد متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها، وأسانيدها إلى متونها. فأقر له الناس بالحفظ، وأذعنوا له بالفضل». وذكر مختصرًا في مفتاح السعادة ٢/٥ ـ ٦.

قال الحافظ ابن حجر: «هنا يخضع للبخاري؛ فما العجب من رده الخطأ إلى الصواب: فإنه كان حافظًا. بل العجب من حفظه للخطأ ـ على ترتيب ما ألقوه عليه ـ من مرة واحدة».

وقـد وقع له أيضًا نحو هذا في كل من سمرقند والبصرة: مما تتضمن فوائد أخرى جليلة[1].

«من ذكاء وفراسة علماء العربية»

٢٩٧ ـ عن عيسى بن عمر قال: ولي أعرابي البحرين، فجمع يهودها وقال: ما تقـولون في عيسى بن مريم؟ قالوا: نحن قتلناه وصلبناه. قال، فقال الأعرابي: لا جرم، فهل أديتم ديته؟ فقالوا: لا. فقال: والله لا تخرجون من عندي حتى تؤدوا إليَّ ديته، فما خرجوا حتى دفعوها له.

٢٩٨ ـ عن ابن قتيبة قال: كان أبوالعاج على حوالي البصرة، فأتي برجل من النصارى، فقال: ما اسمك؟ فقال: بندار شهر بندار فقال: أنتم ثلاثة وجزية واحدة. لا والله العظيم، فأخذ منه ثلاث جزي.

٢٩٩ ـ قال: وولي تبالة، فصعد المنبر فما حمد الله ولا أثنى عليه حتى قال: إن الأمير ولاني بلدكم وإني والله ما أعرف من الحق موضع صوتي هذا، ولن أوتي بظالم ولا مظلوم إلا أوجعتهما ضربًا، فكانوا يتعاطون الحق بينهم ولا يرتفعون إليه.

٣٠٠ ـ استـأذن حاجب بن زرارة على كسرى، فقال له الحاجب: من أنت؟ قال: أنا رجل من العرب، فأذن له، فلما وقف بين يديه قال له: من أنت؟ قال: سيد العرب. قال: ألم تقل للحاجب أنا رجل منهم؟ قال: بلى ولكنني وقفت بـباب الملك وأنا رجل منهم، فلما وصلت إلى الملك سدتهم، فقال كسرىٰ زه احشوا فاه درا.

٣٠١ ـ قال الجاحظ. قال رجل لأعرابي: أتهمز اسرائيل؟ قال: إني إذن لرجل

---

(١) انظر: الطبقات، والمقدمة، والتاريخ ٢/١٥، والبداية ١١/٢٥.

سوء. قال: تَجُرّ فلسطين؟ قال: إني إذن لقوي، قال: كتب أبوصاعد الشاعر إلى الغنوي رقعة فيها:

رأيت في النوم أني مالكٌ فرسًا ... ولي نصيف وفي كفّي دنانيرُ
فقال قومٌ لهم عِلْمٌ ومَعْرِفَةٌ ... رأيت خيراً وللأحلام تفسيرُ
أقْصِصْ مَنامَك في دَارِ الأمير تَجِدْ ... تحقيقَ ذاك وللفَال التباشيرُ

فلما قرأها كتب في ظهرها: ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾.

٣٠٢ ـ قال أنشد رجل أباعثمان المازني شعرًا له. قال: كيف تراه؟ قال: أراك قد عملت عملاً بإخراج هذا من جوفك، لأنك لو تركته لأورثك الشك.

٣٠٣ ـ قيل: نزل أعرابي في سفينة، فاحتاج إلى البراز، فصاح الصلاة الصلاة، فقربوا إلى الشط، فخرج فقضى حاجته، ثم رجع، قال: ادفعوا فصلاتكم بعد وقت.

٣٠٤ ـ وقف أعرابي على قوم فسألهم عن أسمائهم، فقال أحدهم: إسمي وثيق، وقال الآخر: منيع، وقال الآخر: إسمي ثابت، وقال الآخر: اسمي شديد. فقال الأعرابي: ما أظن الأقفال عملت إلا من أسمائكم.

٣٠٥ ـ قال هشام بن عبدالملك يومًا لأصحابه: من يسبني ولا يفحش وهذا المطرف له؟ وكان فيهم أعرابي، فقال: ألقه ياأحول، فقال: خذه قاتلك الله.

٣٠٦ ـ وقف أبوالعيناء على باب صاعد، فقيل له: هو يصلي فانصرف وعاد، فقيل له: في الصلاة، فقال: لكل جديد لذة.

٣٠٧ سئل الحسن: لأي شيء استحب صوم أيام البيض؟ فقال: لا أدري. فقال أعرابي في حلقته: لكني أدري. قال: وما هو؟ قال: لأن القمر لا

ينكسف إلاَّ فيهن، فأحب الله عز وجل أن لا يحدث في السماء أمر إلا حدثت له في الأرض عبادة.

٣٠٨ - حضر أعرابي مائدة سليمان بن عبدالملك، فجعل يمد يديه، فقال له الحاجب كُلْ مما بين يديك، فقال: من أجدب انتجع، فشق ذلك على سليمان وقال: لا يعد إلينا.

٣٠٩ - ودخل أعرابي آخر، فمد يديه، فقال له الحاجب: كُلْ مما يليك. فقال: من أخصب تخير، فأعجب ذلك سليمان وقضى حوائجه.

٣١٠ - حدث ابن المدبر قال: إنفرد الرشيد، وعيسى بن جعفر بن المنصور، والفضل بن الربيع في طريق الصيد، فلقوا أعرابيًا فصيحاً، فولع به عيسى إلى أن قال له: ياابن الزانية. فقال له: بئس ما قلت قد وجب عليك ردها أو العوض، فارض بهذين المليحين يحكمان بيننا. قال عيسى: قد رضيت، فقالا للأعرابي: خذ منه دانقين عوضاً من شتمك، فقال: هذا الحكم؟ قال: نعم. قال: فهذا درهم خذوه، وأمكم جميعًا زانية، وقد أرجحت لكم بدل ما وجب لي عليكم، فغلب عليهم الضحك، وما كان لهم سرور في ذاك النهار إلا حديث الأعرابي، وضمه الرشيد إلى خاصته.

٣١١ - سمع أعرابي رجلاً يروي عن ابن عباس أنه قال: من نوي حجة وعاقه عنها عائق كتبت له. فقال الأعرابي: ما وقع العام كراء أرخص من هذا.

٣١٢ - نظر أعرابي إلى البدر في رمضان فقال: سمنت فأهزلتني أراني الله فيك السبل.

٣١٣ - ودعا أعرابي على عامل، فقال: صب الله عليك الصادات. يعني الصفع والصرف والصلب.

٣١٤ - وقال أعرابي: اللهم من ظلمني مرة فأجزه، ومن ظلمني مرتين فأجزني

وأجزه، ومن ظلمني ثلاث مرات فأجزني ولا تجزه.

٣١٥ ـ وقال أعرابي لامرأته: أين بلغت قدركم؟ قالت: قد قام خطيبها تعني الغليان.

٣١٦ ـ وقف المهدي على عجوز من العرب، فقال لها: ممن أنت؟ قالت: من طيىء، فقال: ما منع طيئًا أن يكون فيهم آخر مثل حاتم، فقالت مسرعة: الذي منع الملوك أن يكون فيهم مثلك، فعجب من سرعة جوابها وأمر لها بصلة.

٣١٧ ـ وقال الأصمعي: سألت أعرابية عن ولدها كنت أعرفه، فقالت مات والله وقد آمتني الله بفقده المصائب ثم قالت:

وكُنْتُ أخافُ الدَّهْرَ ما كان باقيًا فلمَّا تولَّى ماتَ خَوْفي مِنَ الـدَّهْـرِ

٣١٨ ـ سمع ابن الأعرابي رجلاً يقول: أتوسل إليكم بعلي ومعاوية. فقال له: جمعت بين ساكنين.

«فراسة وذكاء الصبيان»

٣١٩ ـ قال بشر بن الحرث: أتيت باب المعافي بن عمران، فدققت الباب فقيل لي: من؟ قلت: بشر الحافي. قالت لي بنية من داخل الدار: لو اشتريت نعلاً بدانقين ذهب عنك اسم الحافي.

٣٢٠ ـ وبلغنا أن المعتصم ركب إلى خاقان يعوده، والفتح صبي يومئذ، فقال له المعتصم: أيما أحسن دار أمير المؤمنين أو دار أبيك؟ قال: إذا كان أمير المؤمنين في دار أبي أحسن، فأراه فصاً في يده، فقال: هل رأيت يافتح أحسن من هذا الفص؟ فقال: نعم اليد التي هو فيها.

٣٢١ ـ بلغنا أن إلياس بن معاوية تقدم وهو صبي إلى قاضي دمشق ومعه شيخ، فقال أصلح الله القاضي هذا الشيخ ظلمني واعتدى عليَّ وأخذ مالي فقال

القاضي: أرفق به ولا تستقبل الشيخ بمثل هذا الكلام، فقال إياس: أصلح الله القاضي إن الحق أكبر مني ومنه ومنك. قال: اسكت. قال: إن سكت فمن يقوم بحجتي؟ قال: تكلم بخير، فقال: لا إلـه إلاَّ الله وحده لا شريك له، فرفع صاحب الخبر هذا الخبر، فعزل القاضي وولي إياس مكانه.

٣٢٢ ـ نظر المأمون إلى ابن صغير له في يده دفتر، فقال: ما هذا بيدك؟ فقال: بعض ما تسجل به الفطنة وينبه من الغفلة ويؤنس من الوحشة، فقال المأمون: الحمد لله الذي رزقني من ولدي من ينظر بعين عقله أكثر ما ينظر بعين جسمه وسنه.

٣٢٣ ـ قال الفـرزدق لغـلام حدث: أيسرك أنّي أبوك؟ قال: لا، ولكن أمي ليصيب أبي من أطايبك.

٣٢٤ ـ قعد صبي مع قوم يأكلون، فبكى، قالوا: ما لك تبكي؟ قال: الطعام حار، قالوا: فدعه حتى يبرد. قال: أنتم لا تدعونه.

٣٢٥ ـ قال الأصمعي قلت لغلام حدث السن من أولاد العرب: أيسرك أن يكـون لك مائة ألف درهم وأنك أحمق؟ فقال: لا والله. قلت: ولِمَ؟ قال: أخاف أن يجني عليَّ حمقي جناية تذهب مالي ويبقى عليَّ حمقي.

٣٢٦ ـ بلغنـا أن صبياً لقي رجلاً عاقلاً فقال له: إلى أين تمضي؟ فقال: إلى المطبق. قال: أوسع خطوتك.

٣٢٧ ـ أدخل على الرشيد صبي له أربع سنين، فقال له: ما تحب أن أهب لك؟ قال: حسن رأيك.

٣٢٨ ـ خرج أمير ومعه رجل فيه ذكاء، فبينما هم على الغداء قال للأمير اركب فقد لحقنا العدو. قال: كيف وما يرى أحد؟ قال: اركب عاجلاً، فإن الأمـر أسرع مما تحسب، فركب وركب النـاس، فلاحت الغبرة وطلع

عليهم سرعان الخيل، فعجب الأمير، وقال: كيف علمت؟ قال: أما رأيت الوحش مقبلة علينا، ومن شأن الوحوش الهرب منا، فعلمت أنها لم تدع عاداتها إلا لأمر قد دهمها. والله الموفق.

«فراسة المعبّرين»[1]

٣٢٩ ـ يُروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولى قاضيا في الشام فسافر يوما عن مكة فرأى كأن الشمس والقمر يتقابلان والكواكب بعضها مع الشمس وبعضها مع القمر وأنه صار كوكبا فعاد ليقص رؤياه على عمر رضى الله عنه، فلما أقبل عليه قال: لم عدت من طريقك؟ قال: رأيت رؤيا عدت لأقصها على أمير المؤمنين فقال له عمر رضى الله عنه: ماذا رأيت؟ فقص عليه ما رأه على صيغته فقال له عمر رضى الله عنه: لما رأيت أنك كنت كوكبا فرأيت نفسك مع الشمس أو مع القمر قال: مع القمر قال: فانطلق ولا تعمل لي عملاً أبدا، فلما خرج من عنده قال عمر لأصحابه، وإن صدقت رؤياه يكون خارجا مع من ليس له ظفر علينا[2]. فلما كانت واقعة صفين قتل الرجل مع أهل الشام.

٣٣٠ ـ رأى رجل الحسن البصري كأنه لابسٌ لباسَ صوف وفي وسطه كسيتج، وفي رجليه قيد، وعليه طيلسان عسلي، وهو قائم على مزبلة، وفي يده طنبور يضرب به، وهو مستند إلى الكعبة، فبلغ ذلك ابن سيرين فقال: أما درعه الصوف فزهده، وأما كسيتجه فقوته في دين الله، وأما عسليه

---

(١) انظر كتابنا «البشرى في تعبير الرؤيا».

(٢) استدل عمر رضي الله عنه بدلالة من الكتاب وهي قوله تعالى: ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا النهار مبصرة﴾[سورة الإسراء، الآية: ١٢].

محبة القرآن وتفسيره للناس، وأما قيده فثباته في ورعه، وأما قيامه على المزبلة فدنيا جعلها تحت قدمه، وأما ضربه الطنبور فنشره حكمته بين الناس، وأما استناده إلى الكعبة فالتجاؤه إلى الله عز وجل.

٣٣١ ـ روى أن امرأة جاءت إلى ابن سيرين فقالت: رأيت في حجرتي لؤلؤتين إحداهما أعظم من الأخرى فسألتني أختي إعطاء إحدى اللؤلؤتين فأعطيتها الصغرى قال: إن صدقت رؤياك فإنك تعلمت سورتين إحداهما أطول من الأخرى وعلمت أختك القصيرة. قالت: صدقت.

٣٣٢ ـ لما قبض النبي ﷺ وارتدت العرب فخرج الطفيل الدوسي مع المسلمين وساروا حتى فرغوا من طليحة وأرض نجد كلها إلى أن وصلوا إلى اليمامة، فرأى كأن رأسه حلقت فخرج من فيه طائر، وكأن امرأة أدخلته في فرجها وابنه يطلبه طلبًا حثيثًا، وأنه حبس فيه فَقَصَّ رؤياه على أصحابه فقالوا: خيراً. فقال أعبر هذه الرؤيا: أما حلق رأسي فوضعه، وأما الطائر الذي خرج من فمي فروحي، والمرأة التي أدخلتني في فرجها فهي الأرض، وحبسي فيه هو القبر الذي ألبث فيه، والولد الذي يطلبني فربما يصيبه ما أصابني، فقتل الطفيل شهيدًا ثم أصاب ولده كذلك عام اليرموك.

٣٣٣ ـ وحكى أن وكيعا كان مع قتيبة لما سار من الرى إلى خراسان فرأى وكيع في منامه كأنه هدم شرف مدينته ونسفها فسأل المعبر فقال: أشراف يسقطون من جاههم على يدك ويوسمون فكان كذلك.

٣٣٤ ـ وحكى أن امرأة أتت ابن سيرين فقالت: رأيت في المنام أسكفه بابي العليا وقعت على السفلى ورأيت المصراعين قد سقطا فوقع أحدهما خارج البيت والآخر داخل البيت فقال لها: ألك زوج وولدان غائبان؟ قالت: نعم. فقال: أما سقوط الأسكفة العليا فقدوم زوجك سريعا، وأما وقوع

المصراع خارجا فإن ابنك يتزوج امرأة غريبة فلم تلبث إلا قليلاً حتى قدم زوجها وابنها مع ابنة غريبة.

٣٣٥ - وحكى أن رجلاً أتى ابن عباسٍ فقال: رأيت كأني أدليت دلوا في بئر وامتلأ ثلثا الدلو وبقي الثلث فقال: غبت عن أهلك منذ ستة أشهر امرأتك حامل وستلد لك غلاما فقال: ما الدليل؟ فقال: لأني جعلت البئر امرأة والبشارة التي كانت في الجُبِّ كان يوسف عليه السلام فعلمت أنه غلام وأما ثلثا الدلو فستة أشهر والثلث الباقي ثلاثة أشهر. فقال: صدقت قد ورد كتابها بأنها حاملٌ منذ ستة أشهر.

٣٣٦ - وحكى أن رجلاً رأى في منامه كأنه بال في المحراب فسأل معبر. فقال: يولد لك غلاما يصير إماما يقتدى به.

٣٣٧ - وحكى أن رجلاً أتى ابن سيرين فذكر له أنه ينكح أمه فلما فرغ منها نكح أخته وكان يمينه قطعت فكتب ابن سيرين جوابه في رقعة حياءً من أن يكلم الرجل بذلك فقال: هذا عاق قاطع للرحم بخيل بالمعروف مسيء إلى والدته وأخته.

٣٣٨ - وحكى أن رجلاً أتى ابن سيرين فقال: رأيت كأن رجلاً قائماً وسط المسجد يعني مسجد البصرة متجردًا بيده سيف يضرب به صخرة فيفلقها فقال له ابن سيرين: ينبغي أن يكون هذا الرجل الحسن البصري فقال الرجل: هو والله هو. فقال ابن سيرين: قد علمت أنه الذي تجرد في الدين يعني لموضع المسجد وإن سيفه الذي كان يضرب به لسانه الذي يفلق بلسانه الحجر بالحق في الدين.

٣٣٩ - وسئل ابن سيرين عن رجل رأى كأن عليه رداءً جديدًا من برد يمان قد تخرقت حواشيه فقال: هذا رجل قد تعلم شيئًا من القرآن ثم نسيه.

٣٤٠ - وحكى أن رجلاً أتى ابن سيرين فقال: رأيت كأني استسقيت ماءً فأتيت

بقدح ماء فوضعته على كفي فانكسر القدح وبقي الماء في كفي فقال له: ألك امرأة؟ قال: نعم. قال: هل بها حبل؟ قال: نعم. قال: فإنها تلد فتموت ويبقى الولد على يدك فكان كما قال.

٣٤١ ـ وحكى أن رجلاً أتى ابن سيرين فقال: رأيت فخذي حمراء وعليها شعر نابتٌ وأمرت رجلاً فقص ذلك الشعر. فقال: أنت رجل عليك دين يؤديه عنك رجلٌ من قرابتك.

٣٤٢ ـ وحكى أن هارون الرشيد رأى ملك الموت عليه السلام قد مثل له فقال له: ياملك الموت كم بقى من عمرى فأشار إليه بخمس أصابع كفه مبسوطة فانتبه مذعورًا باكيًا من رؤياه وقصها على حجام موصوف بالتعبير فقال: ياأمير المؤمنين قد أخبرك أن خمسة أشياء علمها عند الله تجمعها هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ..﴾ [لقمان: ٣٤] فضحك هارون وفرح بذلك.

٣٤٣ ـ ويحكى أن رجلاً أتى ابن سيرين فقال: رأيت كأني أشرب من قلة ضيقة الرأس. قال: تراود جارية عن نفسها.

٣٤٤ ـ وسئل ابن سيرين عن رجل أخذ جَرَّةً وأوثق فيها حبلا وأدلاها في ركيه فلما امتلأت الجرة انحل الحبل وسقطت الجرة، فقال: الحبل ميثاق والجرة امرأة والماء فتنة والركية مكرٌ وهذا رجلٌ بعثه صاحب له يخطب له امرأة فمكر الرجل وتزوجها.

٣٤٥ ـ وحكى أن رجلاً أتى ابن سرين فقال: رأيت كأن على رأسي تاجاً من ذهب فقال: إن أباك في غرفة قد ذهب بصره فورد عليه الكتاب بذلك.

٣٤٦ ـ وحكى أن امرأة اتت معبرًا فقالت: رأيت كأن لي طستًا من ذهب ابريز فانكسرت واندفعت في الأرض فطلبتها فلم أجدها فقال: ألكِ عبدٌ مريضٌ أو أمة. قال: نعم. قال: إنه يموت.

٣٤٧ ـ وحكى أن رجلاً أتى ابن سيرين فقال: رأيت كأن حية تسعى وأنا أتبعها فدخلت جحرًا وفي يدى مسحاة فوضعتها على الجحر فقال: أتخطب امرأة؟ قال: نعم. فقال: إنك ستتزوجها وترثها فتزوجها فماتت عن سبعة آلاف درهم.

٣٤٨ ـ ويحكى أن رجلاً أتى ابن سيرين فقال: رأيت كأن على فيل، فقال: الفيل ليس من مراكب المسلمين أخاف أنك على غير الإسلام.

٣٤٩ ـ وحكى أن علي بن عيسى الوزير قبل أن يلي الوزارة رأى كأنه في ظل الشمس في الشتاء راكب فرساً مع لباس حسن وقد تناثرت أسنانه فانتبه فزعًا فقص رؤياه على بعض المعبرين. فقال: أما الفرس فعزٌّ ودولة واللباس الحسن ولاية مرتنة وكونه في ظل الشمس نيله وزارة الملك أو حجابته وعيشه في كنفه وأما انتثار أسنانه فطول عمره.

٣٥٠ ـ وحكى أن رجلاً أتى ابن سيرين فقال: رأيت كأني على فرس قوائمه من حديد فقال: توقع الموت.

٣٥١ ـ وأتت امرأة ابن سيرين فقالت: رأيت كأني قتلت زوجي مع قوم. فقال لها: إنك حملت زوجك على إثم فاتقي الله عز وجل. قالت: صدقت.

«فطنة وفراسة السري»

٣٥٢ ـ عن جعفر الخلدي قال: سمعت الجنيد يقول: سمعت السري يقول: إعتللت بطرسوس علة الذرب، فدخل عليّ هؤلاء القراء يعودوني، فجلسوا فأطالوا فآذاني جلوسهم، ثم قالوا: إن رأيت أن تدعو الله، فمددت يدي فقلت: اللهم علمنا أدب العيادة.

«ذكـاء ذي النـون»

٣٥٣ ـ عن أبي الحسين محمد بن عبدالله بن جعفر الرازي قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول، قيل لي: إن ذا النون يعرف اسم الله الأعظم، فدخلت مصر وخدمته سنة، ثم قلت ياأستاذي إني قد خدمتك وقد وجب حقي عليك، وقيل لي إنك تعرف اسم الله الأعظم، وقد عرفتني ولا تجد له موضعًا مثلي، فأحب أن تعلمني إياه قال؛؟ فسكت عني ذو النون ولم يجبني وكأنه أومأ إليَّ أنه يخبرني قال، فتركني بعد ذلك ستة أشهر، ثم أخرج لي من بيته طبقًا ومكبة مشدوداً في منديل، وكان ذو النون يسكن الجيزة، فقال: تعرف فلانًا صديقنا من الفسطاط؟ قلت: نعم. قال: فأحب أن تؤدي هذا إليه. قال؛ فأخذت الطبق وهو مشدود وجعلت أمشي طول الطريق، وأنا متفكر فيه مثل ذي النون يوجه إلى فلان بهدية ترى أي شيء هي فلم أصبر إلى أن بلغت الجسر فحللت المنديل ورفعت المكبة، فإذا فأرة قفزت من الطبق ومرت. قال؛ فاغتظت غيظًا شديدًا وقلت: ذو النون يسخر بي ويوجه مع مثلي فأرة، فرجعت على ذلك الغيظ، فلما أن رآني عرف ما في وجهي، فقال: ياأحمق، إنما جربناك ائتمنتك على فأرة، فخنتني أفأتمنك على اسم الله الأعظم؟ مر عني، فلا أراك.

«ذكاء ابن جرير الطبري»

٣٥٤ ـ ومن المنقول عن أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، حدثنا[1] غلام لابن المزوق البغدادي قال: كان مولاي مكرمًا لي، فاشترى جارية وزوجنيها

(١) القائل ابن الجوزي.

فأحببتها حباً شديدًا، وأبغضتني بغضاً شديدًا عظيماً، وكانت تنافرني دائماً واحتملها إلى أن أضجرتني يوماً، فقلت لها: أنتِ طالق ثلاثًا إن خاطبتيني بشيء إلاَّ خاطبتك بمثله، فقد أفسدك احتمالي لك، فقالت لي في الحال: أنت طالق ثلاثًا بتاتاً قال، فأبلست ولم أدرِ ما أجيبها به خوفاً أن أقول لها مثل ما قالت، فتصير بذلك طالقاً مني، فأرشدت إلى أبي جعفر الطبري، فأخبرته بما جرى، فقال: أقم معها بعد أن تقول لها أنت طالق ثلاثاً إن أنا طلقتك، فتكون قد خاطبتها به فوفيت بيمينك ولم تطلقها ولا تعاود الايمان.

«فراسة أبي الوفاء بن عقيل»

٣٥٥ ـ ومن المنقول عن أبي الوفاء بن عقيل رضي الله عنه حدثني أزهر بن عبدالوهاب قال: جاء رجل إلى ابن عقيل فقال: إني كلما أنغمس في النهر غمستين وثلاثاً لا أتيقن أنه قد غمسني الماء، ولا أني قد تطهرت فكيف أصنع؟ قال له: لا تصل، فقيل له: كيف قلت هذا؟ قال لأن النبي ﷺ قال: «**رُفِعَ القلمُ عَنْ ثلاثٍ عَنِ الصبيِّ حتى يبلغَ وعنِ النّائم حتى ينتبه وعن المجنون حتى يفيقَ**» ومن ينغمس في النهر مرة أو مرتين أو ثلاثًا ويظن أنه ما اغتسل، فهو مجنون.

٣٥٦ ـ قال: حدثني أبوحكيم إبراهيم بن دينار، عن ابن عقيل قال: بلغني أن السلطان محمد بن علي عزم على القدوم إلى بغداد، فخرجت متطيلساً، فجلست على تل في طريقه، فلما وصل سأل عني، فقيل: هذا ابن عقيل، فانحرف فنزل وجلس معي، وقال: كنت أحب أن ألقاك وسألني عن مسائل في الطهارة، ثم قال لخادمه: أي شيء معك؟ فأخرج خمسين دينار، فقال: تقبل هذه. فقلت: لست بمحتاج، فإن أمير المؤمنين لا

يحوجني إلى أحد ولا أقبلها، فلما انصرفت إلى المنزل إذا خادم قد جاءني بمال من عند الخليفة وشكر فعلي. قال: وأنا علمت أن ثم من هو عين للخليفة يخبره بما جرى.

٣٥٧ ـ وبلغني عن ابن عقيل أنه تعوَّق يومًا عن الجمعة فجاؤه يستوحشون له، فقال: أنا صليت عند الصناديق. واحتبس يوماً فاستوحشوا له، فقال: أنا صليت عند المنارة وإنما عني صناديق بيته ومنارة بيته.

٣٥٨ ـ ومن المنقول عن بعض الفقهاء، أن رجلاً قال له إذا نزعت ثيابي ودخلت النهر أغتسل أتوجه إلى القبلة أم إلى غيرها. قال: توجه إلى ثيابك التي نزعتها.

«فراسة الشيخ عبدالكريم بن عبيد[1]»

قال الشيخ محمد بن سليم أحد أعلام آل سليم الأسرة المعروفة في بريدة وأحد العلماء البارزين وعضو هيئة التمييز في مدينة الرياض يقول الشيخ محمد مايلي:

٣٥٩ ـ كان في بريدة رجل يدعى عبدالكريم بن عبيد وكان قائمًا بالحسبة مدة طويلة وكان من دعاة الرجال وله المعرفة التامة في القيافة. ومن دهائه أنه ذات يوم كان يتجول خارج البلد بعد صلاة الصبح يتفقد أثر الأشخاص الذين يقدمون إلى بريدة وهم معروفون بالعبث والأعمال السيئة كالسرقة أو الانحراف الخلقي وغيرهما.. فإذا رأى أحداً من هذا النوع تتبع أثره حتى يجده ويتولى بنفسه تأديبه لأنه يأخذ على نفسه عدم فضح الناس وعدم نشر مخازي الناس، ومن ثم يتولى ابعاد الشخص العابث بالاخلاق أو بالأمن، ويأخذ عليه تعهداً إن هو دخل البلد مرة أخرى

(١) انظر «المنهل» والذي كتبها هو الأستاذ عثمان الصالح.

ليرفعن أمره للامارة والقضاء . . وكان في كل أعماله الباهرة وذكائه الخارق يستر على أهل الجرائم وقد حدث ذات يوم أن شخصا يعرفه من ذوي الهنات وقد وقع في نفس «عبدالكريم» وهو مع الجماعة في المسجد انه اتفق مع امرأة منحرفة وانهما ضربا موعداً في موضع خارج مدينة بريدة يسمى «الصقعـا» وكـانت الفكـرة لا تعـدو كونها ظنـا، فما كان من عبدالكريم إلا أن خرج من المسجد وذهب إلى الموضع المذكور فوجد الرجل فانهال عليه ضربا وطالب منه اشعاره بالحقيقة ولماذا حضر في هذا المكـان المنزوي في هذا الوقت بالذات فما كان من الرجل إلا أن باح بالحقيقة وانه على موعد مع امرأة ما لبثت ان قدمت هي الأخرى فضربهما أسواطاً وأخذ منهما تعهداً أن يتوبا وأن لا يعودا إلى مثل هذه الأعمال السيئة التي تستوجب الحد والعقوبة وقد عرف المرأة والرجل وحيث انهما لم يقترفا سوءاً وإنما هما به ولم يفعلاه فقد فرق بينهما ثم اضفى عليهما رداء الستر وأخذ الرجل معه إلى المسجد . . وانه لذكاء عظيم وفراسة نادرة في تحديده المكان ومعالم الأشخاص ومن ثم اعترافهما.

(القصة الثانية)

٣٦٠ ـ قال الشيخ محمـد بن سليم: «حـدثني عبـدالكـريم بن عبيد» قال انه كان ذات يوم يتجول في ضواحي «مدينة بريدة» التي يحيط بها كما هو معروف شجر الأثل الذي كان يعتبر ثروة للأهالي كما يمثل غابات كثيفة وغـالبـا ما يقـوم النـاس بالتنـزه فيه ويخلوا أحيانا من المارة لبعده عن البلد . . . وعنـدمـا توغل «عبدالكريم بن عبيد» رأى امرأة جالسة في وسط أثلة كبيرة وقد أخفاها صف من الأثل بأغصانه المتدلية . . وحالما

أحست بالرجل من بعيد عمدت إلى الصلاة وصارت تؤدي السنن والنوافل، وفي أثناء ذلك وقف عليها «عبدالكريم» وكان الوقت ضحى فأوهمته انها تصلي سنة الاشراق فضربها بسوطه وقال لها أنت فلانة بلا تردد ولا توقف وبعد تمنع قالت نعم أنا فلانة. ثم ضربها ثانية وثالثة وقال لها اخبريني بالحقيقة وبوحي لي بالوقاع وإلا أوصلناك إلى الامارة والقضاء لينالك العقاب الصارم.. فقالت له المرأة: اننى على موعد مع شخص في هذا المكان لعمل ما لا يتفق والاستقامة وفعل ما حرم الله ولم ينقض كلامها حتى أقبل رجل يمشي متنكرًا ولم يخطر على باله ان في المكان أحداً غير المرأة، فما كان من عبدالكريم إلا أن قبض عليه وطرحه أرضاً وضربه ضربًا موجعًا ثم اعترف بسعيه إلى المنكر وإذا كان هم به ولم يفعل فهو يعلن توبته وانه يعاهد الله على أن لا يعود ولا تعود هي إلى هذه الطريقة السيئة وانهما سيكونان على جانب من الاستقامة والبعد عن المعاصي وأن لا يقارفا ذنبا ثم أخذ عليهما التعهد ودخل بهما المدينة وذهب كل إلى طيته وبيته ثم أخذ عبدالكريم في تفقدهما وتتبعهما حتى علم بصلاحهما وانهما أصبحا على جانب من التقوى والتوبة الصادقة. وقال لي فضيلته على الرغم من أن المرأة والرجل ليسا من صميم البلد وإنهما وافدان إليها فقد كانت معرفته للوافدين الجدد لا تقل عن معرفته لقدامى السكان والعريقين فيها.

(القصة الثالثة)

٣٦١ - قال شيخنا محمد بن سليم عضو هيئة التمييز: حدثني عبدالكريم بن عبيد فيما حدثني. انه سرق لأحد الأشخاص المعروفين واسمه عبدالعزيز الصعب التويجري.. ذهب من بيته ولما لم ير السارق وقد تمت

السرقة ولم تبق لها علامات يستدل بها على السارق الأثيم فقد رأى أن لا يذهب إلى السلطة وذهب إلى «عبدالكريم بن عبيد» فحضر هذا إلى بيت التويجري. وعندما رأى الأثر وتأمله جيداً عرف السارق وقال عبدالكريم للمسروق منه: هون على نفسك ولا تقلق فالذهب لا محالة «بإذن الله» سيكون عندك ولن ينقص منه شيء وطبق ما أقول لك وهو أن تجلس أمام بيتك غدا بعد صلاة الفجر مباشرة وستأتيك امرأة «وهو طبعاً رجل لابس ثياب امرأة» وستلقي عليك الذهب بأكمله ملفوفًا ولا تتكلم ولا تنبس ببنت شفة وكان بين مصدق ومكذب وما ان صلى الفجر في غده حتى جلس عند بابه يترقب المرأة المزيفة!! وما مرت لحظات حتى مرت امرأة تمشي رويداً رويداً فرمت بالذهب على الرجل وانصرفت ودخل بيته وعلم فوجده كاملا غير منقوص.. وهكذا تم الستر على السارق وحضر المال ولكن ماذا فعل «عبدالكريم بن عبيد»؟!.. هذا هو السر الذي لا يعرفه أحد.. كما ان الرجل «عبدالكريم» لم يحدث أحدا باسم السارق ولا يجروء أحد أن يقول له من السارق؟

(القصة الرابعة)

٣٦٢ ـ قال فضيلة الشيخ محمد بن سليم: حدثني «عبدالكريم بن عبيد» قال: كنت مرة جالساً في دكاني فمر بي شخص أسود قرأت الشر في وجهه والخبث في نظراته والمؤامرة في حركاته فقمت من مجلسي وأغلقت دكاني وتتبعته من بعيد وصار يمشي وأنا أمشي خلفه ونظرات الرجل والتفاتاته مريبة حتى وازى بيتا من البيوت الشريفة فتسوره وصعد الجدار بسرعة وما كان من عبدالكريم إلا أن تسور الجدار بعده ولما كان العبد يهم بأمر من الأمور السيئة فقد استنكر هذا الذي لاحقه ولما كان أقوى من

عبـدالكريم فقد أخذ بتلابيبه وشده من ثوبه وعصره مع حلقه عصرة أليمة صرخ منها صرخة شديدة استنفرت الجيران فخفوا إلى الصائح، ودخلوا البيت وقفزوا فوق الجدار وإذا بالعبد يعلو «عبدالكريم» يعمل فيه بيديه ضربـا ولكما مبرحا حتى كاد يقضي عليه أولا ان قبضوا على الأسود وشدوا وثاقه وذهبوا به إلى أمير بريدة وكان اذ ذاك الأمير عبدالله بن جلوي الأمير الحازم والشخصية الفذة المعروفة ببأسها وصرامتها وأحد الأربعـين الـذين استولوا على مدينة الرياض واستعادوها بمعـ، الملك المؤسس عبدالعزيز آل سعود وما كان من الأمير عبدالله رحمه الله إلا أن حقق مع العبد الأسود واتضحت جريمته، فأرسله إلى الملك عبدالعزيز فقتل العبد وكان ذلك عام ١٣٢٩هـ.

«فراسـة المحاربيـن»

٣٦٣ ـ قال هشـام بن محمد الكلبي عن أبيه قال: كان جذيمة بن مالك ملكًا على الحيرة وماحولها من السواد ملك ستين سنة، وكان به وضح، وكان شديد السلطان يخافـه القريب ويهابه البعيد، فنهيت العرب أن يقولوا الأبرص، فقالوا الأبرش فغزا مليح بن برء، وكان ملكًا على الحضر وهو الحاجز بين الروم والفرس، وهو الذي ذكره عدي بن زيد في قصيدة منها هذا البيت:

وأخُـو الحضرِ إذْ بَنَـاهُ وإذْ دِجْـلة تُجْبـى إلـيه والخـابُـورُ

فقتله جذيمـة وطـرد الزباء إلى الشـام، فلحقت بالروم، وكانت عربية اللسان، حسنة البيان، شديدة السلطان، كبيرة الهمة.

قال ابن الكلبي: لم يكن في نساء عصرها أجمل منها، وكان اسمها فارغة، وكان لها شعر إذا مشت سحبته وراءها، وإذا نشرته جللها، فسميت الزباء. قال

الكلبي : وبعث عيسى بن مريم عليه السلام بعد قتل أبيها، فبلغت بها همتها أن جمعت الرجال وبذلت الأموال وعادت إلى ديار أبيها وملكتها، فأزالت جذيمة الأبرش عنها، وابتنت على الفرات مدينتين متقابلتين من شرقي الفرات ومن غربيه، وجعلت بينهما نفقًا تحت الفرات، وكان إذا راهقها الأعداء آوت إليه وتحصنت به، وكانت قد اعتزلت الرجال، فهي عذراء وكان بينها وبين جذيمة بعد الحرب مهادنة، فحدث جذيمة نفسه بخطبتها، فجمع خاصته فشاورهم في ذلك وكان له عبد يقال له قصير بن سعد، وكان عاقلاً لبيبًا وكان خازنه وصاحب أمره وعميد دولته، فسكت القوم وتكلم قصير، فقال: أبيت اللعن أيها الملك إن الزباء امرأة قد حرمت الرجال، فهي عذراء لا ترغب في مال ولا جمال ولها عندك ثأر والدم لا ينام، وإنما هي تاركتك رهبة وحذار دولة، الحقد دفين في سويداء القلب له كمون ككمون النار في الحجر إن اقتدحته أورى، وإن تركته توارى، وللملك في بنات الملوك الأكفاء متسع، ولهن فيه منتفع، وقد رفع الله قدرك عن الطمع فيمن دونك وعظم شأنك فما أحد فوقك. فقال جذيمة: ياقصير الرأي مارأيت والحزم فيما قلته، ولكن النفس تواقة إلى ما تحب وتهوى، ولكل امريء قدر لا مفر له منه ولا وزر، فوجه إليها خاطبًا، وقال: ائت الزباء فاذكر لها ما يرغبها فيه وتصبوه إليه، فجاءتها خطبته، فلما سمعت كلامه وعرفت مراده قالت له: أنعم بك عينًا وبما جئت به وله، وأظهرت له السرور به والرغبة فيه وأكرمت مقدمه ورفعت موضعه، وقالت: قد كنت أضربت عن هذا الأمر خوفًا أن لا أجد كفؤاً، والملك فوق قدري وأنا دون قدره، وقد أجبت إلى ما سأل ورغبت فيما قال، ولولا أن السعي في مثل هذا الأمر بالرجال أجمل لسرت إليه ونزلت عليه، وأهدت إليه هدية سنية ساقت العبيد والاماء والكراع والسلاح والأموال والابل والغنم، وحملت من الثياب والعين والورق، فلما رجع إليه خطيبه أعجبه ما سمع من الجواب وأبهجه ما رأى من اللطف، وظن أن ذلك لحصول رغبة، فأعجبته نفسه

وسار من فوره فيمن يثق به من خاصته وأهل مملكته، وفيهم قصير خازنه، واستخلف على مملكته إبن اخته عمرو بن عدي اللخمي، وهو أول ملوك الحيرة من لخم، وكان ملكه عشرين ومائة سنة، وهو الذي اختطفته الجن وهو صبي وردته، وقد شب ونبر، فقالت أمه ألبسوه الطوق، فقال خاله جذيمة: شب عمرو عن الطوق فصارت مثلاً فاستخلفه وسار إلى الزباء فلما صار ببقة نزل وتصيد وأكل وشرب واستعاد المشورة والرأي من أصحابه، فسكت القوم وافتتح الكلام قصير بن سعد قال: أيها الملك كل عزم لا يؤيد بحزم. قال لي، أف مايكون كونه فلا تثق بزخرف قول لا حصول له، ولا تعتقد الرأي بالهوى فيفسد، ولا الحزم بالمنى فيبعد والرأي عندي للملك أن يعتقب أمره بالتثبت ويأخذ حذره بالتيقظ، ولولا أن الأمور تجري بالمقدور لعزمت على الملك عزمًا بتًا أن لا يفعل، فأقبل جذيمة على الجماعة فقال: ماعندكم أنتم في هذا الأمر؟ فتكلموا بحسب ماعرفوا من رغبته في ذلك وصوبوا رأيه وقووا عزمه. فقال جذيمة: الرأي للجماعة والصواب مارأيتم. فقال قصير: أرى القدر يسابق الحذر ولا يطاع لقصير أمر. فأرسلها مثلاً.

وسار جذيمة، فلما قرب من ديار الزباء نزل وأرسل إليها يعلمها بمجيئه، فرحبت وقربت وأظهرت السرور به والرغبة فيه، وأمرت أن يحمل إليه الانزال والعلوفات، وقالت لجندها: وخاصة أهل مملكتها وعامة أهل دولتها ورعيتها تلقوا سيدكم وملك دولتكم.

وعاد الرسول إليه بالجواب بما رأى وسمع، فلما أراد جذيمة أن يسير دعا قصيرًا، فقال: أنت على رأيك؟ قال: نعم. قد زادت بصيرتي فيه. أفأنت على عزمك؟ قال: نعم وقد زادت رغبتي فيه. فقال قصير ليس للأمور بصاحب، من لم ينظر في العواقب وقد يستدرك الأمر قبل فواته، وفي يد الملك بغية هو بها مسلط على استدراك الصواب، فإن وثقت بأنك ذو ملك وعشيرة ومكان، فإنك قد

نزعت يدك من سلطانك وفارقت عشيرتك ومكانك، وألقيتها في يدي من لست آمن عليك مكره وغدره، فإن كنت ولا بد فاعلاً ولهواك تابعًا، فإن القوم إن تلقوك غدًا فرقًا وساروا أمامك وجاء قوم وذهب قوم، فالأمر بعده في يدك والرأي فيه إليك، وإن تلقوك رزدقًا[1] واحدًا وأقاموا لك صفين حتى إذا توسطتهم انقضوا عليك من كل جانب، فأحدقوا بك، فقد ملكوك وصرت في قبضتهم، وهذه العصا لا يشق غبارها، وكان لجذيمة فرس تسبق الطير وتجاري الرياح. يقال لها العصا، فإذا كان كذلك، فتملك ظهرها فهي ناجية بك إن ملكت ناصيتها، فسمع جذيمة كلامه ولم يرد جوابًا وسار، وكانت الزباء لما رجع رسول جذيمة من عندها قالت لجندها: إذا أقبل جذيمة غدًا فتلقوه بأجمعكم وقوموا له صفين عن يمينه وشماله، فإذا توسط جمعكم، فتعرضوا عليه. من كل جانب حتى تحدقوا به، وإياكم أن يفوتكم، وسار جذيمة وقصير عن يمينه، فلما لقيه القوم رزدقًا واحدًا أقاموا له صفين، فلما توسطهم انقضوا عليه من كل جانب إنقضاض الأحدل على فريسته فأحدقوا به وعلم أنهم قد ملكوه. وكان قصير يسايره فأقبل عليه، وقال صدقت ياقصير، فقال قصير: أيها الملك! أبطأت بالجواب، حتى فات الصواب. فأرسله مثلاً. فقال: كيف الرأي الآن؟ قال: هذه العصا فدونكها لعلك تنجو بها، فأنف جذيمة من ذلك وسارت به الجيوش. فلما رأى قصير أن جذيمة قد استسلم للأسر وأيقن بالقتل جمع نفسه، فصار على ظهر العصا وأعطاها عنانها وزجرها، فذهبت تهوي به هوى الريح، فنظر إليه جذيمة وهي تطاول به، وأشرفت الزباء من قصرها، فقالت: ما أحسنك من عروس تجلى عليَّ وتزف إليَّ، حتى دخلوا به إلى الزباء، ولم يكن معها في قصرها إلا جوار أبكار أتراب.

وكانت جالسة على سريرها وحولها ألف وصيفة كل واحدة لا تشبه صاحبتها

---

(١) رزدقًا: أي جمعًا واحدًا.

في خلق ولا زي، وهي بينهن كأنها قمر قد حفت به النجوم تزهو، فأمرت بالأنطاع[1] فبسطت، وقالت لوصائفها خذوا بيد سيدكن وبعل مولاتكن، فأخذن بيده فأجلسنه على الأنطاع بحيث يراها وتراه، وتسمع كلامه ويسمع كلامها، ثم أمرت الجواري فقطعن رواهشه[2]، ووضعت الطشت تحت يده، فجعلت تشخب في الطشت، فقطرت قطرة على النطع، فقالت لجواريها: لا تضيعوا دم الملك. فقال جذيمة: لا يحزنك دم أراقه أهله، فلما مات قالت: والله ما وفى دمك ولا شفى قتلك، ولكنه غيض من فيض، ثم أمرت به، فدفن.

وكان جذيمة قد استخلف على مملكته ابن اخته عمرو بن عدي، وكان يخرج كل يوم إلى ظهر الحيرة يطلب الخبر، ويقتفي الأثر عن خاله، فخرج ذات يوم فنظر إلى فارس قد أقبل يهوي به فرسه هوى الريح، فقال: أما الفرس ففرس جذيمة، وأما الراكب فكالهيمة لأمر ما جاءت العصا، فأشرف عليهم قصير، فقالوا: ما وراءك؟ قال: سعى المقدر بالملك إلى حتفه على الرغم من أنفي وأنفه، فاطلب بثأرك من الزباء، فقال عمرو: وأي ثأر يطلب من الزباء، وهي أمنع من عقاب الجو، فقال قصير: قد علمت نصحي كان لخالك وكان الأجل رائده، والله لا أنا عن الطلب بدمه ما لاح نجم وطلعت شمس أو أدرك به ثأراً أو تخترم نفسي فأعذر، ثم أنه عمد إلى أنفه فجدعه، ثم لحق بالزباء على صورة كأنه هارب من عمرو بن عدي، فقيل لها: هذا قصير بن سعد عم جذيمة وخازنه وصاحب أمره قد جاءك، فأذنت له، فقالت: ما الذي جاءك إلينا ياقصير وبيننا وبينك دم عظيم الخطر؟ فقال: يا ابنة الملوك العظام! لقد أتيت فيما يؤتى مثلك في مثله، ولقد كان دم الملك يطلبه حتى أدركه وقد جئتك مستجيراً بك بمن عمرو بن عدي فإنه اتهمني بخاله وبمشورتي عليه بالمسير إليك، فجدع أنفي وأخذ مالي،

---

(١) الأنطاع: مفردها نطع. وهو مصنوع من جلد الثور.

(٢) رواهشه: أي شرايينه.

وحـال بيني وبين عيالي وتهددني بالقتل، وإني خشيت على نفسي، فهربت منه إليك، أنا مستجير بك ومستند إلى كهف عزك، فقالت: أهلاً وسهلاً، لك حق الجوار وذمة المستجير وأمرت به فأنزل وأجرت له الانزال ووصلته وكسته وأخدمته وزادت في إكـرامـه، وأقـام مدة لا يكلمها ولا تكلمه وهو يطلب الحيلة عليها وموضع الفرصة منها، وكانت ممتنعة بقصر مشيد على باب النفق تعتصم به فلا يقدر أحد عليها، فقال لها قصير يومًا: إن لي بالعراق مالاً كثيراً وذخائر نفيسة مما يصلح للملوك، وإن أذنت لي في الخروج إلى العراق وأعطيتني شيئًا أتعلل به في التجارة وأجعله سببًا للوصول إلى مالي أتيتك بما قدرت عليه من ذلك، فأذنت له وأعطته مالاً، فقدم العراق وبلاد كسرى، فأطرفها من طرائفه وزادها مالاً إلى مالها كثيراً وقدم عليها، فأعجبها ذلك وسرها وترتب له عندها منزلة، وعاد إلى العراق ثانية فقدم بأكثر من ذلك طرفًا من الجواهر والبز والخز والديباج، فازداد مكانة منها وازدادت منزلته عندها ورغبتها فيه، ولم يزل قصير يتلطف حتى عرف موضع النفق الذي تحت الفرات والطريق إليه، ثم خرج ثالثة فقدم بأكثر من الأولتين ظرائف ولطائف، فبلغ مكانه منها وموضعه عندها إلى أن كانت تستعين به في مهماتها وملماتها، واسترسلت إليه وعولت في أمورها عليه، وكان قصير رجلاً حسن العقـل والـوجه حصيفًا لبيبًا أديبًا، فقالت له يومًا: أريد أن أغزو البلد الفلاني من أرض الشام، فاخرج إلى العراق فأتني بكذا وكذا من السلاح والكراع والعبيد والثياب، فقال قصير: ولي في بلاد عمرو بن عدي ألف بعير وخزانة من السلاح والكراع والعبيد والثياب وفيها كذا وكذا، ومايعلم عمرو بها، ولو علمها لأخذها واستعان بها على حربك، وكنت أتربص به المنون، وأنا أخرج متنكرًا من حيث لا يعلم، فآتيك بها مع الذي سألت، فأعطته من المال ما أراد، وقالت: ياقصير، الملك يحسن لمثلك وعلى يد مثلك يصلح أمره.

ولقد بلغني أن أمر جذيمة كان إيراده واصداره إليك وما تقصر يدك عن شيء

تناله يدي، ولا يقعد بك حال ينهض بي، فسمع بها رجل من خاصة قومها فقال: أسد خادر، وليث ثائر قد تحفز للوثبة. ولما رأى قصير مكانه منها وتمكنه من قلبها قال: الآن طاب المصاع وخرج من عندها، فأتى عمرو بن عدي، فقال: قد أصبت الفرصة من الزباء، فانهض فعجل الوثبة، فقال له عمرو: قل أسمع، ومُرْ أفعل، فأنت طبيب هذه القرحة، فقال: الرجال والأموال. قال: حكمك فيما عندنا مسلط، فعمد إلى ألفي رجل من فتيان قومه وصناديد أهل مملكته، فحملهم على ألف بغير في الغرائر السود، وألبسهم السلاح والسيوف والجحف، وأنزلهم في الغرائر، وجعل رؤوس المسوح من أسفلها مربوطة من داخل، وكان عمرو فيهم، وساق الخيل والعبيد والكراع والسلاح والإبل محملة، فجاءها البشير فقال: قد جاء قصير ولما قرب من المدينة حمل الرجال في الغرائر متسلحين بالسيوف والجحف، وقال: إذا توسطت الإبل المدينة، فالامارة بيننا كذا وكذا فاخترطوا الربط. فلما قربت العير من مدينة الزباء في قصرها، فرأت الإبل تتهادى بأحمالها، فارتابت بها، وقد كان وشي بقصير إليها وحذرت منه، فقالت للواشي به إليها إن قصيراً اليوم منا، وهو ربيب هذه النعمة وصنيعة هذه الدولة، وإنما يبعثكم على ذلك الحسد ليس فيكم مثله، فقدح ما رأت من كثرة الإبل وعظم أحمالها في نفسها مع ما عندها من قول الواشي به إليها فقالت:

ما للجمال مَشْيها وئيدًا[1] أجَنْدَلاً يحمِلْن أو حديدًا
أم صرفانًا باردًا شديدًا أم الرجال في المسُوح سُودا

ثم أقبلت على جواريها، فقالت: أرى الموت الأحمر في الغرائر السود فذهبت مثلًا، حتى إذا توسطت الإبل المدينة وتكاملت ألقوا إليهم الأمارة[2] فاخترطوا

---

(١) وئيدًا: على مهل. أي أن الجمال تتمايل في مشيها من ثقل حمولتها.

(١) الأمارة: العلامة، أو الإشارة التي كانت بين قصير وجنوده.

رؤوس الغرائر، فسقط إلى الأرض ألفا دراع بألفي باتر[1] طالب ثأر القتيل غدرًا، وخرجت الزباء تمصع[2] تريد النفق، فسبقها إليه قصير، فحال بينها وبينه، فلما رأت أن قد أحيط بها ومُلِكت، التقمت خاتمًا في يدها تحت فصه سمّ ساعة، وقالت: بيدي لا بيدك ياعمرو، فأدركها عمرو وقصير، فضرباها بالسيف حتى هلكت وملكا مملكتها، واحتويا على نعمتها، وخطَّ قصير على جذيمة قبرًا وكتب على قبره هذه الأبيات يقول:

مَلِكٌ تمتّـع بالعساكِـر والقنـا ... والمشرفـية عزّة ما يوصـفُ
فسَـعـتْ منـيّتـه إلى أعـدائـه ... وهـو المتـوّج والحُسَـام المـرهفُ

(٢) باتر: أي السيف القاطع.
(٣) تمصع من الشيء؛ أراد الهروب منه.

المراجـــع

* القرآن الكريم تنزيل من رب العالمين.
* تفسير القرآن العظيم لابن كثير.
* تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري.
* البداية والنهاية لابن كثير. المعارف.
* لسان العرب لابن منظور.
* مختار الصحاح للرازي.
* الأذكياء لابن الجوزي.
* تاريخ ابن الجوزي المسمى بـ «المنتظم».
* الفرج بعد الشدة والضيقة ـ إبراهيم الحازمي ـ توزيع الجريسي.
* السياسة الشرعية وهو المسمى بالطرق الحكيمةلابن قيم الجوزية.
* الطبقات الكبرى ـ السبكي ـ.
* كتب التراجم عموماً.
* الفراسة عند العرب ـ الفخر الرازي.
* نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي.
* الأجوبة المسكتة ـ إبراهيم الحازمي ـ.
* فتح الباري بشرح صحيح البخاري ـ ط السلفية.
* صحيح مسلم بتحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ـ توزيع دار الافتاء..
* مدارج السالكين ـ ابن قيّم الجوزية ـ.
* الفتاوى ـ ابن تيمية ـ جمع عبدالرحمن بن قاسم ـ توزيع دار الافتاء..
* الروض المربع وعليه حاشية ابن القاسم الحنبلي.

«الخاتمـــــة»

هذا ما يسر الله سبحانه كتابته فله الحمد في الأولى والآخرة وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك. . .

إبراهيم بن عبد الله الحازمي

عفا الله عنه وسدد خطاه آمين

الفهـــرس

الموضـــوع	الصفحة
المقدمـــة	٧
معنـى الفراســـة	٩
الفرق بين الفراسة بالفتح والكسر	٩
أنـــواع الفراســـة	٩
أفـــرس النـــاس	١١
ما ورد في الكتاب والسُنة عن الفراسة	١٥
تخريج الحديث: اتقوا فراسة المؤمن	١٨
أســـباب قوة الفراسة	٢٠
فراســـة الأنبيـــاء	٢١
(١) فراسـة إبراهيم عليه الصلاة والسلام	٢١
(٢) فراسـة إسماعيل عليه الصلاة والسلام	٢٢
(٣) فراسـة سليمان عليه الصلاة والسلام	٢٢
(٤) فطنـة لقمان وفراسته	٢٣
(٥) فراسـة النبي ﷺ وقوة الفطنة لديه	٢٤
فراسـة الخلفاء والملوك والأمراء	
فراسـة أبي بكر الصديق	٢٧
فراسـة عمر بن الخطاب	٢٧
القـرآن ينزل بموافقة عمر	٣٠
فراسـة عثمان بن عفان	٣١
فراسـة علي بن أبي طالب	٣١

علي يفضح محتالــه ٣٥
علي يفرق بين المتهمين ٣٦
علي يستدرك على عمر ٤٠
فراسـة سعد بن أبي وقاص ٤٠
فراسـة خزيمة بن ثابت ٤١
فراسـة حذيفة بن اليمان ٤٢
فراسـة المغيرة بن شعبة ٤٣
فراسـة عمرو بن العاص ٤٤
فراسـة الحسن بن علي بن أبي طالب ٤٥
فراسـة الحسين بن علي ٤٥
فراسـة العباس بن عبدالمطلب ٤٥
فراسـة عبدالله بن عمر ٤٦
فراسـة ابن عباس ٤٧
فراسـة عبدالله بن الزبير ٤٨
فراسـة عبد الملك بن مروان ٤٩
فطنـة السفاح وفراسته ٥٠
فطنـة المنصور وفراسته ٥١
فراسـة المهدي ٥٢
فراسـة الخليفة المعتضد ٥٣
فراسـة عضد الدولة ٦١
فراسـة المكتفي بالله ٦٦
فراسـة أحمد بن طولون ٦٧
فراسـة إياس بن معاوية القاضي ٦٩

فراسة شريح ٧٥
فراسة القاضي أبو حازم ٧٦
فراسة ابن النسوي ٧٨
فراسة أبي حنيفة ٨٠
فراسة الإمام الشافعي وفطنته ٨٣
فراسة يحى بن أكثم ٨٧
فراسة قاضي ٨٧
فراسة كعب بن سور ٨٨
فراسة الليث بن سعد ٨٩
فراسة أبي بكر الباقلاني ٩١
فراسة وذكاء عمار بن حمزة ٩١
فراسة ملك ٩٢
فراسة الإمام ابن الجوزي ٩٢
فراسة الشيخ ياسين الزركشي والإمام النووي ٩٤
فراسة سلطان العلماء العز بن عبدالسلام ٩٥
فراسة شيخ الإسلام ابن تيمية ٩٥
القيافة ٩٨
قيافة مجزز المدلجي ٩٨
فراسة وحشي بن حرب وقيافته ..... ٩٨ - ٩٩
فطنة وفراسة أمية بن أبي الصلت ٩٩
فطنة وذكاء العرب ١٠١
أحيل رجل ١٠١
ذكاء رجل من بني العنبرة ١٠١

ذكـاء شـــاب ١٠٢
ذكاء وفطنـة اعرابي ١٠٣
فراسـة وذكاء شن ١٠٤
ذكاء وفراسة غلام ١٠٤
من احتال بذكائه وفراسته لبلوغ غرض ١٠٥
ذكاء سعيد بن عثمان ١٠٥
فراسـة رجل كبير ١٠٧
ذكـاء طالب علـم ١٠٨
فراسـة تاجر محســن ١٠٨
فراسـة زوجـــة ١٠٩
فراسـة أبي دلامـة ١٠٩
فراسـة الضحاك بن مزاحم ١١٠
فراسـة رجـل ١١٠
فطنـة وفراسـة عقبة الأزدي ١١١
فراسـة الأحنف بن قيس ١١١
ذكـاء وفراسـة رجل متطبب ١١٢
ذكاء وفراسـة عيسى بن موسى ١١٥
ذكـاء طبيـب ١١٦
فراسـة سراقة بن مرداس ١١٧
فطنـة المؤمـن ١١٨
فراسـة الأصمعي وفطنتـه ١١٨
فراسـة واصل بن عطاء ١١٨
فطنـة المطلب ١١٩

ذكاء بستاني ١١٩
فراسة وذكاء أبي الحسين بن السماك ١٢٠
فراسة أبي دلف ١٢١
أقوال وأفعال تدل على قوة الذكاء والفراسة من ١٨٣ ـ ٢٢٧ .....
فراسة الاسكندر ١٢١
فراسة رجل مؤمن ١٢٢
فراسة الحارث بن مسكين ١٢٢
فراسة طالب علم ١٢٣
ذكاء هارون الأعور ١٢٣
فراسة إبراهيم بن طهمان ١٢٣
فراسة مناظر مسلم ١٢٥
فراسة رجل ضرير ١٢٩
من فطن وفراسة الأطباء من رقم ٢٢٨ ـ ٢٣٣ ..... ١٣٥ ـ ١٤٠
فراسة النساء من ٢٣٤ ـ ٢٥٩ ..... ١٤٠ ـ ١٥٠
فراسة اسماء بنت أبي بكر ١٤٠
فطنة وفراسة عائشة ١٤١
فطنة فتاة عربية ١٤١
فراسة بنت ذي الغصة ١٤٢
فراسة امرأة عمران بن حطان ١٤٢
فراسة امرأة عجوز ١٤٣
فراسة تحسين الألفاظ (من رقم ٢٦٠ ـ ٢٧٠ ..... ١٥١ ـ ١٥٣
ألوان مختلفة من الفراسة من رقم ٢٧١ ـ ٢٩٦) ..... ١٥٣ ـ ١٥٩
فراسة الإمام البخاري ١٥٩

من ذكاء وفراسة علماء العرب من رقم ٢٩٧ ـ ٣١٨ ..... ١٦١ ـ ١٦٤
فراسة وذكاء الصبيان من رقم ٣١٩ ـ ٣٢٨ ..... ١٦٤ ـ ١٦٦
فراسة المعبرين من ٣٢٩ ـ ٣٥١ ..... ١٦٦ ـ ١٧٠
فطنة وفراسة السري ١٧٠
ذكاء ذي النون ١٧١
ذكاء ابن جرير الطبري ١٧١
فراسة أبي الوفاء بن عقيل ١٧٢
فراسة عبدالكريم بن عبيد ١٧٣
القصة الأولى ١٧٣
القصة الثانية ١٧٤
القصة الثالثة ١٧٥
القصة الرابعة ١٧٦
فراسة المحاربين ١٧٧
الفهرس الموضوعي ١٨٧

الجمع التصويري والإخراج ـ الفرقان ٤٠٢٩٨٦٥ ـ ٤٠٢٦٦٧٤

مطبعة سفير تلفون ٤٩٨٠٧٨٠ - ٤٩٨٠٧٧٦ • الرياض